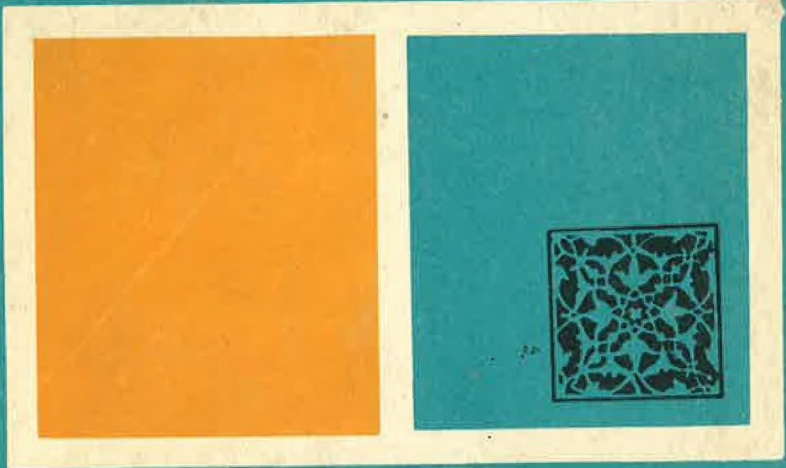


الدكتور عبد الحميد الشلقاني

الرّواية فيمَا وراءَ العِراقِ



المسئمة المصرية المسامة للكتاب

١٩٧٥

الرواية فيما وراء العراق

د. عبد الحميد الشلقاني



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥

تعريف موجز بالكتاب

الذين عرفوا باللغة والمعاجم والنحو وجهوا أكثر عنايتهم الى العراق ونالت البصرة والكوفة وبغداد نصيباً وافراً من التعريف - وبقي من وراء ذلك علم غزير .

لقد نفق سوق العلم في شرق العراق فلم يلبث أن خرجت أمهات الكتب والمعاجم من عواصمه في نيسابور ، ومرو ، وهراء ، والري ، وشيراز ، وأصبهان ، وعسكر مكرم - بل كانت كتب العراقيين أنفسهم تأتي من خزائن الطاهريين في خراسان - وفي الشام كانت دولة الحمدانيين عربية تغلبية تستدني العلماء وتكرم وفادتهم فنشأ في قصورهم رجال يعتبرون افذاذاً في رواية العربية - وكذلك عنت الفسطاط ، والقيروان ، وقرطبة باللغة والرواية .

ولقد تضمن هذا الكتاب تعريفاً بهذه البيئات العلمية الى نهاية القرن الرابع ، فملاً بذلك فراغاً في المكتبة العربية .

علم • والباحث
فأبهدا الوجه
الى العراق
جمال

اللغة ، المعاجم ، النحو - اذا سمعت هذه الكلمات
لأول وهلة الى البصرة والكوفة وبغداد لكثرة ما توافر لديك من ابناء
العراق وعلمائه - فالذين أوتوا نصيبا من العلم بهذا الوجه وأرادوا اعلام
الناس به لا يكادون ينتهون من هذه البيئات حتى يضعوا أقلامهم - بذلك
على ذلك أسماء الكتب التى ألقت حول اللغة والنحو ما تقدم منها وما تأخر ،
فالكثرة الكاثرة منها - ان لم تكن كلها - تتحدث عن هذه البيئات التى
اتخذت شكلا مطبوعا على لسان المتحدث وأذن السامع •

ونحن نتفق مع القائلين بأولوية البصرة وسبقها وعمران مسجدها
الجامع بأساطين العلماء ، ونشاط الكوفة على آثارها برهة من الزمن لم
تدم طويلا حين أتيح لحاضرة الدولة فى العراق أن تجمع على أضوائها
حلقات العلماء - ولكننا لا ننتهى مع المنتهين ولا نقف حيث وقفوا ،
والحقيقة أن ملحظا تردد أمام مخيلتى فشددنى الى ما وراء العراق ، وهذا
العلم الغزير الذى كان يأتى من وراء هذه الحدود ، بل هذه الآثار
العراقية التى جاءت أول ما جاءت من وراء حدود العراق - فبعض كتب
الأصمعى جاءت لتسال عرضتها الأخيرة عليه ، وتصحح بالرواية عنه
جاءت محمولة من خزائن الطاهريين ، وكتاب العين ورد لأول مرة من

شرق العراق حتى ارتاب في نسبه للخليل بن أحمد رجل كآبى حاتم
السجستاني ، وجمهرة ابن دريد تعمل لابنى ميكال هناك ، فاذا انتهى
أمر الرجلين ودالت دولتهما حملها صاحبها الى بغداد وعقد مجلسه بها
يروى الناس الجمهرة ، وثالث المعاجم يعمله أبو على القالى فى الأندلس
ويسميه البارغ فى اللغة وتظهر أول قطعتين منه بخط مغربى - ورابع
المعاجم وخامسها يظهران فى وقت واحد ، يعمل احدهما رجل من هراء
طرابلس وهو منصور الازهرى صاحب التهذيب ، والآخر لرجل تركى
المقاييس والجوهري صاحب الصحاح - ثم يمدك أحمد بن فارس اكتمل
المجلد فاذا وقفت عند القرن الرابع الهجرى حيث

للمرواية سميتها فهذا شأنها كما رأيت فى جانب واحد منها وهو المعاجم -
واذا استطلعت قابل التاريخ لارضاء نفسك أمام سؤال يلح عليك قائلا ثم
ماذا ؟ جاءك خبر المعجمين اللذين وضعهما أبو الحسن على بن سيده فى
الاندلس وهما المخصص والمحكم - ثم اساس البلاغة للزمخشري ،
وعباب الصغاني ولسان العرب لابن منظور الافريقى ، والقاموس المحيط
للفيروزأبادى ، وتاج العروس للزبيدي - أما الكتب الأخرى التى تناولت
اللغة والنحو ، وما جاء من هذا الوجه فى ثنايا كتب التفسير فثىء تضيق
به هذه المقدمة .

واكتشاف البيئات العلمية خارج البصرة والكوفة وبغداد ، ومفاتيح
علمائها مطلب خشن جاف ربطنى اليه الصبر الطويل ، بل لا اكتمك
اننى أمضيت وقتا غير قصير أتعرف على طبيعة البلاد فى شرق العراق
وأثنين أقاليمها وأقسامها الجغرافية ، فلما تتبععت العنصر العربى بها قبل
الفتح وحين الفتح وبعد الفتح رأينا انهم لم يكونوا غرباء عن هذا الاقليم
أو بعضه فلقد تبجحوا ريف فارس وشاطروهم هذا الوطن ، ثم جاء الاسلام
وانتقل كثير من القبائل الى البلاد الشرقية وثبتوا أقدامهم بها ، وكان ولاه
العرب الذين بسطوا سلطانهم على هذه البلاد يحملون اليهم تعاليم الاسلام

وليس من بينها السيطرة وحب التملك فلم يلبث أهلها أن أقبلوا على هذا الدين بقلوبهم فلما عهد قتيبة بن مسلم الباهلي بالوظائف الى بعض الحكام الايرانيين ذهب الأستاذ جب يعلل لذلك بأن قتيبة كانت تنقصه العشيرة - ولكننا لانرى رأى جب انما كانت هذه هى السياسة العربية الاسلامية السمحاء التى لم تضع فى اعتبارها سيطرة ولا غلبة .

ولقد حسن اسلام هذه المناطق الشرقية حتى كان منها جهابذة علماء الحديث ، وأئمة رجال الفقه ، وشيخ المفسرين محمد بن جرير الطبرى وعدد من كبار اللغويين تعجيك كثرتهم .


ثم كان الولاة الذين رأسوا هذه البلاد يدنون العلماء من مجالسهم ويستعينونهم صلاح هذه الدولة فلا تعجب ان ترى أوائل رواة العراق يأخذون أماكنهم فى البلاد الشرقية زائرين ، ومدعوين ، ومقيمين ، ومتاجرين فى الكتب وهارين أيضاً مما كان يجرى فى العراق من أحداث كثورة الزنج . وكان بعض ولاة هذا الاقليم علماء يجدون فى الرواية اللغوية سببا وشيخ الصلة بالعلوم الدينية ، ورابطا قويا بالعروبة .

كانت الدولة الطاهرية من أوائل الولايات التى نشأت فى شرق العراق فعمل عميدها طاهر بن الحسين على استقدام الفراء الذى ألف كتاب المذكر والمؤث ، وكتاب البهاء أو البهى لابنه عبد الله ، ولما قلد المأمون ولاية خراسان عبد الله بن طاهر تشبث عبد الله بثلاثة من رجال العلم فى بغداد كان من بينهم أبو سعيد الضريز اللغوى ، واستدنى أبا عبيد القاسم بن سلام صاحب الكتابين الكبيرين : الغريب المصنف ، وغريب الحديث ، واستضافت هذه الأسرة ذيعمى المذهبيين - المبرد ومعلب .

وكان عضد الدولة البويهى بالاضافة الى مهام الدولة يتشاغل بالكتب ، ويناقش علماء اللغة مناقشة العالمين ، ووزر للبويهيين ابن العميد وبلغ حبه

فى العلم انه كان يغرى العلماء على ترك العراق ، ومن وزرائها أيضا
الصاحب بن عباد صاحب كتاب المحيط فى اللغة •

وكانت الشام مهبط القبائل العربية قبل الاسلام بزمان طويل ،
والآراميون الذين كانوا يقطنون الشام كانوا يتحدثون لغة سامية ليست
بعيدة الجرس عن العربية مما سهل للأخيرة سبيلها •

وفى عهد الدولة الأموية جعل الأمويون عاصمتهم بها وكانوا وهم
يتعصبون للعرب وللعربية يوصون برواية اشعر ربيع  ان وراء على
عائتهم به - ثم ضعفت الرواية فى هذه البلاد فى عصر العباسيين ثم مالبت
أن نشبط مرة أخرى فى ظل الحمدانيين •

كان سيف الدولة الحمدانى عربى الاصل من تغلب ، وعشقه
للعربية وتذوقه لها صادر عن هذا الأصل فلا عجب أن يكون قصره مألفا
للشعراء وعلماء العربية - عاش فيه ابن خالويه ، وتردد عليه أبو على
الفارسى وأحمد بن فارس ، والزجاجى ، وأبو الطيب اللغوى ،
وابن جنى وجميعهم من شوامخ العربية •

وفى مصر كانت المعركة اللسانية قبل الفتح بين القبطية ، واليونانية،
واللاتينية مما سهل للعربية دورها - ولكن لم يتوافر لهذه البيئة ما توافر
فى شرق العراق والشام من ولاة يحرسون حرص الطاهريين والبويهيين
والحمدانيين على استقدام العلماء - وكان مقام الوافدين من العلماء الذين
نأمل بعث اللغة فى مجالسهم قصير فالشافعى الذى كان كلامه لغة يحتاج
بها كما يقول ابن هشام لم يعمر بمصر أكثر من خمس سنوات اذ وفد
اليها سنة تسع وتسعين ومائة ومات سنة أربع ومائتين - والطبرى محمد
ابن جرير يزور مصر مرتين قصيرتين ، وعلى كل حال فقد اشتهر أمر
الرجلين بشئ غير رواية العربية وان كان علمهما بها غزير ، وكذلك

لم يصدر عن الهرويين : أبى اسامة ، وأبى الحسن كبير علم . والبأحث
عن الرواية فى مصر عليه ان يطيل الوقوف عند رجلين عرفا بهذا الوجه
هما أبو العباس بن ولاد ، وأبو جعفر النحاس اللذين رحلا الى العراق
وجلسا الى كبار علماء اللغة هناك - ومن دون هذين الرجلين رجال
عرفوا بالعربية وروايتها تناولهم البحث .

ونشاط العلم فى شمال افريقية قد بلغ أحسنه فى دولة الأغالة
اذ كان ابراهيم بن الأغلب مؤسس هذه الدولة فقيها أديبا شاعرا خطيبا
فنجم فى هذه البيئة المهادثة المحاطة برعاية الحاكم الأديب أمثال أبى مالك
الطرماح ، وأبى الوليد عبد الملك بن قطن المهرى ، وأبى عبد الله
حمدون بن اسماعيل ، وأبى محمد عبد الله بن محمود المكفوف -
واستمر هذا النشاط بعد دولة الاغالة فكان من علماء القيروان ابن
الحداد ، وابن الوزان ، والفزاز القيروانى .

وحين فتحت صقلية على يد العالم الفقيه أسد بن الفرات كان فى
معيته بعض أهل العلم والبصائر منهم ابن غورك كما كان من علمائهم
محمد بن التميمى ، والحسن بن على الصقلى ، وعمر بن خلف بن
مكى وغيرهم .

وكانت الرواية فى الاندلس حميلة على علم الحديث فقد أعطى
الاندلسيون لدراسة الحديث جل اهتمامهم وذهبوا فى طلبه الى المشرق
فالتقوا بعلماء اللغة هناك وعاد أكثرهم ومعه من العربية ما يربو على
حصيلتهم من الحديث ، وقد نشأ ابن القوطية فى مجالسهم فكان أمثل
اللغويين فى الأندلس الى ان جاءها مدد من المشرق . فمئذ وليها عبد الرحمن
الناصر عمل على تزويد الاندلس بكتب المشرق فكان يبعث فى طلبها رجالا
يأتونه بها واستقدم أبا على القالى وأحسن وفادته فتلמד له أبو بكر الزيدى ،
وأبو عبد الله محمد بن عاصم ، وأحمد بن ابان بن السيد ، وهارون

ابن موسى بن صالح واخرون • وكذلك وفد من المشرق أبو العلاء ضاعد
ابن الحسن الربيعي فكان لهذا المدد الآتي من الشرق ثماره التي زهت بها
قرطبة •

هذه رحلة طويلة تتبعنا فيها رجال اللغة الذين اشتهر أمرهم
بالرواية الى نهاية القرن الرابع - وقد تجاوزناه أحيانا عندما دعت المناسبة
الى ذلك - وأتممنا بهذه الرحلة في كتابنا (رواية اللغة) الذي أفردناه
للعراق •

الباب الأول

الرواية في شرق العراق

الملاح العامة في الأقاليم الشرقية

رأيت ان أقدم لهذا البحث بتعريف قصير عن هذه البلاد التي فتحها العرب في النصف الأول من القرن الأول الهجرى والتي كانت تضم أجزاء من العراق الحالى ، وايران ، وأفغانستان ، وأجزاء من جنوب روسيا ، والصين ، وبلاد الهند •

والذين عرفوا بجغرافية هذه البلاد ذهبوا في تقسيمها مذاهب شتى لاتساعها واختلاف طبيعة أرضها • عرف بها أبو القاسم عبد الله بن خرداذبة ٢٥٠ هـ في كتاب المسالك والممالك وسماها المشرق (١) فذكر خراسان وأرباعها وطرق الشاش والترك (٢) وكور الأهواز (٣) وكور فارس (٤) واتجهت عنايته الى الطرق والمسالك فحددها وبين أبعادها • ومن بعده تحدث أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ٢٧٨ هـ في كتابه البلدان فسمى هذا الاقليم الربع الأول - أو - ربع المشرق يعنى ربع

(١) المسالك والممالك ١٨ ط ليدن سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م •

(٢) ص ٢٥ •

(٣) ص ٤٢ •

(٤) ص ٤٧ •

الأرض بحسب تقسيمه وهو عنده من بغداد الى الجبل واذريجان وقزوین ، وزنجان ، وقم ، واصبهان ، والری ، وطبرستان ؛ وجرجان وسجستان ، وخراسان ، وما اتصل بخراسان من الکبت وترکستان (١) .

وأخذ أبو اسحاق ابرهیم بن محمد الأصبخري ٣٠٤ هـ في التعريف بهذا الاقليم مبتدئاً من العراق الى الشرق فتکلم عن خوزستان (٢) ثم فارس في شرقها (٣) ثم کرمان في شرق فارس ، ومکران ، والسند ، وبعض بلاد الهند (٤) ثم صعد شمالاً متجهاً الى الغرب فعرف بارمينية واذريجان كما تکلم عن الجبال وخراسان واختتم تقسيمه بالحديث عن اقليم ما وراء النهر .

وكان المقدسی ٣٧٥ هـ أكثر اتساعاً . عرض حياة السكان ومذاهبهم وطبيعة الأرض وغلاتها الى غير ذلك من المعلومات والتي نكتفی بالاحالة اليها في كتابه (أحسن التقاسيم) (٥) وجاء من بعده الجغرافيون يبسطون الحديث عن هذه البلاد ووصف بعضهم مشاهداته فيها كياقوت الحموی ٦٢٣ هـ في كتابه معجم البلدان ، وابن بطوطة ٧٥٦ هـ في رحلته .

وفي العصر الحديث عرف بهذه البلاد تعريفاً مطولاً المستشرق جاي لسترنج GUY LE STRANGE في كتابه بلدان الخلافة الشرقية في أربع وثلاثين فصلاً .

واختلاف التقسيم يرجع الى اختلاف الغرض من التأليف واختلاف وجهات النظر عند هؤلاء الجغرافيين بعضهم يقسمها بحسب الدائرة

-
- (١) كتاب البلدان ط ليدن ١٨٩٠ م .
 - (٢) مسالك الأمم ط ليدن سنة ١٩٢٧ ص ٨٨ .
 - (٣) المصدر السابق ص ٦٦ .
 - (٤) نفس المصدر ١٥٨ و ١٧٠ .
 - (٥) ط في ليدن سنة ١٩٠٦ م .

الخارجية وآخر بحسب المجال الحربى والالتزام الدفاعى ، أو الحدود السياسية وتقسيم الولايات أو بحسب طبيعة الأرض - والأمر عندنا لا يحتاج الى هذا التخصيص وحسبنا أن نقسمها قسمين نستطيع من خلالهما تتبع الحركة العلمية :

القسم الاول - خراسان وما وراء نهر جيحون

القسم الثانى - اقليم فارس والجيل •

وفى المجال العلمى والرواية بخاصة كانت هناك ظواهر عامة يشترك فيها الاقليمان اليك بيانها •

القبائل العربية فى شرق العراق

من خبر يحكيه الطبرى نفهم منه ان العرب كانت لهم هجرات الى الأقاليم الشرقية قبل سنى الغزو الاسلامى ، وكان المثنى بن حارثة الشيبانى يشير الى ذلك وهو يهيب جنده للحرب بقوله : (يا أيها الناس : لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبجحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد ، وشاطراناهم ، ولنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم) (١) ولم يكد ينتهى العقد الثالث من القرن الأول الهجرى حتى ضرب الاسلام سلطانه على أغلب هذه البلاد الواسعة فى شرق العراق والتي شملت شعوبا تتكلم الفارسية ، والتركية ، والهندية •

دخلت القبائل العربية الغازية واستقر قرارها ومدت سكانها الى أقصى الشرق فى أرض فرغانة والشاش (٢) فنزل بنو عجل فى الكرخ (٣) وأقوام من مذحج فى كمندان من أعمال قم (٤) وفى اليهودية قرب اصبهان

(١) تاريخ الطبرى ٢ : ٦٣ ط الاستقامة سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩ م •

(٢) فتوح البلدان ٤٣٧ ط الموسوعات سنة ١٩٠١ م •

(٣) البلدان لليعقوبى ٤٩ •

(٤) المصدر السابق ٥٠ •

بطون من ثقيف ، وتميم ، وبنى ضبة ، وخزاعة ، وبنى حنيفة وبنى عبد القيس (١) وفي مكان آخر قرب اصبهان نزل ناس من همدان ومن بنى هلال وبطون من قيس (٢) وفي مرو نزل الازد وتميم (٣) وعبد القيس (٤) وتغلغل القبائل العربية في هذه البلاد ظاهرة تكاد تكون عامة الا ما قيل من أن أهل اشروسنة - وهي بلدة في أقصى الشرق من وراء النهر كانوا يمنعون العرب أن يجاوروهم حتى صار اليهم رجل من بنى شيان فأقام هناك وتزوج منهم (٥) *

وكان لقواد المسلمين رأى في الاستكثار من العرب واسكانهم في هذه البقاع حتى يأمنوا انتفاضة أهلها وتثبت الوجه العربي بها - نلح هذا في تصرف زياد بن أبي سفيان حين ولي الريع بن زياد الحارثي خراسان اذ حول معه من أهل المصريين (البصرة والكوفة) خمسين ألفا بعيالاتهم وأسكنهم دون النهر (٦) ونذهب في فهمنا لهذا الخبر ان هذه الآلاف كانت من النضر العربي *

أثر السياسة الاسلامية في دمج العرب بسكان البلاد

أما سكان هذه البلاد فقد سهل اندماجهم بالعرب بسبب من السياسة الاسلامية السمحة التي كانت تستهدف نشر الاسلام ونشر مبادئه الانسانية أيضا دون أن تفكر في التملك والسيطرة ومجرد التوسع ولقد كتب سعد بن أبي وقاص الى رستم صاحب الأعاجم (اسلامكم أحب إلينا من غنائمكم) وفي العهد الأموي كانت سيرة عمر بن عبد العزيز

(١) ٥١ المصدر *

(٢) ٥٢ المصدر *

(٣) ٥٧ المصدر *

(٤) معجم الأدباء ١٦ : ٧١ *

(٥) البلدان لليقوبى ٧٥ *

(٦) فتوح البلدان ٤١٠ ط ليدن سنة ١٨٦٦ م *

واسلحاته وأخذ الناس بالاقناع سبباً في دخول كثير من الفارسيين
والأتراك في الاسلام . فلقد كان يهدف الى ما تحلم به الانسانية اليوم
وان يحل الاقناع محل السيف فلما كتب اليه الجراح عبد الله بن معمر
المسكري انه لا يصلح اهل خراسان الا السيف أنكر ذلك وعزله (١)

ونحن ندرك من خبر يحكيه البلاذري ان بعض رؤساء هذه البلاد قد
تأثروا بسياسة عمر واعجبوا بمسلكه فبلغ بهم اخلاصهم ان تسموا باسماء
العرب . قال (وكانت خلافة عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم
الى الاسلام والطاعة على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم
وقد كانت بلقتهم سيرته ومذهبه فأسلم حليشة والملوك وتسموا بأسماء
العرب) (٢) .

ولم يكن الا أن يسلم الرجل منهم حتى تتحقق له حقوق العربي
وكانت الظروف العقائدية مهيأة لتقبل الاسلام فقد كانت الزردشتية شديدة
على من شذ عنها - أو وسيلة الى جاء (٣) فتناقص عدد الزردشتيين
بدخولهم في الاسلام أو دخول الكثيرين منهم حتى شكوا عامل خراسان
الى عمر بن عبد العزيز قلة الجزية فأرسل اليه كلمته المشهورة : ان الله
بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً - ولم يبعثه جابياً .

ولقد علق الأستاذ جب على مسلك القائد العربي قتيبة الباهلي حين
عهد بالوظائف الى حكام ايرانيين بقوله : (كأنما كان يرى فيهم عشيرته
اذ كانت تنقصه العشيرة القوية من العرب) (٤) ونحن يهنا هذا الشق
من الخبر الذي يمثل مسلك القواد المسلمين وسماحتهم وكياستهم أما
ما ذهب اليه الأستاذ جب من أن قتيبة كانت تنقصه العشيرة القوية من

(١) فتوح البلدان للبلاذري ٤٣٢ ط الموسوعات .

(٢) فتوح البلدان ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٣) مقال للاستاذ عبد الوهاب عزام مجلة الرسالة عدد اول فبراير سنة ١٩٣٢م .

(٤) Gibb, H.A.R., The Arab Conquest in Central Asia, p. 30.

العرب ففي حديثنا عن الباهليين في كتابنا (الأصمعي الراوية) ما يصحح هذا الرأي اذ كانت باهلة بالرغم مما قيل فيها من الهجاء في عداد القبائل الكبيرة والتي أنجبت من القواد والشوامخ ما ينفي هذا الذي ذهب اليه جب •

والفرس في عهد الدولة العباسية أكثر ميلا الى هذه الدولة فهم أخلص دعائهم واليهم يرجع الفضل في اقامتها - وكان أبو مسلم خراساني مسلما غيورا أسلم من اجله كثير من دهاقين افرس (١) وبقي الترابط واضحا في أقوال المؤرخين بين هذه الدولة وبين رجالات الفرس سواء كان ذلك تعبيرا عن حسن اسلامهم أو ولانهم للدولة العباسية فالملقدسى يحكى عن ابن قتيبة في وصف أهل خراسان (انهم أهل الدعوة ، وأنصار الدولة لما أتى الله بالاسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبة وأشدهم اليه مسارعة منا من الله عليهم - أسلموا طوعا ، ودخلوا فيه أقواجا ، وصالحوا عن بلادهم صلحا فخفف خراجهم وقلت نوائبهم ولم يجب عليهم سبي ولم يسفك فيما بينهم دم مع قدرتهم على القتال وكثرة العدد وشدة البأس) (٢) •

ربط الدين بين العرب وبين من أسلم من هذه البلاد وفيهم من حسن اسلامه وأقبل على علومه بقلب عامر بالايمان يبتغى مرضاة الله في كل جهد يبذله حتى كان منهم أساطين العلوم الاسلامية فمن رجال الحديث أبو عبد الله البخارى ، ومسلم بن الحجاج ، وأبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذى ، وأبو عبد الرحمن النسائي ، وأبو عبد الله النيسابورى •

ومن أئمة الفقهاء : أبو بكر محمد بن المنذر النيسابورى وأبو منصور

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية ١ : ٢٠٢ كارل بروكلمان ط بيروت سنة ١٩٥٣ •
(٢) احسن التقاسيم ٢٩٣ •

الماتريدى (شهرة الماتريدى أنه من أهل الكلام وأنه برع فى الفقه)
وأبو حاتم محمد بن حيان التميمى السمرقندى ، ومحمد بن على القفال
الشاشى ، وأبو الليث نصر بن محمد السمرقندى وليس فى رجال
التفسير حتى القرن الرابع كمحمد بن جرير الطبرى بل كان علما من
أعلام التاريخ واللغة أيضا •

ومن اللغويين الذين أنجبته هذه البلاد : أحمد بن محمد الحارزنجى
البشتى ٣٤٨ هـ صاحب تكملة العين وشارح أبيات أدب الكاتب ،
وأبو منصور الأزهري ٣٧٠ هـ صاحب التهذيب فى اللغة ، وأحمد
ابن فارس صاحب المقاييس والمجمل وأبو هلال العسكري ٣٩٥ هـ صاحب
كتاب الفروق اللغوية ، وأبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ٣٩٨ هـ
صاحب الصحاح ، وأبو منصور الثعالبي ٤٢٩ هـ صاحب فقه اللغة • وإذا
كنت قد أشرت الى هؤلاء الاعلام وأكثرهم يعيش فى أواخر الفترة التى
نؤرخ لها فإن هذه النتيجة تكشف عن بداية خصبة أتت ثمارها يتعين علينا
تفصيل الكلام فيها •

لم يمض وقت كبير بعد الفتح حتى وضع فى هذه البلاد وجهها
العربى فبنيت المساجد وعمرت بالعلماء والمتعلمين وأخذت الرواية سمتها
الذى اتخذته فى بلاد العراق ، فبالإضافة الى هذه الشحنة الهائلة من
اللغة التى حملها أصحابها العرب وفيهم اليمنى والمضرى والتميمى كان
الولاة الذين رأسوا هذه البلاد يستعينون فى ادارتها فقهاء العرب وعلماءها
وكتابتها وشعراءها - أو يزينون بهم مجالسهم ، ورأينا قدامى الرواة
يأخذون أماكنهم فيها - كان يحيى بن يعمر العدوانى ، ونحن نعلم أنه
كان على رأس رواة البصرة وأقدمهم يكتب ليزيد بن المهلب الذى كان
يتقلد خراسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى ، ولقد أثار يحيى دهشة
الحجاج عندما ورد عليه كتاب من خراسان بعد ان ظفر يزيد بن المهلب

بعد الرسس بن العباس بن ربيعة بن الخارث يقول فيه على لسان يزيد :
 (انا لقينا العدو فمحننا الله اكثافهم ، فقتلنا طائفة ، واسرنا طائفة ولحقت
 بروس الجبال وغرائر الأودية وأهضام النيطان وأثناء الأنهار فبتنا بمرعرة
 الجبل وبات العدو بحضيضه) فقال الحجاج : من يكتب ليزيد بن المهلب ؟
 فقيل له : يحيى بن يعمر فكتب الى يزيد يأمره بحمله اليه على البريد
 فقدم اليه فرأى أفصح انسان فقال له : أين ولدت ؟ قال : بالاهواز .
 قال : من أين هذه الفصاحة ؟ فقال : حفظت كلام أبي وكان فصيحاً (١)
 واذن فقد كان بالاهواز من تؤخذ عنهم العربية والفصاحة كهذا العدواني
 وأبيه .

وكثير من الرواة ورد ذكرهم في هذه البلاد فسيويه رحل الى
 فارس بعد المناظرة التي عقدت بينه وبين الكسائي في بغداد وأقام بها
 عشر سنوات . ذكر ذلك أحمد بن يحيى ثعلب في أماليه فقال : (قدم
 سيويه العراق (يقصد بغداد) في أيام الرشيد وهو ابن نيف وثلاثين سنة
 وتوفي وعمره نيف وأربعون سنة بفارس) (٢) ويروى الزبيدي في
 طبقات التحويين واللغويين ان الأصمعي مات بمرور خراسان (٣) واذا كانت
 أكثر الأخبار تشير الى وفاة الأصمعي بالبصرة فلقد ذكر ياقوت خبراً نفهم
 منه أنه زار فارس وزار قبر سيويه وقرأ على القبر أبياتاً من الشعر
 ذكرها ياقوت (٤) .

وكان في صحبة المأمون في مرو أحد معاصري الأصمعي وفي طبقة
 وهو أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي وكان يؤدب المأمون وظل في
 خراسان الى أن مات بها سنة اثنتين ومائتين (٥) كما كان في صحبته أيضاً

(١) الوزراء والكتاب ٤٢ ط الحلبي سنة ١٩٣٨ م .

(٢) معجم الأدباء ١٦ : ١١٥ .

(٣) طبقات الزبيدي ١٩٢ .

(٤) معجم الأدباء ١٦ : ١١٦ .

(٥) معجم الأدباء ٣٠ : ٣١ .

أبو فید مؤرّج السدوسی وألف فی مرو کتابه فی غریب القرآن ورواه عنه أهلها (١) ومؤرّج أحد ثلاثة یعتبرهم الآخفش أمثل غلمان الخلیل (٢) والکسائی زار هذه البلاد وتوفی بالری (٣) وقیل فی طرسوس •

وهناك أسباب عدیة لانت تربط علماء العراق بهذه البلاد الشرقة فقد هرب إليها أبو خلیفة الفضل بن الحباب الجمحی ابن أخت محمد بن سلام الجمحی وراوی کتابه طبقات فحول الشعراء فی ثورة الزنج ونزل فی کور الأهواز (٤) كما نزل القاسم أبو ذکوان الراویة سیراف لنفس السبب (٥) •

وكان بعض العلماء یذهب إليها متآجرا بعلمه أو علم غیره یعرض علی رؤساء هذه البلاد کتب قدامی الرواة یرغبهم فیها أو فی نسخها ، كان أبو الحسن بن المغیره الأثرم صاحب أبی عینة وورقه یروی کتبه کلها وکتب الأصمعی أيضا فی بلدة تسمى بندینج ، ذکر ذلك یاقوت فی ترجمة أبی بشر الیمان بن أبی الیمان (٦) •

وأقدم الخصب بن أسلم أبا محمد الباهلی صاحب الأصمعی الی اصبهان فلما تأهب الباهلی للحج أودع کتبه محمد بن العباس وكان یؤدب أولاد عبد الله بن الحسن فأنسخها محمد بن عبد الله الناس ، فلما قدم الباهلی وعرف الخبر قامت قیامته لما كان یأمل فیها من التکسب (٧) •

(١) تاریخ بغداد ١٣ : ٢٥٨ •

(٢) تاریخ بغداد ١٣ : ٢٥٩ •

(٣) معجم الأدباء ١٣ : ١٦٧ •

(٤) معجم الأدباء ١٦ : ٢١١ •

وانباه الرواة ٣ : ١٠ •

(٥) المصدر السابق ١٦ : ٢٣٦ •

(٦) معجم الأدباء ٣٠ : ٤٦ •

(٧) معجم الأدباء ٢ : ٢٨٥ •

نستطيع القول بان هؤلاء الرواة الوافدين كانوا نواة الرواية اللغوية في هذه البلاد أو عاملاً من عوامل توجييه أهل البلاد اليها وهم يرون اللغة أساساً من أسس التعرف على أصول دينهم •

ويكاد يقف دور قدامى الرواة الوافدين عند هذا الحد فلم أجد لهم مجالس عامة يغشها عامة الناس وكانت إقامة الرواة في كثير من الأحيان تنتهي بانتهاء مهمة الولاية فلا يلبثون ان يعودوا الى العراق وانما ازدهرت الرواية اللغوية والعلوم الاسلامية على أيدي الناشئين في هذه البلاد والذين كانوا خليطاً من العرب والفرس والترك وحدهم الدين وجمعهم حول أصوله وعلى رأس هذه الأصول القرآن والسنة واللغة ، فأخذوا ما تيسر في بيئاتهم هذه ثم يمموا شطر العراق وتجاوزها بعضهم الى البادية • فالنضر بن شميل ولد في مرو ونشأ بها حتى اذا بلغ مبلغ التحصيل ذهب الى البصرة وتلقى علومه على الخليل بن أحمد ثم رأى أن يسلك مسلك كبار الرواة فأقام في البادية زمناً كما أخذ عن فصحاء الأعراب الذين جاءوا الى البصرة فأفاد من أبي خيرة وأبي الدقيش وغيرهما (١) ثم عاد الى مرو وله صحبة مع المأمون فيها •

والليث بن المظفر - وهو عربي الأصل - وحفيد نصر بن سيار حاكم خراسان من قبل هشام بن عبد الملك - ممن رحل الى العراق وأخذ عن الخليل بن أحمد في البصرة وطالت صحبته للخليل وشارك في وضع كتاب العين على النحو الذي بيناه في كتابنا (رواية اللغة في العراق) •

الوفود تتجه الى البصرة :

بدأت الوفود تتجه الى البصرة من عصر مبكر حينما كانت البصرة تنفرد بهذا اللون من الدراسة وتكاد أخبار هذه الوفود تدور حول

(١) نزعة الألبا ١١١ •

البصرة وحدها - يقول التوزي فيما يحكيه عنه محمد بن يزيد المبرد (كنا عند الأصمعي وعنده قوم من خراسان وأقاموا على بابيه فقال له قائل منهم : يا أبا سعيد • خراسان يرجف بعلم البصرة وعلمك خاصة وما رأيت أصح من علمك • فقال لا عذر لي ان لم يصح علمي • دع من لقيت من العلماء والفقهاء والرواة للحديث والمحدثين ولكن قد لقيت من الشعراء والفصحاء وأولاد الشعراء •••) وذكر رجلا (١) وأساتذته أبي العلاء - وهو أهوازي المولد - بصريون فقد تلقى علومه على الأصمعي وأبي عبيدة (٢) وأبي زيد الأنصاري (٣) كما أخذ سليمان بن معبد المروزي عن الأصمعي والنضر بن شميل (٤) وأدرك أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن هانيء النيسابوري أوائل الرواة في البصرة وروى عن أبي زيد كتاب النوادر (٥) ووفد الى أبي حاتم شهاب من نيسابور فقال له : يا أبا حاتم اني قدمت بلدكم وهو بلد العلم والعلماء وأنت شيخ هذه المدينة وقد أحببت أن اقرأ عليك كتاب سيبويه فقال : الدين النصيحة ان اردت أن تنتفع بما تقرأه فاقراء على هذا الغلام - محمد بن يزيد (٦) •

انتقال النشاط الى بغداد :

فلما انشئت بغداد وعمرت بها مجالس العلم رحل اليها وفود المشرق وكان بها عامة رجال الكوفة فأتىح للوافدين الأخذ عن رجال البصرة في البصرة ورجال الكوفة في بغداد - ففي رحلة أبي عمرو الهروي للعراق أخذ عن أبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ،

-
- (١) انظر المنتقى من أخبار الاصمعي لضياء الدين المقدسي نشره عز الدين التنوخي ط المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٣٦ •
 (٢) معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٦ •
 (٣) المصدر السابق ١١ : ٢١٤ •
 (٤) نفس المصدر ١١ : ٢٥٧ •
 (٥) انباء الرواة ٢ : ١٢٧ •
 (٦) انباء الرواة ٣ : ٢٤٢ - ٢٤٣ •

والأصمعي وأبى حاتم السجستاني والرياشي من البصريين كما أخذ عن ابن إعرابي وسلمة بن عاصم والفراء من الكوفيين •• ثم رجع إلى خراسان وأخذ عن أصحاب النضر بن شميل والليث بن المظفر (١) ونشأ عسل بن ذكوان في عسكر مكرم وطلب العلم في العراق فأخذ عن المازني والرياشي - وكان يربط العرب منهم بالعراق حين إلى أصلهم العربي ورغبة في تذوق العربية الصحيحة فكان محمد بن أحمد الأبيوردي الذي ينسب نفسه إلى أصل عربي يرحل إلى العراق ليمرن طبعه على العربية ، وقد ظل بها عشرين سنة (٢) والأمثلة على رحلاتهم إلى العراق في سبيل التلقى عديدة يشق حصرها (٣) •

الرحلة إلى البادية :

ورأى بعضهم أن يتجاوز العراق إلى البادية فرحل إليها النضر بن شميل ، والليث بن المظفر ويقال في سبب رحلة الليث أن المظفر بن سيار مر به عتاق ، وابنه الليث قد حضره فقال له وإراد أن يخبره : ما هذا ؟ فقال (بز) بالفارسية فقال : لأسيرتك إلى حيث لا تعرف (بز) فسيره إلى البادية •• ففيها تأدب (٤) ويبدو أن الرحلة إلى البادية كانت تقليدا لما كان يجري في العراق ، ودلالة على تمام العالم بعد أن رأوا آثار البادية في علماء العراق فتعملوا لذلك وبالغوا في هذا العمل كما يدل ذلك الخبر التالي :

يشير ياقوت وهو يترجم لمحمد بن أحمد الغندجاني اللغوي إلى رجل اسمه أبو الندى فقال : (••• ولم يذكر لي من لقيته من شيوخ

(١) نزهة الألباء ٢٥٩ ؛ وبغية الوعاة ٢٢٦ ، وانباء الرواة ٢٧٧ •

(٢) معجم الأدباء ١٧ : ٢٤٤ •

(٣) انظر مثلا انباء الرواة ١ : ١١٠ و ١١١ •

ومعجم الأدباء ١٧ : ٤٥ و ١٤ : ٧٧ و المزهر ١ : ٧٨ •

(٤) معجم الأدباء ١٧ : ٨٠ •

ملاد فارس من فضل أبي الندى الا أنه غاب عن أهله مرة وأقام في البادية سنين عدة وعاد يروى ويخبر وكان له ابن فأخذ يطليه بالزيت ويقفه في الشمس بالغندجان وهي حارة جدا ، ولم يزل يفعل به ذلك ليكون أسمر اللون كالعرب حتى مات ذلك المسكين (١) وترجم مرة أخرى للحسن بن أحمد الاعرابي الغندجاني فذكر أنه كان يتماطي تسويد لونه وأنه كان يدهن بالقطران ويقعد في الشمس ليحقق لنفسه التلقيب بالأعرابي (٢) - وهذا الخبر وإن لم يفصح عن ذهاب الحسن بن أحمد الى البادية الا أنه يكشف الى أى مدى كانت تهفو أنفسهم للتعلق بالاعراب والتشبه بهم .

والأزهري صاحب التهذيب يشيد في مقدمة كتابه بالمناسبة التي واثته وتحقق له بسببها ان يسمع من الاعراب في البادية حين وقع أسيرا في أيدي القرامطة (٣) .

كتب العراق في البلاد الشرقية :

لم تقتصر الفائدة المرجوة من هؤلاء العلماء الذين رحلوا الى العراق على ما حصلوا من علم ، بل عادوا ومعهم الجليل من الآثار اللغوية التي ظهرت بالعراق ، وكان رؤساء هذه البلاد يحتفون بالعلماء ويدنونهم من مجالسهم ويتسابقون في ذلك - وبسبب السخاء الذي عرف عن هؤلاء الأمراء حملت اليهم الكتب طمعا فيما كانوا يدفعونه ثمنها أو مكافأة على تأليفها حتى ظهرت بعض الكتب القيمة في خراسان قبل ان تظهر في العراق . فكتاب العين لم يظهر في العراق الا بعد موت الخليل بزمان طويل حين قدم به وراق من خراسان في ثمانية وأربعين جزءا في سنة

(١) معجم الأدباء ١٧ : ١٦٤ .

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٦٤ .

(٣) مقدمة تهذيب الأزهري .

ثمان وأربعين ومائتين فباعه بالعراق بخمسين دينارا وكل ما كان يعرفه علماء العراق بشأنه أنه موجود في خراسان في خزائن الماهريين فلما وصل على هذه الصورة ارتابوا في صحته وانكره أبو حاتم (١) وكتار الأصمعي في النوادر - ويبدو أنه كان كتابا قيما ، وجده صاحبه أمثل كتبه فاهداه لجعفر بن يحيى البرمكي في بغداد - هذا الكتاب يظهر في البصرة في آخريات أيام الأصمعي • وفد جاء به أبو ربيعة صاحب عبد الله بن طاهر من خزانة الطاهريين ووضعه بين يدي الأصمعي ، فجعل الأصمعي ينظر فيه ثم قال : ليس هذا كلامي كله - وقد زيد على فيه فان أحببتهم أن أعلم ما أحفظ منه وأضرب على الباقي فعلت (٢) والخبر لا يشير فقط الى أن الكتب - والتمين منها - كان يحمل الى البلاد الشرقية وانما يفيد الى جانب هذا ان الرواة والوراقين كانوا يضيفون الى هذه الكتب ما تشابه من مادتها - لا ميلا منهم الى ارتكاب جريمة الاتحال والوضع ولكن رغبة في زيادة ما بدا لهم صحيحا وقد أشرنا الى أن كتب أبي عبيدة والأصمعي قد أخذت طريقها الى هذه البلاد وحملها على بن المغيرة الاثرم ، وأحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي (٣) وكان تقبل الأمراء بخاصة لكتب العراقيين مشجعا على ذهاب العلماء بأنفسهم وتقديمها اليهم فكتاب البهاء للفراء قدم الى عبد الله بن طاهر (٤) وكان أبو عبيد القاسم بن سلام اذا الف كتابا حمله الى عبد الله بن طاهر فيعطيه مالا خطيرا - قال أبو عبيد : عملت كتاب الغريب المصنف في ثلاثين سنة وجئت به الى عبد الله بن طاهر فأمر لي بألف دينار ولما صنف غريب الحديث اهداه اليه

(١) الفهرست ٦٤ ط الرحمانية •

(٢) مقدمة التهذيب للازهرى •

(٣) معجم الأدباء ٢ : ٢٨٥ •

(٤) المصدر السابق ٢٠ : ص ١٣ •

يقال : ان عقلا بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لتحقيق الا يحتاج الى طلب معاش وأجرى عليه فى كل شهر عشرة الاف درهم (١) وكتب ابن دريد صارت بعد وفاته الى وراقه الفارسى على بن أحمد الدريدى (٢) كما ان الجهمرة نفسها قدمت لآل ميكال - ومن أشهر كتب أبى سعيد السيرافى ذلك الكتاب الذى شرح فيه كتاب سيبويه - وعاش أبو سعيد معظم حياته فى بغداد - ولهذا نعجب ان يشتري معاصره أبو على الفارسى الفسوى هذا الكتاب من الاهواز قبل توجهه الى بغداد سنة ثمان وستين وثلاثمائة (٣) وهو من غير شك سيجد أبا سعيد فى بغداد ولكنه قد لا يجد كتابه هناك •

وكتاب التهذيب للأزهري ظل نادرا حتى عثر عليه ياقوت فى مرو ووجده بخط الأزهري فكتب منه نسخة وعاد بها من خراسان (٤) •

وحديث الرحالة ، ووصفهم للمكتبات فى البلاد الشرقية أمر يثير الدهشة فمما يقوله المقدسى فى وصف مكتبة عضد الدولة (• • •) وخزانة الكتب حجرة على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبور كتاب صنف الى وقته من أنواع العلوم كلها الا وجعله فيها وهى (ازج) اى بيت يبنى طولا - فيه خزائن من كل وجه وقد الصق الى جميع حيطان الازج والخزائن بيوتها طولها قامة فى عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق عليها أبواب تنحدر من فوق ، والدفاتر منضده على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامى الكتب (٥) •

وكان عند صاحب من الكتب ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر

(١) المصدر السابق ١٦ : ٢٥٦ •

(٢) نفس المصدر ١٢ : ٢٢٣ •

(٣) الامتاع والمؤانسة •

(٤) انباء الرواة ١ : ٢٢٦ •

(٥) أحسن التقاسيم ٤٤٩ •

وبلغ فهرست تلك الكتب عشر مجلدات (١) وقدرت محتوياتها بمائه وستة
الاف مجلد (٢) وذكر ابن خلدان وصفا لمكتبه نوح بن نصر الساماني (٣)
لسنا في حاجة الى الاستطراد اليه .

صلة الاقليم بالعراق :

ومع هذا الذي رايانه من رغبة قوية الى التحصيل والدرس ذهبوا
بسببها الى العراق - وجاوزه بعضهم الى البادية - وعادوا يعلم غزير وكتب
قيمة فان العراق ظل قبلة الطلاب وقبلة العلماء على السواء يجذبهم مرارا
من أوطانهم ومن البيئات التي استقروا بها ، ويحقق لهم ما يصبون اليه
من اتصال بزملائهم علماء البلاد الأخرى ، وكانت بغداد تباهى (بكثرة
العلماء والمتعلمين ، والفقهاء ، والمتفقيين ، ورؤساء المتكلمين ، وسادة
الحساب والنحوية ، ومجيدى الشعراء ، ورواة الأخبار والاسباب وفنون
الآداب) (٤) فالسيرافي ، وأحمد بن محمد البشتي ، وأبو علي الفارسي ،
والأزهري ، وعلي بن عيسى الربعي ، والجوهري ، وأحمد بن فارس
وكثير غير هؤلاء يطوفون ما يطوفون ثم يعودون الى العراق وبغداد بخاصة
ويطول بنا القول لو تتبعنا كل واحد منهم لنرى كيف كان ينتقل في البيئات
العلمية المختلفة وبغداد في وسطها كقطب الرحي وحسبنا بعض الأمثلة .
من الذين حضروا الى العراق ولم يعودوا بNDAR بن عبد الحميد
الكرخي فأخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام واستقر بالعراق (٥)
أما البشتي فذهب طالبا الى العراق وأخذ اللغة والأدب عن أبي عمر الزاهد
وأبي علي اسماعيل الصفار وأبي جعفر الرزاز . . . ثم جال في خراسان

(١) معجم الأدباء ٦ : ٢٥٩ .

(٢) معجم الأدباء ١ : ٢٧٣ .

(٣) وفيات الأعيان ١ : ٢٧٣ .

(٤) تاريخ بغداد ١ : ٥١ .

(٥) معجم الأدباء ٧ : ١٢٨ .

وخرَج الى ما وراء النهر (١) وعاد الى بغداد فأعجب به أهلها من تقدمه في المعرفة باللغة وصنف كتاب تكملة العين وشرح أبيات أدب الكاتب لابن قتيبة (٢) •

وأبو علي الفارسي ولد في فسا في سنة ٢٨٨ هـ وذهب الى بغداد سنة ٣٠٧ هـ واستقر بها أكثر من ثلاثين سنة تعلم فيها وعلم (٣) ثم غادرها الى الموصل في سنة ٣٤١ هـ (٤) وزار حلب ودمشق ثم عاد الى العراق فمضى فيها نحو عامين ذهب بعدها الى شيراز وظل بها أكثر من عشرين سنة عاد بعدها الى بغداد مع عضد الدولة في سنة ٣٦٨ هـ وظل بها الى ان مات (٥) •

وعلى بن عيسى الربعي شيرازي المولد تأدب في بغداد وقرأ مختصر الجرمي على أبي سعيد السيرافي في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (٦) ثم انتقل من بغداد الى شيراز فقرأ على أبي الفارسي عشرين سنة - ثم رجع الى بغداد (٧) •

وحيث استقر بعضهم في بغداد كان رؤساء هذه البلاد يردون اليهم بأسئلتهم ويتلقون اجاباتها فمن ذلك ما يرويه ياقوت في معجم الأدباء ، وأبو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ان نوح بن نصر الساماني كتب الى أبي سعيد السيرافي وسأله عن مسائل تزيد على أربعمئة مسألة الغالب عليها الحروف ... وكتب اليه الوزير البلعمي كتابا ضمنه مسائل في

(١) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٨ - ٢٦٩ -

(٢) انباه الرواة ١ : ١٠٧ وبغية الوعاة ١٦٩ •

(٣) الامتاع والمؤانسة ١ : ١٣١ •

(٤) يقول ابن جنى : انشدنا أبو علي رحمه الله لجريز •• بالموصل سنة واحد وأربعين

الخصائص ١ : ٧٤ •

(٥) الامتاع والمؤانسة ١ : ١٣١ •

(٦) حقائق التأويل ٨٧ - ٨٨ •

(٧) معجم الأدباء ١٤ : ٧٨ •

القرآن وأمثالا للعرب مشكلة كما كتب اليه المرزبان بن محمد ملك
الديلم من اذربيجان كتابا سألته عن مائة وعشرين مسألة أكثرها في
القرآن (١) وكذلك كتب الصاحب بن عباد الى أبي علي الفارسي وهو في
بغداد يلتمس منه أن يأذن لرسوله بتصحيح كتاب التذكرة عليه (٢) •
هذه بعض الظواهر العامة في البلاد الشرقية واليك حديثنا عن
أقسامها •

(١) الامتاع والمؤانسة ١ : ١٢٩ ومعجم الأدباء ٨ : ١٧٨ •

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٣٥ •

القسم الأول :

خراسان وما وراء النهر

خراسان :

كانت تعنى كلمة خراسان فى الفارسية القديمة (البلاد الشرقية) ولهذا كانت تطلق الكلمة على جميع البلدان الشرقية بما فى ذلك بلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) (١) الذى كان بمثابة فاصل طبعى بين من يتكلم الفارسية فى الغرب ، ومن يتكلم التركية فى الشرق .

وفى خراسان أربع عواصم هى مرو ، ونيسابور ، وهراة ، وبلخ ومن بلاد خراسان الهامة بوشنج ، وبست ، وسجستان ، وسرخس ، ونسا وطوس ، وابيورد - واشتهر فيما وراء النهر بخارى ، وسمرقند وخوارزم ، وفرغانة ، واشروسنه ، واسبيجان ، وفاراب ، وترمز وزمخسر ، والجرجانية .

ومنذ فتحت هذه البلاد تعاقب عليها كثير من الولاة (٢) رأينا

(١) بلدان الخلافة الشرقية ٤٢٣ ط بغداد سنة ١٩٥٤ .

(٢) منهم : عبد الرحمن بن ابرى مولى خزاعة ، ثم جعدة بن هيرة ابن أبى وهب المحزومى . وفى عهد معاوية ولّى عليها قيس بن الهيثم السلمى فمكث سنة او قريباً منها ، وتبعه خالد بن المعمر ، ثم ضمت الى عبد الله بن عامر والى البصرة؛ وكذلك كان =

فى صحتهم علماء من رجال الرواية وافترضنا ان لهم نشاطا لغويا الا يكن واسع المدى فهو على الأقل فى مجالس هؤلاء الأمراء ، ولكن تعاقبهم ودهاب الرواة فى آثارهم مزق هذه الجهود التى كان من الممكن ان تماسك وتتضح آثارها ، ولم يتح لهذا الاقليم ان يحكم حكما مستقرا مستقلا أو شبه مستقل قبل عهد الطاهريين الذين حكموا هذه البلاد من سنة ٢٠٥ الى سنة ٢٥٩ هـ تعاقب عليها فى هذه المدة خمسة من امراء آل طاهر .

الطاهريون وآثارهم :

كان رأس هذه الأسرة طاهر بن الحسين بن رزيق من قواد المأمون وجه به الى بغداد لمحاربة الأمين فظفر به طاهر وقتله فعينه المأمون واليا على خراسان وكان طاهر جوادا كريما (١) بالاضافة الى تعلقه بالعلم وأهله - استأثر طاهر بأبى المنهال عوف بن محلم الخزاعى الأديب الراوية ثلاثين سنة لا يخرج فى سفر الا أخرجه معه وجعله زميله وأنيسه وعديله ، وكان يستأذنه فى الانصراف الى أهله فلا يأذن له - فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص ، ولكن عبد الله ابنه قربه وأنزله منزله من أبيه (٢) ويروى عن طاهر انه حدث عن عبد الله بن المبارك وعن عمه على بن مصعب وأخذ عليه ابنه عبد الله وطلحة . واستدنى هذا الأمير العالم كبار العلماء وبسط لهم فى الرزق وحملهم على ان يجودوا بعلمهم فألف الفراء كتاب المذكر والمؤنث ، وكتاب البهى أو البهاء لابنه عبد الله (٣) .

= يولى زياد بن أبى سفيان من قبله على خراسان فلما مات زياد ولى اقليم خراسان عبيد الله ابن زياد . وفى أيام الحجاج وثيها من قبله قتيبة بن مسلم ، يزيد بن المهلب ، ووكيع بن حسان التميمي . . ونصر بن سيار انظر فتوح البلدان ٤١٥ وما بعدها .

(١) نظر فى رفاع الناس فى مجلس واحد فوقع فيها صلات أحبت الف الف وسبعمائة الف فلما ذكر له هذا السرف قال : السرف شرف . تاريخ بغداد ٩ : ٣٥٤ .

(٢) قوات الوقيات ٢ : ١٤٨ .

(٣) البقية ١٧٣ ، والفهرست ١٠٠ ، وفيات الاعيان ٢ : ٣١٧ .

وسار عبد الله سيرة أبيه فشب على حب العلم واحتر
قلده المأمون ولاية خراسان وناولوه العهد بيده قال : حاجة
قال : مقضية • قال : يسعفني أمير المؤمنين في استصحاب

قال من هم ؟ قال : الحسين بن الفضل البجلي ، وأبو ...
وأبو اسحق القرشي فاجابه ... وعلق المأمون بقوله : لقد اخلت العراق
من الأفراد (١) وكان عبد الله يرفع الكلفة بينه وبين العلماء ولا يزعجهم
بتقاليد القصر (٢) فطابت اقامتهم ولم يجتمع منهم في بيت من بيوت أمثاله
الأمراء أجل ممن اجتمع في بيته - استدنى أبا عبيد القاسم بن سلام وكافأه
على مصنفاته ومنحه ألف دينار عن كتاب الغريب المصنف فتعود أبو عبيد
أن يقدم اليه كتبه فلما اهداه كتاب غريب الحديث قال : ان عقلا بعث
صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق الا يخرج عنا الى طلب معاش وأجرى
له عشرة آلاف درهم في كل شهر ولزمه بعد ذلك • ومن مظاهر احترامه
لهذا الرجل ما يرويه أبو العباس أحمد بن يحيى قال : قدم طاهر
ابن عبد الله بن طاهر من خراسان وهو حدث في حياة أبيه يريد الحج
فزل في دار اسحق بن ابراهيم (الطاهري) فوجه اسحق الى العلماء
فاحضرهم ليراهم طاهر ويقرأ عليهم فحضر أصحاب الحديث والفقه
وأحضر ابن الاعرابي وأبا نصر صاحب الأصمعي ووجه (الى أبي عبيد
القاسم بن سلام في الحضور فابى أن يحضر وقال : العلم يقصد • فغضب
اسحق من قوله وقطع عنه الرزق وكتب الى عبد الله بالخبر فكتب اليه
عد الله : قد صدق أبو عبيد في قوله ، وقد أضعفت له الرزق من أجل
فعله فاعطه فائته وأدر عليه بعد ذلك ما يستحقه (٣) •

(١) معجم الادباء ٣ : ٢٣ - ٢٤ •

(٢) حضر يوما أبو سعيد الضريع مجلسه وقدم اليه قصب السكر وقد قشر وقطع
لما كره تناوله للفاظته التي ترجع من الافواه طمأنه عبد الله بقوله : ليس صاحبك من
احتشمك واحتشمته •

(٣) معجم الادباء ١٦ : ٢٦١ •

وكان أمرا عاديا أن نرى حول هذا البيت كبار رجال البصرة وصفوة رجال الكوفة ، ويبدو ان استدعاء زعيمى البلدين الى هذه الدار كان أمرا متعمدا للاستفادة بما عندهما ومعرفة بعض وجوه الاختلاف بين المذهبين ويصف عبيد الله بن عبد الله بن طاهر مجلسا طريفا من مجالسهما فيقول :

(حضرت مجلس أخى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وحضره أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحويان فقال لى أخى : قد حضر هذان الشيخان وأنا أحب أن أعرف أيهما أعلم - أو نحو هذا من الكلام - فاجلس فى الدار الفلانية ويحضر هذان الشيخان بحضرتك ويتناظران - ففعلت ما أمر ، وأحضرا ، فتناظرا فى شئ من علم النحو مما أعرفه فكنت أشاركهما فيه الى ان دقا فلم افهم - ثم عدت اليه بعد انقضاء المجلس فسألنى فقلت : انهما تكلما فيما أعرف فشاركتهما فى معرفتى - ثم دقا فلم أعرف ما قالا - ولا والله ياسيدى ما يعرف اعلمهما الا من هو أعلم منهما ولست ذلك الرجل) (١) .

والذى يسترعى النظر تعلق العلماء بهذه البيئة وطول مكث الوافدين منهم على آل طاهر ، فقد تتلمذ عبد الله بن طاهر على أبى المنهال عينية ابن عبد الرحمن وظل معه حتى توفى أبو المنهال (٢) وظل ثعلب فى ضيافتهم ثلاث عشرة سنة (٣) وهو يصف تعلقهم به فيقول : اقعدي محمد بن عبد الله بن طاهر مع ابنه طاهر ، وأفرد لى دارا فى داره وأقام لنا وظيفة فكنت أقعد معه أربع ساعات من النهار ثم انصرف اذا اراد الغداء فمضى ذلك الى أبيه فكسنا البهو والاروقه وأضعف ما كان يعد من الألوان ، فلما حضر وقت الانصراف انصرف فمضى ذلك اليه فقال للخادم

(١) انباه الرواة ١ : ١٤٠ وتاريخ بغداد ٥ : ٦٠٦ .

(٢) معجم الادباء ١٦ : ٢٦٥ .

(٣) معجم الادباء ٥ : ١٢٦ .

المولد بنا : قد نعى الى انصراف احمد بن يحيى وقت الطعام فطنت انه يستقل ما يحضر ولم يستطب الموضع فأمرنا بتضعيفه ثم نعى اليها أنه انصرف ، فقل له عن نفسك : أبيتك أبرد من بيتنا ؟ أو طعامك أطيب من طعامنا ؟ وتقول له عنى : انصرفك الى بيتك وقت الغداء هجنة علينا ، فلما عرفنى الخادم ذلك أقمت فكننت على هذه الحال ثلاث عشرة سنة (١) .

واهتمام هذا الأمير بالأعراب الرواة بذلك على مبلغ تعلقه بالعربية وروايتها ذلك انه لما قدم نيسابور أقدم معه جماعة من أدباء الاعراب منهم : عرام ، وأبو العميل ، وأبو العيسجور ، وأبو العجس ، وعوسجة وأبو العذافر وغيرهم (٢) ويبدو انهم كانوا من الكثرة بحيث ذكر أبو حامد الخرزنجى فى مصادره كتابا باسم (نواذر الأعراب الذين كانوا مع ابن طاهر ورواها عنهم أبو الوازع محمد بن عبد الخالق) (٣) ومن أسير هؤلاء الأعراب ذكرا وأشهرهم أمرا فى بيت آل طاهر أبو العميل ، واليك ما نعرفه عنه :

أبو العميل

وهو عبد الله بن خلود (٤) والعميل اسم من أسماء الخيل ، وهو المتبحر فى مشيته ، ويبدو انه ليس جديد الصلة بالبلاد الشرقية فقل ان أصله من الرى كما يحكى ابن النديم (٥) وابن خلكان (٦) فهل يعنى هذا انه ولد بالرى أم ان هذه صفة لاجداده ؟ أميل الى الرأى الأخير لأن جده سعدا كان مولى للعباس بن عبد المطلب وعلى هذا فأبو العميل ينحدر من جيلين على الأقل نشأ فى بنى هاشم ، ولم تكن

(١) معجم الأدباء ٥ : ١٢٦ .

(٢) معجم الأدباء ٣ : ١٧ .

(٣) انباء الرواة ١ : ١٠٩ .

(٤) هكذا فى فهرست ابن النديم ص ٧٢ وفى وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٥ وفى المخطوطة

المنسوبة له باسم الماتور (ابن خالد) .

(٥) الفهرست ٧٣ .

(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٥ ط السعادة سنة ١٩٤٨ .

لتتحقق له صفة الأعرابى لو لم يقض شطرا طويلا من حياته فى البداية •

خدم أبو العميش طاهر بن الحسين ، ومن بعده عبد الله بن طاهر ونشأت صداقة وطيدة بين عبد الله وبين أبى العميش ، دخل عليه يوما وقبل يده فقال له عبد الله مازحا : خدشت يدي بخشونة ذقنك • فقال أبو العميش على الفور : ان شوك القنفذ لا يؤلم برثن الأسد فأعجبه قوله ، وحجب عنه مرة فأنشد :

سأترك هذا الباب ما دام اذنه على ما أرى حتى يخف قليلا
إذا لم أجد يوما على الاذن سلما وجدت الى ترك اللقاء سيلا

فبلغ ذلك عبد الله فأمر بإيصاله على أى حال كان (١) •

وكان أبو العميش من المتحذلقين ، يفخم كلامه ويعربه ، ومن كتبه :

- كتب المشابه •

- كتاب الأبيات السائرة •

- كتاب معانى الشعر •

- كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه •

ولم يرد إلينا الا الكتاب الأخير الذي نعرف به الآن •

طبع هذا الكتاب بعناية الدكتور ف • كرنكوى بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٥ م وجاء فى الصفحة الأولى : (الكتاب المأثور عن أبى العميش الأعرابى وهو كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه) - وفى الجهة المقابلة مقدمة باللغة الألمانية عرف فيها كرنكوى بأبى العميش ولم

(١) الفهرست ٧٣ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٧٥ •

يزد على ما ذكره ابن النديم في الفهرست وابن خلكن في انوفيت - ثم عرف بالكتاب وتحدث عن مسلكه في تحقيقه ونحن نقل عنه ما يلي موجزا :

(بقي لنا من كتب أبي العميش هذا الكتاب في المخطوطة التي اكتشفها الهر O'RESCHER في مكتبة بايزيد والتي كتبت في سنة ٢٨٠ هـ وهي أقدم مخطوطة عربية في الأدب موجودة في أوروبا ٠٠٠ والمخطوطة كلها في حالة جيدة رغم قدم تاريخها لولا ان بعض المواضع قد طمست بسبب عمليات الترميم التي غطت سطرا أو سطرين أحيانا ٠٠٠ وقد حاولت اكمال هذا النقص اما بمعونة السياق أو بالاستعانة بالمواضع المتشابهة لها في كتب أخرى ووضع هذه التكملة بين قوسين ٠٠٠

وليس للكتاب في هذه المخطوطة عنوان ويبدو أن عنوان الكتاب كان مع اسناده على ورقة واحدة قد فقدت . وبالإضافة الى ذلك فإن ترتيب الكتاب في المجلدة ليس الترتيب الصحيح ، وبالرغم من اني قمت بترتيب الصفحات فانه يخشى ان تكون هناك أوراق مفقودة بعد صفحة ٢٩ و صفحة ٤١ لأن صاحب معجم البلدان ينسب الى أبي العميش معنى الكلمتين غينة وغيضة (١) والكلمتان لا توجدان في الكتاب (٢) .

وعقب الدكتور كرنكوى على طريقة أبي العميش بقوله :

(بدون خطة يمكن تمييزها أورد المؤلف سلسلة من الكلمات وأعطى لكل كلمة الشروح التي ترد على خاطره دون ان يحاول استكمال كل

(١) و (٢) والرأى عندي أن وجود الكلمتين في معجم البلدان منسوبة إلى أبي العميش مع خلل كتابه منهما لا يعني بالضرورة فقدان أوراق من الكتاب لأن أبا العميش لم يتبع طريقة تمكنه من حصر الكلمات التي يعرفها ويضخها إلى كتابه ولقد اتبع لي مصادفة ان أجد في لسان العرب كلمة العالج بمعنى الرغيف عن أبي العميش . مادة علاج وقبـ
أورد أبو العميش الكلمة في كتابه وذكر لها ثلاثة أوجه .

المعاني التي يمكن ان تدل عليها هذه الكلمة - ويقول - : ان بإمكاننا في عدة مواضع ومن القواميس الكبيرة ، ومن استعمال الشعراء القدامى ان نزيد عدد المعاني للكلمات التي يتحدث عنها ، ولكن سلوكا كهذا سيؤدى الى البعد كثيرا عن نهج الكتاب لو اتلأسنا في هذا السلوك الى مدهاء...

والمؤلف يروى حشدا من الأبيات للشعراء القدامى ولكنه حين يضطر يستعمل أبياتا لشعراء متأخرين فقد ذكر البرامكة مثلا في صفحة ٥٥ من المخطوطة وقد وجدنا بعض أخطاء نسلم أنها تعود الى الناسخ (أبى الجهم) كما يسمى نفسه في آخر المخطوطة وقد وقع منه على الأقل من حين لحين ان يترك الأجزاء الأخيرة من قصيدة أو بيت لمجرد ان السطر لم يكف أو لمجرد النسيان .

هذه الغلطات - قمت أنا - كلها كان ذلك ممكنا - بتصحيحها وحررت أيضا ، وبغاية ما استطيع مواضع الشعراء وفي هذا السبيل أمكنتى فى كثير من الابيات التى ذكرت كمجهولة القائل ان أكملها باسم الشاعر ووضعت بين قوسين) .

وقد لاحظنا - بالاضافة الى هذه الملاحظات التى ذكرها الدكتور كرنكوى ان صاحب الكتاب الذى لم يستند الى خطة معينة فى ترتيبه كان يعود فيستدرك على مادة استوفى الحديث عنها كان يقول فى (الغراب) ثلاثة أوجه ص ١٢ ثم يعود فى صفحة ٦٤ فيستشهد لمعنى من معانيها بشعر للنابغة ورجز لراجز لم يذكر اسمه .

وكذلك الأمر فى كلمة الرؤبة التى تحدث عنها فى صفحة ١٧ بقوله : (الرؤبة بالهمز القطعة من الحشب تشعب بها التلثة من الاناء أو من الحجارة يشعب بها ثلثة قدير الحجارة وبها سمي رؤبة بن المعجاج ، هذه

وحدھا مهموزة) ثم عاد فی صفحة ٥١ فقال : الرؤبة بالهمز ما شعبت به
القدح قال ذو الرمة :

تهدى فطاحت رؤبة من صميمه فبتدل اخرى بالغراء وبالشعب

- وفي كلمة انصب قل : هي على ثلاثة اوجه ولم يذكر الا وجهها

واحدا (ص ٤١ - ٤٢) •

أما الملاحظة الهامة فتمثل في رواية الكتاب ، فقد استقر في نفوسنا
ان الاعراب كانوا دعامة كبيرة من دعائم التلقى إستنادا الى سديقتهم وذا
اختلف الرواة العلماء ذهبوا يستوثقون من فطرة الإعراب الرواة ، ولكن
الأمر في كتاب المأثور عن ابي العميل يجري على غير هذا ، فهو يروي
عن أبي عمرو (١) وعن الأصمعي (٢) والكسائي (٣) وابن الإعرابي (٤)
أو يقول : (وسمعت بعض أصحاب العربية) (٥) وأكثر من هذا يروي عن
روى عن الأصمعي فيقول (حكى ذلك أبو نصر) أي أحمد بن حاتم وهذا
بخالف منهج الاعراب الذين لم نجد منهم من تلمذ لعلماء الرواية غير
أبي مسحل الذي تحدثنا عنه في كتابنا رواية اللغة ضمن أعراب بغداد
حين أخذ النجو عن الكسائي وروى شعير السواهد عن علي بن المبارك -
ولكن المقارنة بين أبي مسحل وأبي العميل تختلف ، فالأول أعرابي
استهوته الدراسة العقلية ورأى فيها كليات اللغة التي تجري سديقتها على
لسانه - أما مادة الكتاب الذي نعرف به الآن فشيء تمدنا به فطرة العربي
وسعة معرفته بلغته والكلام عن المشترك اللفظي كلام نقل لا عقلي - ولهذا
فإنني أرجح وجود اضافات أدخلت من الكتاب على يد أبي سعيد الضرير

(١) ص ٢٥ •

(٢) ص ١٨ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٧٧ • (٣)

(٤) ص ٢٥ •

(٥) ص ٣٢ - ٣٧ - ٧٣ - ٨١ - ٨٥ •

(٥) ص ٤٧ •

الذى يغلب على الظن أيضا انه راوى الكتاب استنادا الى اشارات فى الكتاب منها :

— قال أبو سعيد : الدخل دون العصفور ص ٣٨ ،

: والامة الامام الذى يؤتم به الشئ ، ومنه قوله
ابراهيم كان امة قاتنا (وقياسه من الكلام هزأة ولعبة
وضحكة ص ٤٤ - وكلمة القياس مما يتحدث به
الرواة العلماء لا الأعراب *
: والحصير البخل ، والحصير الضيق الصدر ، والحصير
العيى ص ٤٨

: وفى ص ٧٠ أنشد أبو سعيد للطرماع ...

ويبدو ان الوراقين قد شاركوا أيضا فى اضافة زيادات الى متن الكتاب
يدلك على ذلك هذه العبارة (الطريدة على ثلاثة أوجه ... والطريدة لعبة
يقال لها المبنية لم يعرفها أبو سعيد ولا الأعراب) ص ٥٢ *
أما صلة أبي سعيد الضرير بهذه البيئة ، وبابن الأعرابي الذى روى
عنه كثيرا فى الكتاب ، وبرؤية والعجاج وقد استشهد بكثير من ارجازهما
فتوضحه هذه العبارة التى جاءت فى كتاب نكت الهميان فى ترجمة أبي
سعيد :

(... وكان يلقي الاعراب الفصحاء الذين استوردتهم ابن طاهر الى
نيسابور فيأخذ عنهم مثل ... وأبو العميل) (١) أما صلته بابن الاعرابي
فانه تلمذ له وأخذ عنه أشعار العجاج ورؤية ذكر ابن الأعرابي لبعض
من لقيه من الحراسانية فقال : (بلغنى ان أبا سعيد الضرير يروى عنى
أشياء كثيرة فلا تقبلوا منه من ذلك غير ما يرويه من أشعار العجاج ورؤية
فانه عرضهما على وصحهما) (١)

(١) نكت الهميان فى نكت العيان ٩٧ *

وليس كتاب أبى العميشل فيما حمله من زيادات نذودا فيما ورد الينا من كتب القدامى فلقد بلغت الزيادة كما رأينا فى كتاب النوادر للأصمعى الذى وجد فى خزائن آل طاهر أكثر من الثلث • ولقد ناقشنا هذا الموضوع فى كتابنا (رواية اللغة) فى سياق حديثنا عن كتاب العين المنسوب للخليل كما أشرنا فى هذا السياق الى الزيادات التى داخلت كتاب النوادر لابى زيد والنقائض لابى عبيدة •

ويعتبر كتاب أبى العميشل (ما اتفق لفظه واختلف معناه) من أقدم الكتب التى تناولت المشترك اللفظى •

أما بقية الاعراب الرواة فى بيئة آل طاهر فبالرغم من كثرتهم فالحديث عنهم قليل ولم أجد من أخبارهم الا أن (عوسجة) ممن استقدمهم عبد الله ابن طاهر وتأدب عليه أحمد بن خالد البغدادى (أبو سعيد الضير) (١)

ثم كان السامانيون على سيرة اسلافهم يعظمون العلم ويحترمون العلماء يذكرهم المقدسى بقوله (وهم من أحسن الملوك سيرة ونظرا واجلالا للمعلم وأهله • • ومن أمثال الناس : لو ان شجرة خرجت على آل سامان ليست • • • ومن رسومهم انهم لا يكلفون أهل العلم بتقيل الأرض ولهم مجالس عشيات جمع رمضان للمناظرة بين يدى السلطان فيبدأ هو مسألة ثم يتكلمون فيها) (٢) •

فى مثل هذه البيئات وجود العلماء ، وتنفق سوق العلم ونحن نتحدث عن أهم البيئات العلمية التى نشأت فى ظل الولاة الذين عرفوا بتشجيعهم للحركة العقلية والفكرية فى شرق العراق •

(١) بغية الوعاة ١٣٢ •

(٢) أحسن التقاسيم ٣٣٨ - ٣٣٩ •

نيسابور

تعريف موجز :

من أصح بلاد خراسان هواء ، نقل إليها الطاهريون دار الامارة ، وكانت مرو وبلخ عاصمتي خراسان عند الفتح الاسلامي فنفق علمها في جانب الأمراء ، وظلت كذلك في عهد السامانيين وصفها المقدسي في عهدهم بقوله : (... ونيسابور رسوم حسنة منها مجالس المظالم في كل يوم أحد وأربعاء بحضرة صاحب الجيش أو وزيره ... وحوله القاضي والرئيس والعلماء والأشراف ، ومجلس الحكم كل يوم اثنين وخميس بمسجد رجا لا ترى في الاسلام مثله ، ولوجوه البلد بالغدوات مجالس على أيام الجمعة يجتمع فيها القراء يقرءون الى ضحى) (١) ويقول فيها ياقوت (معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها) (٢)

وليس من منهجنا ان نعرض لجميع علماء هذا البلد وفيهم صاحب الفلسفة ، والقارئ ، والعاكف على الحديث والفقيه ، والاصولي مع علماء ان هؤلاء جميعا يلتزمون اللغة على تفاوت وليس لواحد منهم ان يستغنى عن طلبها ، ولكن المضي في التتقيب والبحث على هذا الشمول يخرج عن الاطار الذي حددناه لهذا الكتاب وحسبنا من هؤلاء علماء اللغة وشوامخها بخاصة . فمن قدامي اللغويين في هذا البلد أبو المنهال عينة بن عبد الرحمن

(١) أحسن التقاسيم ٣٢٨ •

(٢) معجم البلدان ٨ : ٣٥٦ •

الملمهي ، وهو أحد تلامذة الخليل بن أحمد ، صاحب أبا العباس عبد الله ابن طاهر بن الحسين . ولأبي المنهال كتاب النوادر وكتاب الشعر (١) ولم يقع الى واحد منهما .

ووافي نيسابور مع عبد الله بن طاهر - أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الضريير قداما من بغداد وكان قد تزود من أبي عمرو الشيباني وعرض ديواني رؤبة والعجاج على ابن الاعرابي (٢) وسمع في مجلسه شعر الكمي (٣) وأفاد من الاعراب الرواة الذين وجدتهم في نيسابور فعقد مجالسه في هذا البلد وأملى المعاني والنوادر ، ونظر في كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام فخرج جملة مما غلط فيه . ومن تصانيفه : كتاب الرد على أبي عبيد في غريب الحديث وكتاب الأبيات (٤) وروى كتاب أبي العيثل الاعرابي (ما اتفق لفظه واختلف معناه) .

الخارزنجي صاحب كتاب التكملة :

ومن علماء نيسابور أبو حامد أحمد بن محمد الخارزنجي البشتي صاحب كتاب التكملة أو ما الى انه كمل به كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد وقد أثار إعجاب البغداديين لتقدمه في المعرفة باللغة فقليل : هذا الخراساني لم يدخل البادية قط وهو من آدب الناس فقال : انا بين عربيين بشت وطوس ، يشير بذلك الى الأعراب الذين نزلوا فيهما (٥) .

ولما فات أبو حامد ان يسمع من علماء اللغة اعتمد على الوجدادة ولم يترك شامخا من شوامخ الرواية اللغوية الا نظر فيما تيسر له من كتبه ولقد أثبت في صدر كتاب التكملة مراجعة فكان منها :

(١) معجم الادباء ١٦ : ١٦٥ و انباء الرواة ٢ : ٣٨٤ و بغية الوعاة ٣٧١ .

(٢) معجم الادباء ٣ : ١٨ ، انباء الرواة ١ : ٤١ .

(٣) معجم الادباء ٣ : ٢٥ .

(٤) معجم الادباء ٣ : ١٧ .

(٥) معجم الادباء ٤ : ٢٠٦ .

لأبى سعيد عبد الملك الأصمعي: كتاب الأجناس ، النوادر ، الصفات
اشتقاق الأسماء ، السقى والموارد ، الأمثال ،

• ما اختلف لفظه واختلف معناه •

ولأبى عبيدة معمر بن المثنى : كتاب النوادر ، الحيل ، الديباج •
وللنضر بن شميل : معانى الشعر ، ومعانى غريب الحديث •
ولأبى عبيد القاسم بن سلام : كتاب الغريب المصنف ، الأمثال ،
غريب الحديث •

ولأبى السكيت : كتاب الألفاظ ، الفروق ، الممدود
والمقصود اصلاح المنطق ، المعانى ،

• النوادر •

ولأبى زيد سعيد بن أوس : كتاب النوادر بزيادات أبى مالك •
ولأبى خيرة الأعرابي : كتاب الصفات •
ولقطرب : كتاب الفروق ، والأزمنة ، واشتقاق

الأسماء •

ومن كتب النوادر كتاب أبى عمرو الشيباني ، وابن الاعرابي ،
والفراء ، والاختش واللحاني ، واليزيدي - كما ذكر من مراجعه كتاب
لغات هذيل لعزير بن الفضل الهذلي ، وكتب أبى حاتم السجزي ،
والاعتقابي لأبى تراب ، ونوادر الاعراب الذين كانوا مع ابن طاهر
بنيسابور •

ومن حق القارئ ان يطمئن بعد ان يقرأ هذا الثبت من المراجع وفيها
ما يستطيع ان يستترك به على كتاب العين ، ولكن الرواية بالسماع كانت
الذروة في مراتب الرواية ، وكان البشتي يدرك ذلك فقال وهو يحاول
تبرير مسلكه وطمأنة قرائه (استخرجت ما وضعته في كتابي من هذه الكتب
... ولعل بعض الناس يبتغي العنت بتهجينه والقدح فيه لأنني أسندت ما فيه
الى هؤلاء العلماء من غير سماع ... وانما اخباري عنهم اخبار عن صحفهم

ولا يزرى ذلك على من عرف الغت من السمين وميز بين الصحيح والسقيم
 ... وقد فعل ذلك أبو تراب صاحب كتاب الاعتقَاب فإنه روى عن الخليل
 ابن أحمد ، وأبى عمرو بن العلاء ، والكسائي وبينه وبين هؤلاء فترة -
 وكذلك القتيبي روى عن سيويه والاصمعي وأبى عمرو وهو لم ير منهم
 أحدا (١)

ولكن يبدو ان هذا العمل الذى أتى به الخارزنجي كان عملا خطيرا
 بحيث تصدى له الازهرى صاحب التهذيب وبذل فيه جهداً فى نفيه ، وقرنه
 الى كتاب آخر اسمه الحصائل قصد به صاحبه تحصيل ما اغفله الخليل
 (فاما أبو الأزهر البخارى الذى سمي كتابه الحصائل فاني نظرت
 فقال :

فى كتابه الذى ألفه بخطه وتصفحته فرأيتُه أقل معرفة من البشتى ، واكثر
 تصحيحاً - ولا معنى لذكر ما غير وأفسد لكثرتُه ، وان الضعيف المعرفة
 عندنا من أهل هذه الصناعة اذا تأمل كتابه لم يخف عليه ما حليته به ، ونعوذ
 بالله من الخذلان) (٢) ومن هذا تلمح امتهان الازهرى لكتاب الحصائل
 على حين بذل جهدا فى نقد كتاب التكملة ينبىء عن قيمته •

تناول الازهرى ثلاث نقاط فى نقده لكتاب التكملة نوجزها فيما يلى :

- ان البشتى اعترف بانه صحفى ، والصحفى يخبر عن كتب لم يسمعها
 أكثرها لم يضبط بالنقط الصحيح وهى بذلك عرضة للتصحيف •
 - ان رواية أبى تراب ، والقتيبي ، وغيرهما عن من لم يسمعوا منه
 فليس لأ ذلك حجة له ، ثم صوب رواية أبى تراب لأنه سمع من أبى سعيد
 الضرير ومن شمر ومن فصحاء الاعراب ، كما صوب رواية القتيبي لأنه
 سمع من أبى حاتم السجزي كتبه كما سمع من الرياشي ومن أبى سعيد
 الضرير ومن ابن أخى الاصمعي - وعرض بالبشتى فى غنف حين وصل

(١) انباء الرواة ١ : ١٠٩ •

(٢) مقدمة التهذيب •

حديثه بقوله : (ولا يلحق بهما - أى بابى تراب والقيسي - رجل من أصحاب الزوايا لا يعرف الا بقريته ولا يوثق بصدقه) •

- ثم تناول الازهرى بعض مفردات الكتاب بالتقد والتصويب وكانت من الكثرة بحيث شغلت جزءا كبيرا من كتاب القفطى ختمها بقوله : (ولو استقصيت تهذيبها اجتمعت منها دفاتر كثيرة) •

لم يصلنا كتاب التكملة - على ما أعلم - ولكننا نستطيع من خلال نقد الازهرى له واهتمامه به ، وطرحه لكتاب المحصول ان تبين قدر البشتى حين يستدرك على كتاب العين مسلحا بهذا القدر من كتب الرواة •

● الجوهري وكتاب الصحاح :

ومن علماء نيسابور أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (١) وهو تركى من فاراب ، أخذ عن أبى على الفارسي ، وعن خاله أبى نصر الفارابى صاحب ديوان الأدب ، وعن أبى سعيد السيرافى - طوف فى العراق والشام كما طوف فى البادية يجمع اللغة من أفواه الاعراب ، ويصحح ما عنده منها • وكأنى فى حاجة الى الوقوف عند الفقرة الأخيرة فنحن فى القرن الرابع ، وأصحاب العربية يرتضون روايتها ويتقبلونها باطمئن الى نهاية القرن الثانى ، ولكن علماء اللغة الذين عاشوا بعد القرن الثانى رأوا آثار البادية فى أسلافهم فلم يكف أولوا العزم منهم أن يتلقوا اللغة على شيوخها أو عن الكتب التى تركها الرواة ، بل كأنهم يباهون بها ، والجوهري يشير الى ذلك فيقول فى واحدة منها :

(سألت اعرابيا بنجد من بنى تميم وهو يستقى وبكرته نخيس فوضعت أصبعى على النخاس (موضع اتساع ثقب المحور) فقلت ما هذا

(١) اختلف فى تاريخ وفاته فقبل ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ •

واردت أن أتعرف منه الخاء من الحاء فقال : نخلص بحاء معجمة فقلت
أليس قال الشاعر *

وبكرة نحاسها نحاس ؟

فقال : ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين (١) *

ظل أبو نصير في طوافه حتى استدعاه الحسين بن علي وهو من
الكتاب إلى خراسان فآكرم وفادته ثم رحل إلى نيسابور فلم يزل مقيما بها
على التدريس والتأليف * وشهرة الجوهري تتركز حول كتاب الصحاح
الذي ابتكر فيه طريقة الترتيب بحسب أواخر الكلمات فسهل تناوله *

منهج الجوهري في الصحاح

في مقدمة قصيرة ، عرف الجوهري بدواعي وضعه للكتاب وبترتيبه
الذي وعد أن يلتزم به ، وقال في خطبته : (... قد أودعت هذا الكتاب
ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها وجعل علم الدين والدينا
منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق إليه وتهذيب لم أغلب عليه بعد تحصيلها
في العراق رواية ، واتقانها دراية ، وعضافهتي بها العرب العاربة في ديارهم
بالبادية ولم آل في ذلك نصحا ولا ادخرت وسعا) (٢) *

لاحظ الجوهري ان طلاب اللغة لا يصلون الى بغيتهم الا بمشقة .
وان عليهم أن يلموا بعلم التصريف والأبنية فأراد ان يجنبهم هذا الجهد ،
فرتب الابواب بحسب الحرف الاخير في الكلمة ودل على فصلها بواسطة
الحرف الأول ، وجعل وسط الكلمة متتابعا على حروف الهجاء *

(١) معجم الأدباء ٦ : ١٦٤ *

(٢) الزهر ١ : ٩٧ *

وزيادة على هذا النهج فى الترتيب تميز الكتاب بالاختصار فلم يجمع الجوهري فيه بين مختلف الأقوال ، وترك الوحشى الذى لا يجرى على الألسنة فأتاح للمتوسطين من الطلاب سهولة البحث ، كما سهل حمله ونقله والانتفاع به .

دراسات حول الصحاح :

ظهر هذا الكتاب بترتيبه الجديد ، فأقبل عليه المشتغلون باللغة يدرسونه ويعلقون عليه واليك أهم الدراسات التى عملت حول الصحاح : ذكر صاحب البغية ان محمد بن تميم البرمكى المتوفى سنة ٣٩٧ هـ عمل كتابا فى اللغة سماه (المنتهى) نقل فيه من الصحاح وزاد فيه أشياء قليلة وأقرب فى ترتيبه (١) وكان البرمكى معاصرا للجوهري مما نفهم معه ان تأليف الصحاح آثار ابتاه العلماء منذ وحد .

وعلى بعد الشقة بين خراسان ومصر، فان المصريين شغلوا بالبحث عنه والاهتمام به ، وما كاد ابن القطاع الصقلى يصل الى مصر حتى لاحظ هذا الالتحاح فى طلبه فركب فيه طريقا الى روايته (٢) .

وتلمذ على ابن القطاع - أبو محمد عبد الله بن برى المصرى وكان لابن برى دور فى كتاب الصحاح فيقال ان ابن القطاع شرح حواشيه ، وثنى ابن برى فى كتاب سماه (التنبيه والايضاح فيما وقع من الوهم فى كتاب الصحاح) استدرك فيه على المؤلف بعض الألفاظ وزاد بعض الشواهد ووصل فيه الى مادة (و . ب . ش) فأكملة من بعده عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن البسطى (٣) .

(١) بغية الوعاة ٢٨ ترجمة محمد بن تميم البرمكى .

(٢) الخبر فى انباه الرواة ١ : ١٩٧ و ٢ : ٢٣٦ .

(٣) البغية ٢٧١ ، الزهر ١ : ٩٩ .

ثم عمل الصغاني كتاب (التكملة والذيل والصلة) وفارن بين
الصحاح وهذه التكملة في كتاب سماه (مجمع البحرين) (١) •

وشغل به محمود بن أحمد المعروف بالزنجاني ووضع كتابا سماه
(ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح) ثم عد واختصر هذا الكتاب وفل
في سبب ذلك : (٠٠٠ ثم نظرت نظرا ثانيا فرأيت همم بني الزمان ساقطه
ورغباتهم نائمة وحرصهم وحفظهم قليلا فأوجزته ايجازا ثانيا حتى وقع
حجمه موقع العشر من كتاب الجوهري ولا يعوزه من لغته أكثر من
العشر) (٢) •

وقام بنشر هذا المختصر تحت عنوان (تهذيب الصحاح) الاستاذان
عبد السلام هارون ، وأحمد عبد الغفور عطار فضبطا مهمله وقاما بتفسير
المبهم الى غير ذلك •

ولم يكن اختصار الصحاح وقفا على الزنجاني فقد نشط لذلك
محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الذي عمل (مختار الصحاح)
وفرغ من وضعه سنة ستين وسبع مائة وقال في سبب وضعه (٠٠ هذا مختصر
في علم اللغة جمعته من كتاب الصحاح للامام العالم ٠٠ الجوهري ٠٠ لما
رايته أحسن أصول اللغة ترتيبا ، وأوفرها تهديبا ، وأسهلها تناولا ، وأكثرها
تداولاً وسميته مختار الصحاح واقتصرت فيه على ما لا بد منه لكل عالم فقيه
أو حافظ ، أو محدث ، أو أديب من معرفته وحفظه ٠٠ واجتبت فيه
عويص اللغة وغريبها طلبا للاختصار ، وضمت اليه فوائد كثيرة من تهذيب
الازهرى وغيره من اصول اللغة الموثوق بها ، وما فتح الله تعالى به على -
فكل موضع مكتوب فيه (قلت) فانه من الفوائد التي زدتها على الأصل) (٣)

(١) النجوم الزاهرة ٧ : ٢٦ •

(٢) ص ٤ مقدمة تهذيب الصحاح •

(٣) مقدمة مختار الصحاح ط سنة ١٩٠٨ •

وفى العصور المتأخرة غلبت النيوطى ، كتابا سماء (فلق الاصباح فى تخريج أحاديث الصحاح) - ويقول الأستاذ الرافعى (وبلغ من اهتمامهم بكتاب الصحاح أنه كان فى بلاد قرمان مدرسة مشهورة بمدرسة السلسلة ، شرط يأتىها الا يدرس فيها الا من حفظ كتاب الصحاح للجوهرى) (١) ومن علماء نيسابور - أبو محمد النيسابورى اسماعيل بن محمد بن عبدوس ، أخذ عن الجوهرى ، واستكثر منه وحصل كتاب الصحاح بخطه (٢) ومنهم محمد بن الحسين الفارسى ابن أخت أبى على الفارسى وأستاذ عبد القاهر الجرجانى (٣) .

● أبو منصور الثعالبي صاحب فقه اللغة :

وجاء بعد هؤلاء أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، صنف كثيرا من الكتب (٤) كان أغلبها تقريبا الى أمراء عصره ، وأقرب هذه الكتب شيئا الى بحثنا كتاب فقه اللغة ، وهو صورة لمعجم جديد لا يجرى على طريقة الموضوعات كتلك الرسائل التى كتبها قدامى الرواة ، ولا يهدف الى جمع اللغة كما أرادها كتاب العين ، والجمهرة ، والتهذيب ، والبارع ، والصحاح ولكنه اراد جمع المستعمل من اللغة أو ما يحضره منها فى أكوام متجانسة تجمعها صفة من الصفات ، أو ظاهرة من الظواهر ، أو خاصة من الخصائص وبوب كتابه فى ثلاثين بابا ضمنها ستمائة فصل ، جعل الباب الاول للكليات ومما جاء فيه قوله :

(كل ما علاك فأظلك فهو سماء ، كل أرض مستوية فهى صعيد كل

(١) تاريخ آداب اللغة للرافعى ١ : ٣٢١ .

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٤٠ .

(٣) معجم الأدباء ١٨ : ١٨٦ - ١٨٧ .

(٤) منها يتيمة الدهر ، وسحر البلاغة ، وما جرى بين المتنبي وسيف الدولة والاعجاز والايجاز ، وخاص الخاص ، وسر الأدب ، والكناية والتعريض ويسمى النهاية فى الكناية ، والتجنيس ، والأمثال ، وأسماء الفرائد والقلائد الى غير ذلك انظر ابن خلكان ١ : ٢٩٠ ، وشذرات الذهب ٣ : ٢٤٦ .

حاجز بين الشئيين فهو موبق ، كل بناء مرتفع فهو كعبة ، كل بناء عال
فهو صرح .. الى آخره) .

ثم فصل هذه الكليات فى الحيوان (كل دابة فى جوفها روح فهى
سمة وكل كريمة من النساء والأبل والخيول وغيرها فهى عفيلة ، وكل دابة
استعملت من ابل وبقر وحمير ورقيق فهى نخة ولا صدقة عليها ، .. وكل
ماله ناب ويعدو على الناس والدواب فيقرسها فهو سبع ..) الى غير ذلك .

ومن النبات : كل نبت كانت ساقه أنابيب وكعوبا - فهو قصب - وكل
شجر له شوك فهو عضاة - ثم يستوفى هذا الباب فيجعل فيه فصلا فيما
يقال فى الامكنة ، والثياب ، وفى الطعام وغير ذلك .

وفى باب آخر عقده فى (التنزيل والتمثيل) قال (الاقيال لحمير
كالبطاريق للروم ، والمراهق من الغلمان بمنزله المعصر من الجوارى ..)
وفى باب ثالث تحدث عن الأشياء تختلف اسمائها وأوصافها باختلاف أحوالها
فلا يقال كأس الا اذا كان فيها شراب والا فهى زجاجة ، ولا يقال مائدة
الا اذا كان عليها طعام والا فهى خوان ، ولا يقال كوز الا اذا كانت له
عروة والا فهى كوب وهكذا ...

وكان الثعالبي يعزو القول لقائله فيقول فى صدر الفصل مثلا (وجدته
عن أبى الحسين بن فارس ثم عرضته على كتب اللغة فصح) (١) أو يكتب
فصلا ويعزوه الى ابن قتيبة (٢) أو أبى على لغدة الأصفهاني (٣) أو يقول :
وجدته فى تعليقات عن أبى بكر الخوارزمي (٣) وقد ينسب القول لقدامى
الرواة مجتمعين كأن يقول : (عن الليث ، عن الخليل وعن أبى سعيد الضرير

(١) ص ٤١ فقه اللغة وسر العربية ط الاستقامة سنة ١٩٥٢ .

(٢،٢) ص ٤٢ .

(٣) ص ٤٢ .

وابن السكيت وابن الأعرابي وغيرهم من الأئمة (١) •

وكان كتابه (خاص الخاص) يدور في معظمه على الأمثال العربية
وغير العربية ومأثور الكلام (٢) أما كتابه (يتيمة الدهر) فقد عرف فيه
بإدباء وشعراء عصره وغرض لبعض آثارهم •

(١) ص ٤٠ •

(٢) خاص الخاص ط السعادة سنة ١٨٠٩ م •

مرو

من أشهر مدن خراسان وقصبتها في عهد المأمون ، سكنها فصيحبه أبو محمد اليزيدي اللغوى القارىء ، وظل بها يؤديه ويعلم أولاده وألف لهم كتاب المختصر فى النحو ، وظل فى خراسان الى ان مات بها سنة اثنتين ومائتين (١) ورحل اليها مع المأمون أيضا أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى البصرى النحوى الاخبارى الذى ذكره ابن النديم من الأعراب (٢) قدم أبو فيد من البادية فتلمذ لعلماء البصرة وقد أخبر هو عن ذلك فقال انه قدم من البادية ولا معرفة له بالقياس ، قال : فأول ما تعلمت القياس فى حلقة أبى زيد الأنصارى بالبصرة (٣) وصحب الحليل بن أحمد وأخذ عن شعبة بن الحجاج ، وأبى عمرو بن العلاء (٤) وفى مرو ألف كتاب غريب القرآن ورواه عنه أهلها (٥) •

● النضر بن شميل

عرف به الزبيدى فى طبقات النحويين واللغويين بأنه النضر بن شميل ابن خرشة بن يزيد بن كلثوم ... المازنى التميمى من أهل مرو (٦) فهل

(١) معجم الأدباء ٢٠ : ٣١ •

(٢) الفهرست ٧٠ •

(٣) نزهة الالباء ١٨٠ ؛ وفيات الاعيان ٤ : ٣٨٩ •

(٤) نزهة الالباء ١٨٠ •

(٥) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٥٨ •

(٦) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ٥٣ •

نسبته الى مرو تعنى انه ولد بها - أم لأنه قضى شطرا من حياته فيها ؟
على كل حال كانت نشأته العلمية بين البصرة والبادية فتلقى عن الخليل
ابن أحمد وافاد من أبي خيرة الاعرابي وأبي الدقيش وكان من أعراب
البصرة أيضا ، وأقام بالبادية أربعين سنة وجمع بين النحو والغريب والشعر
والحديث والفقه والقراءة وآيام الناس فلما ضاقت به المعيشة فى البصرة
خرج يريد خراسان فشيعة نحووا من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث

أو نحوى أو لغوى أو عروضى أو اخبارى (١) *

وكان العلم - على هذا المدى الواسع - سبب النضر الى المأمون حين
طلب رجلا من أهل الأدب يسامره فخرج الحاجب يسأل عن رجل يصلح
لمجالسة المأمون ومسامرته وكان حديثه مع المأمون مزاجا من
الحديث ، واللغة والشعر • يقول النضر : (• • • فجرى بنا الحديث فى ذكر
النساء فقال المأمون حدثنا هشيم بن بشير حدثنا مجالد عن الشعبي عن
ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيما رجل تزوج
امراة لدينها وجمالها كان فى ذلك سداد من عوز) بفتح السين قلت يا أمير
المؤمنين : صدق هشيم • حدثنا عوف بن ابى جميلة الأعرابي قال : حدثنا
الحسن بن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيما رجل تزوج
امراة لدينها وجمالها كان فى ذلك سداد من عوز) بكسر السين • قال وكان
متكئا فاستوى جالسا ثم قال : يانضر كيف قال هشيم سداد (بفتح السين)
ولم يقل سداد (بكسر السين) وما الفرق بينهما ؟

قال : قلت يا أمير المؤمنين السداد (بالفتح) القصص فى الدين والسبيل
والسداد (بالكسر) من الثغر والثلمة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد
قال : وتعرف العرب ذلك ؟ قلت نعم قال الشاعر :

اضاعونى وأنى فتى اضاعوا ليوم كرهية وسداد ثغر
كأنى لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتى فى آل عمر

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٥٣ •

قال : فبح الله اللحن ، قلت : يا أمير المؤمنين إنه لحني هشيم ، وكان هشيم لحانة ، فاتمع أمير المؤمنين لفظه ثم قال : يانضر ، هل تروى من الشعر شيئاً ؟ ثم سأله عن أخلب بيت قالت العرب ، وأنصف بيت ، وأقنع بيت فأنشدته (١) .

ولما أراد المأمون مكافأته تناول الدواة والقرطاس وسأله عن مشتقات جاءت بها المناسبة فقال : يانضر كيف تقول إذا أمرت أن تشرب كتاباً ؟ قال : قلت اتربه . قال : فهو ماذا ؟

قلت : مترب

قال : فمن الطين ؟

قلت : طنه

قال : فهو ماذا ؟

قلت : مطين

قال : فمن السحاة ؟

قلت : اسحه

قال : فهو ماذا ؟

قلت : مسحى ومسحو

قال : يا غلام اترب ، واسح ، وطن ثم قام فصلى بنا المغرب ثم قال لغلام فوق رأسه : تبلغ معه الكتاب الى الفضل بن سهل . قال : فدخلنا عليه فتناول الكتاب فقرأه وقال يانضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم . قال فحدثته الحديث فأمر لي بثلاثين ألف درهم فأخذت بكلمة واحدة ثمانين ألف درهم (٢) .

وينسب أول كتب الصفات الى النضر بن شميل ، الفه في خمسة

(١) معجم الادباء ١٩ : ٢٣٨ طبقات الزبيدي ٥٥ .

(٢) الفهرست ٧٧ ط الرحمانية ، وفيات الاعيان ٥ : ٢٧ .

قال : قبح الله اللجن ، قلت : يا أمير المؤمنين انه لحن هشيم ، وكان هشيم لحانة ، فاتبع أمير المؤمنين لفظه ثم قال : يانضر ، هل تروى من الشعر شيئاً ؟ ثم سأله عن أخلب بيت قالت العرب ، وأنصف بيت ، وأقنع بيت فأنشده (١) .

ولما اراد المأمون مكافاته تناول الدواة والقرطاس وسأله عن مشتقات جاءت بها المناسبة فقال : يانضر كيف تقول اذا أمرت ان تترب كتاباً ؟ قال : قلت اتربه . قال : فهو ماذا ؟

قلت : مترب

قال : فمن الطين ؟

قلت : طنه

قال : فهو ماذا ؟

قلت : مطين

قال : فمن السحاة ؟

قلت : اسحه

قال : فهو ماذا ؟

قلت : مسحى ومسحو

قال : يا غلام اترب ، واسح ، وطن ثم قام فصلى بنا المغرب ثم قال لغلام فوق رأسه : تبلغ معه الكتاب الى الفضل بن سهل . قال : فدخلنا عليه فتناول الكتاب فقرأه وقال يانضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم . قال فحدثته الحديث . . . فأمر لى بثلاثين ألف درهم فأخذت بكلمة واحدة ثمانين ألف درهم (٢) .

وينسب أول كتب الصفات الى النضر بن شميل ، الفه فى خمسة

(١) معجم الادباء ١٩ : ٢٣٨ طبقات الزبيدى ٥٥ .

(٢) الفهرست ٧٧ ط الرحمانية ، وفيات الاميان ٥ : ٢٧ .

أجزاء يحتوى الجزء الأول منها على : خلق الانسان ، والجود ، والكرم ،
وصفات النساء •

والجزء الثانى : يحتوى على : الأخيصة ، والبيوت ، وصفات الجبال
والشعاب •

والجزء الثالث : يحتوى على الابل فقط •

والجزء الرابع : يحتوى على : الغنم ، الطير ، والشمس والقمر ،
والليل والنهار ، والالباب ، والكمأة ، والآبار ، والحياض ، والارضية،
والدلاء ، وصفات الحمر •

والجزء الخامس : يحتوى على : الزرع ، والكرم ، والغنب ،
وأسماء البقول ، والأشجار ، والرياح ، والسحاب ، والأمطار (١) •

وعلى هذا الكتاب اعتمد أبو عبيد القاسم بن سلام حين حاول جمع
كتاب الغريب المصنف (٢) ولقد ظهر أثر الكتابين فى خراسان •

وللنضر غير هذه المجموعة : كتاب السلاح ، وخلق الفرس ،
والأنواء والمعانى ، وغريب الحديث ، والمصادر ، والمدخل الى كتاب
العين (٣) •

واحسب أن هذا الجهد اللغوى الخطير كان نتيجة للنعمة التى أصابها
فى كنف المأمون وحققت له راحة البال والعكوف على التأليف فى مرو التى
ظل يزاول نشاطه العلمى بها الى ان توفى فى سنة أربع ومائتين وقيل
سنة ثلاث ومائتين (٤) •

(١) الفهرست ٧٧ ط الرحمانية • وفيات الاعيان ٥ : ٣٧ •

(٢) المصدر السابق •

(٣) المصدر السابق •

(٤) المصدر السابق •

هراة

تقع هراة وضواحيها في البلاد المعروفة الآن بآفغانستان وصفها ياقوت بقوله (لم ار بخراسان عند كونه بها سنة ٦٠٧ مدينه أجل ، ولا أعظم ، ولا أفخر ، ولا أحسن ، ولا أكثر أهلا منها - فيها بساين كثيرة ، ومياه غزيرة ، وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ، ومملوءة بأهل الفضل والثراء) (١) •

ومع أن هذا الوصف متأخر عن العصر الذي تؤرخ له ، الا أنها كانت حقيقة من عواصم اقليم خراسان أهله بسكانها ، ولم يكن بخراسان مسجد أعمر بالناس من مسجد هراة - نشأ بها ، ونزلها بعض علماء اللغة منهم :

● أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي :

من كبار اللغويين في خراسان ، ذهب طالبا الى العراق فادرك تلامذة الأجيال الأولى من علماء البصرة والكوفة ، لقي ابن الأعرابي وجماعة من أصحاب أبي عمرو الشيباني ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيدة ، والفراء • منهم : الرياشي ، وأبو حاتم ، وأبو نصر ، وأبو عدنان وسلمة بن عاصم - وكتب الحديث ، وسمع دواوين الشعر من وجوه

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٥١ هراة •

شتى - ولما رجع الى خراسان لقي أصحاب النضر بن شميل ، والليث بن

المظفر فاستكثر منهم (١) •

ولما استقر في هراة ألف كتابا كبيرا في اللغات أسسه على الحروف
وابتدا بحرف الجيم ، أودعه من تفسير القرآن وغريب الحديث أشياء لم يسبقه
الى مثله أحد تقدمه ، ولا أدرك شأوه فيه من بعده كما يقول الأزهرى (٢)
الا انه يؤخذ عليه حبسه للكتاب عن الناس ومما قاله الأزهرى في هذا انه
(لما أكمل الكتاب ضمن به في حياته ، ولم ينسخه طلابه فلم يبارك له فيما
فعله حتى مضى السبيل ، فاجتزأ بعض أقاربه ذلك الكتاب من تركته
واتصل يعقوب بن الليث السجزي فقلده بعض أعماله واستصحبه الى فارس
ونواحيها وكان لا يفارقه هذا الكتاب في سفر ولا حضر ، ولما اناخ
يعقوب بن الليث بسبب بنى ماوان من أرض السواد ، وحط بها سواده ،
وركب في جماعة المقاتلة من عسكره مقدرا لقاء الموفق وأصحاب السلطان
فجز الماء من النهروان على معسكره فغرق ذلك الكتاب في جملة ما غرق
من سواد العسكر) (٣) •

وقال الأزهرى وصفا لبعض أجزاء الكتاب : (ورأيت من أول ذلك
الكتاب تفاريق أجزاء بخط محمد بن قسورة فتصفحت أبوابها فوجدتها
على غاية الكمال ، والله يغفر لأبى عمرو . . . والضم بالعلم غير محمود
ولا مبارك فيه) (٤) •

ولولا شهادة العيان هذه لساورنا شك في هذا الكتاب الذى يتشابه
اسمه مع كتاب آخر لأبى عمرو الشيباني جاء وصفه فيما ذكره القفطى عن
أبى عمرو الشيباني فقال (وصنف أبو عمرو كتاب الجيم وأوله الهمزة

(١) إنباء الزواة ٢ : ٧٧ •

(٢) تهذيب اللغة للأزهرى ١ : ٢٥ دار القومية العربية للطباعة سنة ١٩٦٤ •

(٣) المصدر السابق ١ : ٢٥ •

(٤) المصدر السابق •

ولم يذكر في مقدمة الكتاب لم سماه الجيم ، ولا علم أحد من العلماء ذلك (١) وقال في نفس الترجمة (ونقل من كتاب اليمنى في طبقات النحاة واللغويين ان كتاب الجيم هو كتاب الحروف الذى صنفه أبو عمرو وجمع فيه الحوشى ولم يقصد المستعمل (٢) .

ومما جاء فيما استدركه الزبيدى : الجيم : الديباج وقال نقل المصنف فى البصائر ما نصه قال أبو عمرو الشيبانى (الجيم فى لغة العرب الديباج) ثم قال : وله كتاب فى اللغة سماه الجيم كأنه شبهه بالديباج لحسنه (٣) فإذا كانت هذه وجهة الشيبانى الذى بدأ كتابه بالهمزة فما زلنا فى حاجة الى معرفة وجهة الهروى فى نعت كتابه بالجيم وبدء كتابه به .

ولأبى عمرو كتاب غريب الحديث ، يصفه ياقوت بأنه كبير جدا (٤) وكتاب السلاح ، وكتاب الجبال والأودية وتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين .

● المنذرى :

هو أبو الفضل محمد بن أبى جعفر الهروى لازم أبا الهيثم الرازى سنين ، وعرض عليه الكتب ، وكتب من أماليه وفوائده أكثر من مائتين مجلد ، ثم نصحه أستاذه أن ينهض للإفادة من أبى العباس ثعلب فى بغداد ، فاختلف اليه سنة يسمع منه كتاب النوادر لابن الأعرابى ، وكتب عنه من أماليه فى معانى القرآن وغيرها أجزاء كثيرة ، وجلس الى أبى العباس المبرد وانتخب عليه أجزاء من كتاب الروضة وكتاب الكامل (٥) وتوفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

(١) انباء الرواة ١ : ٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٢٦ .

(٣) التاج للزبيدى المستدرک من فصل الجيم من باب الميم ٨ : ٢٣٦ .

(٤) معجم الأدباء ١١ : ٢٧٥ .

(٥) معجم الأدباء ١٠٠ - ١٠١ ج ١٨ .

هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري أشهر تلامذة المذري وقد ذكره وأشاد به في كتابه (تهذيب اللغة) ولد في هراة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وسمع بها من الحسن بن ادريس ومحمد بن عبد الرحمن السامي ثم ذهب الى الحج وهو في سن الثلاثين فلما كان في عودته وقع في اسر القرامطة وقد أصاب في هذا الأسر ما حقق له طموحه من الرواية اللغوية وهو يحكى ذلك فيقول :

(وكنت امتحنت بالاسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهير وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا عامتهم من هوازن ، واختلط بهم اصرام من تميم ، وأسد بالهير نشؤوا بالبادية يبتغون مساقط الغيث أيام النجع ، ويرجعون الى اعداد المياه ، ويرعون النعم ، ويعيشون باليانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش - فبقيت في اسارهم دهرًا طويلا ، وكنا نشقى الدهناء وتربع الصمان وتنقيط الستارين ، واستفدت من مخاطباتهم ومحاوره بعضهم بعضا ألفاظا جملة ونوادير كثيرة أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب (يعني كتاب تهذيب اللغة) وستراها في موضعها اذا انت قراءتك عليها ان شاء الله (١) •

فلما تخلص من الأسر توجه الى بغداد ولقي من علمائها أبا أسحق ابراهيم بن السري الزجاج ٣١١ هـ ، وأبا بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج ٣١٦ هـ وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ٣١٧ هـ وأبا عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفه المعروف بنفطويه ٣٢٣ هـ كما لقي أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد فاتهمه ولم يحسن رأيه فيه وعبر عن ذلك فقال :

(١) التهذيب للأزهري ١ : ٧ دار القومية العربية للطباعة سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م *

(وممن ألف في عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها اصول ، وادخل ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجهرة ، وكتاب اشتقاق الاسماء ، وكتاب الملاحن - وحضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيت يروى عن أبي حاتم ، والرياشي ، وعبد الرحمن بن أخى الأصمعي - فسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه عنه فاستخف به ولم يوثقه في روايته - ودخلت يوما عليه فوجدته سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام ناقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة ازالها عن وجوهها وأوقع في تضاعيف من غلبة السكر عليه - وتصفحت كتاب الجهرة له فلم اره دالا على معرفة الكتاب حروفا كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها فابتنها من كتابي في مواقعها منه لأبحث عنها أنا أو غيري ممن ينظر فيه فان صحت لبعض الأئمة اعتمدت وان لم توجد لغيره وقفت (١) •

ويبدو ان الأزهرى قد نظر بعين السخط الى ابن دريد متأثرا بأستاذه ابراهيم بن عرفة الذى كان بينه وبين ابن دريد خصومة معروفة (٢) ولما عاد الى هراة تلى لأبى الفضل محمد بن جعفر المنذرى فاستكثر منه وأشار في كتاب التهذيب الى المسائل التي سمعها منه - فمن ذلك :

(١) تهذيب اللغة ١ : ٣١ •

(٢) يحكى ياقوت انه كان بين نفطويه وابن دريد ماطة فقال فيه لما صنف كتاب الجهرة :

ابن دريد بقرة	وفيه لؤم وشره
قد ادعى بجهله	جمع كتاب الجهرة
وهو كتاب العين الا	انه قد غيرة

فبلغ ذلك ابن دريد فقال يحببه :

لو انزل الوحي على نفطويه	لكان ذاك الوحي سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه	مستاهل للصنع في اخذعيه
أحرقه الله بنصف اسمه	وصير الباقي صراخا عليه

معجم الأدباء ١ : ٢٦٤

الأمثال :

سمعنا من المنذرى عن أبي الهيثم الرازى (١) وكان لأبى عبيد كتاب
فى الأمثال فزاد المنذرى فى هذا الكتاب أضعاف الأصل - قال الأزهري :
فسمعنا الكتاب بزيادته (٢) •

النوادر :

سمع من المنذرى نوادر أبى زيد عن كتاب لأبى عبد الرحمن
عبد الله بن محمد بن هانىء النيسابورى (٣) وللکسائى كتاب فى النوادر
سمع الأزهري من المنذرى رواية عن أبى طالب عن أبيه عن الفراء عن
الکسائى (٤) •

غريب القرآن :

وروى غريب القرآن عن المنذرى عن أبى جعفر النيسائى عن سلمة
عن أبى عبيدة (٥) •

معانى القرآن وتفسيره :

وسمع من المنذرى كتاب معانى القرآن للکسائى ومعانى القرآن
لأبى عبيد انتهى فيه الى سورة طه ، وكتاب تفسير القرآن للفراء •

اللفظ ودواوين الشعر :

ذكر الأزهري كتاب الخيل لأبى عبيدة وقال : ناولنيه أبو الفضل
المنذرى وذكر انه عرضه على أبى الهيثم الرازى (٦) وذكر لابن السكيت

-
- (١) تهذيب اللغة ١ : ١٣ •
 - (٢) تهذيب اللغة ١ : ٢٠ •
 - (٣) تهذيب اللغة ١ - ١٣ •
 - (٤) تهذيب اللغة ١ : ١٦ •
 - (٥) تهذيب اللغة ١ : ١٤ •
 - (٦) المصدر السابق •

عدة مؤلفات منها كتاب اصلاح المنطق ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب التذكير والتأنيث ، وكتاب القلب والإبدال ، وكتاب فى معانى الشعر وقال : روى لنا أبو الفضل المنذرى هذه الكتب ٠٠٠ عن أبى شعيب الحرانى عن يعقوب (١) وكذلك سمع دواوين الشعر عن ابن الأعرابى من المنذرى (٢) • ومن الشيوخ الذين تأثر بهم : أبو بكر الأيادى فقد سمع منه عن شمر عن أبى عبيد ما فى كتاب أبى عبيد من الغريب والنوادر والأبواب المتفرقة (٣) ونوادر اللحيانى (٤) •

● كتاب تهذيب اللغة :

يعتبر كتاب تهذيب اللغة على رأس الكتب التى ألفها الأزهري فى اللغة ، وهو معجم كبير ألفه بعد السبعين من عمره ، وقال فى سبب تأليفه :

(٠٠٠) وقد دعانى الى ما جمعت فى هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها ، واستقصيت فى تتبع ما حصلت منها والاستشهاد بشواهد أشعرها المعروفة لفصحاء شعرائها التى احتج بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها خلال ثلاث :

— منها تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرائهم سنوات ، اذ كان ما أثبتته كثير من أئمة أهل اللغة فى الكتب التى ألفوها والنوادر التى جمعوها لا ينوب مناب المشاهدة ولا يقوم مقام الدربة والعادة •

— ومنها النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين فى افادتهم

(١) تهذيب اللغة ١ : ٢٣ •

(٢) تهذيب اللغة ١ : ٢١ •

(٣) تهذيب اللغة ١ : ٢٢ •

(٤) المصدر السابق •

ما لعلهم يحتاجون اليه وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
(الا ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) •

ـ والحلة الثالثة هي التي لها أكثر القصد أنى قرأت كتباً تصدى
مؤلفوها لتحصيل لغات العرب فيها مثل كتاب العين المنسوب الى الخليل ثم
كتب من احتذى حذوه فى عصرنا هذا وقد أخل بها ما أنا ذاكره من دخلها
وعوارها (١) •

وأقبل الأزهرى على عمله هذا تدفعه غيرة قوية على الدين واعتقاد
بأن أجل ما يخدم به هو التعريف بلغة القرآن وأحاديث الرسول بعد
ذهاب القوم الذين كانوا يعرفون هذه اللغة اذ (نزل القرآن الكريم
والمخاطبون به قوم عرب أولو بيان فاضل وفهم بارع أنزله جل ذكره
بلسانهم وصيغة كلامهم الذى نشئوا عليه وجبلوا على النطق به ... يعرفون
وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه ولا يحتاجون الى تعلم مشكلة وغريب
ألفاظه حاجة المولدين الناشئين) (٢) •

وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم بين للمخاطبين من أصحابه رضى
الله عنهم ما عسى الحاجة اليه من معرفة بيان لمجمل الكتاب وغامضه
ومتشابهه • • فاستغنوا بذلك عما نحن محتاجون من معرفة لغات العرب
واختلافها والتبحر فيها والاجتهاد فى تعلم العربية الصحيحة التى بها نزل
الكتاب وورد البيان (٣) وبرزت هذه العناية فى كتابه فكان يستشهد بالقرآن
الكريم فى مواضع كثيرة ، ولا يكتفى بوجه واحد من القراءة بل كان
يذكر الآية ويفسرها على وجوهها ، ولاحظ ذلك صاحب الجاسوس فقال :
(كلف الأزهرى فى التهذيب بتفسير الآيات القرآنية) (٤) •

(١) تهذيب اللغة ١ : ٦ •

(٢) المصدر السابق ٣ - ٤ •

(٣) تهذيب اللغة ١ : ٤ •

(٤) الجاسوس على الغاموس ٤٨ •

منهج الأزهرى

وضع الأزهرى كتاب التهذيب وهو غير راض عن كتاب العين ، ولا عن كتاب الجمهرة ، واغلب الظن انه يعنى هذا حين يقول : (وقد سميت كتابى هذا (تهذيب اللغة) لأنى فصدت بما جمعت فيه نفى ما ادخل فى لغات العرب من الألفاظ التى ازالها الأغنياء عن صيغتها ، وغيرها الغتم عن سننها فهذبت ما جمعت فى كتابى من التصحيف والخطأ بقدر علمى ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذى لم أعرف أصله ، والغريب الذى لم يسنده الثقات الى العرب (١) .

ومع ما وعد به من رغبة فى الإيجاز وعدم التطويل فقد جاء كتابه فى حجم العين تقريبا وأطول بكثير من كتاب الجمهرة وأوماً الى خطته فى الإيجاز بقوله :

(ولم أودع كتابى هذا من كلام العرب الا ما صحح لى سماعاً منهم أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفتى - اللهم الا حروفاً وجدتها لابن دريد ، وابن المظفر فى كتابيهما فبينت شكى فيها وارتابى بها) (٢) (ولو انى أودعت كتابى هذا ما حوته دفاترى وقرأته من كتب غيرى ، ووجدته فى الصحف التى كتبها الوراقون ، وافسدها المصحفون لطال كتابى ثم كنت أحد الجانبين على لغة العرب ولسانها ، ولقليل لا يخزى صاحبه خير من كثير يفضحه) (٣) وهو يشير بهذا الى سعة اطلاعه ، وانه لم يضع فى الكتاب كل ما يعلم .

ترتيب الكتاب :

ورتب الأزهرى كتابه على مخارج الحروف وتقليب الألفاظ متأسياً بمنهج الخليل فى كتاب العين ، ومع ما رأيناه من انكار نسية الكتاب للخليل فى مجموعة وجميعه فانه يعترف للخليل بالتأسيس المجمل للمكتاب

(١) تهذيب اللغة ١ : ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٠ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٤١ .

ولذلك فهو ينهج نهجه في هذا التأسيس فيقول : (ولم ار خلافا بين اللغويين ان التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل ابن أحمد ... وعلمت أنه لا يتقدم الخليل فيما أسسه ورسمه ، فرأيت أن أحكيه بعينه لتأمله وتردد فكره فيه وتستفيد منه ما بك الحاجة اليه) (١) •

والرأى عندى ان كتاب الأزهري لم يحقق تطورا يذكر ، واذا كان ابن دريد صاحب المعجم الثاني قد أشار في مقدمة الجوهرة الى دوافع وضع كتابه حين رأى الناس يعانون من ترتيب الخليل في كتاب العين ، وان تلك الطريقة معسرة الا على الذين أصابوا حظا من العلم بالصرف ، واختار لذلك طريقة الأبجدية العادية لأن علم الخاصة بها كعلم العامة فان الأزهري وهو يعود الى طريقة الخليل كان يعود بفن المعاجم الى الوراق - ولهذه الصعاب عابه ابن منظور بعد ان امتدح مادة الكتاب فقال :

(... وهما • - أى التهذيب للأزهري والمحكم لابن سيده - من أمهات كتب اللغة على التحقيق وما عداهما بالنسبة اليهما ثبات للطريق غير ان كلا منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك وكان واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه ، وارتاد لهم مرعى مربعا ومنعهم منه ... فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما ... وليس لذلك سبب الا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب (٢)) •

وجعل الأزهري في صدر كتابه بابين - الأول في ألقاب الحروف ومدارجها والثاني في احيازها - وهذا أيضا قريب الشبه بما قدم به الخليل لكتاب العين ولا يبقى للأزهري - فيما أرى - الا زبادات عن كتاب العين وتنقية لبعض رواياته التي داخلت الكتاب بفعل الوراقين ، وهذه المقدمة

(١) التهذيب ١ : ٤١ •

(٢) لسان العرب ١ : ٧ ط دار صادر •

الطويلة التي عرف فيها بالسابقين من رجال اللغة وهي لاتزيد كثيرا في مادتها على ما أورده رجال الطبقات •

ولالأزهرى غير كتاب التهذيب - كتاب معرفة الصبح ، وكتاب التريب في التفسير وكتاب تفسير ألفاظ كتاب المزني ذكره ابن خلكان وقال فيه انه عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه - وللأزهرى أيضا كتاب علل القراءات ، وكتاب الروح وما جاء فيه من القرآن والسنة ، وكتاب تفسير أسماء الله عز وجل ، وكتاب معاني شواهد غريب الحديث ، وكتاب الرد على الليث ، وكتاب تفسير اصلاص المنطق لابن السكيت ، وكتاب تفسير السبع الطوال ، وكتاب تفسير شعر أبي تمام ، وكتاب الأدوات •

• أبو عبيد أحمد بن محمد

ابن عبد الرحمن الهروى :

تلميذ أبو عبيد الهروى لأبى منصور الأزهرى ، وكان كما يحكى ياقوت شيخه الذى يفتخر به (١) وقرأ على أبى سليمان الخطابى ، وهو ان اشتهر أمره بين المحدثين فانه كان كذلك من مشاهير اللغويين وكان كتابه المشهور ب (كتاب الغريين) يتجه هذه الوجهة ، فقد جمع فيه غريب القرآن وغريب الحديث ورتبه مقفى على حروف المعجم ، ويصف ابن الأثير عمله هذا بقوله (...) فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من اماكنها واثبتها فى حروفها وذكر معانيها اذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة الكلمة الغريبة لغة واعرابا ومعنى - لامعرفة متون الأحاديث والآثار وطرق اسانيدھا وأسماء رواتھا فان ذلك علم مستقل بنفسه مشهور بين أهله ثم انه جمع فيه من غريب الحديث ما فى كتاب أبى عبيد ، وابن قتيبة وغيرهما ممن تقدمه عصره من مصنفى الغريب مع ما أضاف اليه

(١) معجم الأدباء ٤ : ٢٦٠ •

مما تتبعه من كلمات لم تكن في واحدة من الكتب المصنفة قبله فجاء كتابه
جامعا في الحسن بين الاحاطة والجمع (١) •

والكتاب بذلك معجم من المعاجم اللغوية المتخصصة يحصر جهده في
اطار القرآن الكريم والحديث النبوى (فاذا اراد الانسان كلمة غريبة وجدها
في حروفها بغير تعب - الا أنه جاء الحديث مفرقا في حروف كلماته حيث
كان هو المقصود والغرض فانتشر كتابه بهذا التسهيل والتيسير في البلاد
والأمصار وصار هو العمدة في غريب الحديث والآثار وما زال الناس
بعده يقتفون هديه ويتبعون أثره ويشكرون له سعيه ويستدركون ما فاته
من غريب الحديث (٢) •

وظلت مدينة هراء تتابع نشاطها العلمى حتى خربها التتار سنة
٦١٨ من الهجرة •

(١) النهاية في غريب الحديث والآثر ١ : ٦ •

(٢) المصدر السابق :

القسم الثاني : بلاد الجبال وفارس

رؤساء الاقليم ورعايتهم للعلم :

اما اقليم الجبال فيقع الى الشمال ، وعاصمته الري ومن أهم بلاده :
كرمانشاه ، وهمدان ، ودينور ، ونهاوند ، وقومس . والى جنوبه يقع
اقليم فارس وهو بلاد ايران الحالية وكانت عاصمته شيراز ، ومن بلاده
اصطخر ، وسيراف ، وارجان ، وشهرستان ، وفيروزباد . وتوسطت
اصبهان هذين الاقليمين ويراهما المقدسى من أعمال فارس (١) .

توالى على حكم هذه البلاد رجال من العرب ، والفرس ، والأتراك
وتوزعت وحداتها أحيانا ، وتماسكت أحيانا أخرى ، واستقل بها أو بعضها
الولاية مرة ، وتبعت الخلافة فى بغداد مرة ، وهذه التبعية للخلافة قد تكون
حقيقية وقد تكون اسمية - كانت الري فى حوزة الطاهر بن الحسين الذى
ولى المشرق كله من قبل المأمون ، وحكمها بعده عبد الله بن طاهر ،
وطاهر بن عبد الله حتى سنة خمس وثلاثين ومائتين . ثم دخلت فى حكم
السامانيين حين استولى عليها اسماعيل بن أحمد السامانى ومن بعده

(١) أحسن التقاسيم ٣٨٧ - ٣٨٨ .

نصر بن أحمد الى ان دخلت في حكم البويهيين (١) •

وظل فارس في أيدي الطاهريين (ابراهيم بن الحسين بن مصعب ، وعلى بن الحسين بن شبل حتى سنة خمس وخمسين ومائتين) ثم حكمها بنو الصفار ٢٥٦ - ٢٦١ ، ثم حكمها من الأتراك موسى بن بغا من قبل الخليفة وفي سنة سبع وثمانين ومائتين حكمها أبو موسى عيسى بن محمد النوشري ثم استعادها بنو الصفار الى ان فتحها عماد الدولة البويهى (٢) •

اقسم بنو بويه بادئ الأمر هذه البلاد فكان عماد الدولة في فارس والأهواز ، وركن الدولة في الزى والجبل ، ثم جمعها عضد الدولة ابن ركن الدولة كما ضم اليها العراق وبلغ أقصى اتساع دولة البويهيين في أيامه •

كان أبو شجاع فنا خسرو (عضد الدولة) على ما مكن له في الأرض وأوتى من السلطة والجاه وسعة السلطان يتفرغ للعلم ويشاغل بالكتب ويؤثر مجالس الأدباء على منادمة الوزراء (٣) ولم يصطنع ذلك استكده الا لمظاهر الحكم وانما حبا في العلم تلمح هذا في حديثه مع أستاذه أبي علي الفارسي وكان يتلقى عليه علم النحو واللغة - سأله يوما بماذا ينتصب الاسم المستثنى في نحو قام القوم الا زيدا ؟ فقال أبو علي : ينتصب بتقدير استثنى زيدا فقال عضد الدولة : لم قدرت استثنى زيدا فنصبت ، هلا قدرت امتنع زيد فرفعت - فقال أبو علي هذا الذي ذكرته جواب ميداني فاذا رجعت قلت لك الجواب الصحيح (٤) ومثل هذه المراجعة لا تصدر الا عن عالم أو متعلم محقق • ولما صنف له كتاب الايضاح استقصه عضد الدولة وقال له :

(١) انظر ابن الأثير ٨ : ٥٩ ، ومعجم الانساب والاسرات الحاكمة ص ٧٢ للمسنشرق زامبار ط جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١م •

(٢) انظر معجم الانساب والاسر الحاكمة ٧٤ و ٧٥ •

(٣) أول الجزء الثاني من يتيمة الدهر للشعالبي •

(٤) معجم الأدباء ٧ : ٢٣٧ - ٢٣٨ ، شذرات الذهب ٣ : ٨٨ •

ما زدت على ما أعرف شيئاً وإنما يصلح هذا للصبيان فألف له كتاب التكملة •
وكان يود لو أن حاشيته كانوا من رجال العربية أو العارفين به، التمس
أماماً يصلح به واشترط فيه أن يكون جامعا إلى العلم بالقراءة العلم بالعربية
فدله أبو علي على أبي القاسم عبيد الله بن جرو الأسدي (١) •

وكان تاج الدولة بن عضد الدولة أدب البويه وأشعرهم (٢) كما
كان من وزرائهم ابن العميد وشهرته في الأدباء أكثر من شهرته في الوزراء
وبلغ به حبه في العلم أنه كان يغري العلماء - وعلماء اللغة بخاصة - على
الهجرة من العراق ، أغرى أبا سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني
وهما من كبار علماء عصره وعرض عليهما المسير إلى الري ووعدهما
ومناهما وأظهر المباهاة بهما (٣) •

ومن وزراء هذه الدولة اسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب لصحبته
مؤيد الدولة بن بويه - ولم تشغله الوزارة وابعاء الحكم عن الدرس والاملاء
والتأليف في اللغة • عمل كتاب المحيط وهو معجم كثر فيه الألفاظ وقلل
الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ورتبه على الحروف (٤) وعمل
جوهرة الجوهرة اختصر فيه جمهرة ابن دريد (٥) كما عمل كتابا في الوقف
والابتداء ورسالة في الكشف عن مساويء المتنبئ ، ورسالة في
العروض (٦) وكان جماعا للكتب - كتب إلى نوح بن منصور الساماني
يعتذر له عن التوجه إليه بسبب كتبه التي تحتاج إلى أربعمئة جمل
لنقلها (٧) •

(١) معجم الأدباء ١٢ : ١٦ •

(٢) ينشئة الدهر ٢ : ٥ •

(٣) معجم الأدباء ١٦ : ٢١٤ •

(٤) انباء الرواة ١ : ٢٠١ •

(٥) كشف الظنون ١ : ٣١٠ •

(٦) بغية الوعاة ١٩٦ •

(٧) انباء الرواة ١ : ٢٠٢ •

ويلوذ بالصاحب رجلان كبيران من رجال اللغة هما أحمد بن فارس
الذى ألف له كتاب الصحابي في اللغة والذي نعرف به بعد قليل وأبو علي
الفارسي الذي اهداه أضخم كتبه وأكبرها قيمة وهو كتاب الحجة في
القراءات • ومن رجال صاحب أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب
الاسكافي الذي ألف غلط كتاب العين ومبادئ اللغة ، ومن ندمائه
محمد بن علي بن الجبان صاحب كتاب أبنية الأفعال ، وشرح فصيح علب ،
والشامل في اللغة (١) •

ومن كتاب هذه الدولة اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال الذي
تأدب على ابن دريد - وكان أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى وزير
معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه شغوقا بالعلم وحب العلماء يستدنيهم
ويجمعهم على مائدته ويطلق الاجتماع بهم على المائدة طلبا في المذاكرة (٢) •
من هنا يتبين ان رؤساء هذا الاقليم لم يكونوا مشجعين للعلم فحسب
بل كانوا هم علماء على هذا الوجه الذى أوضحنا جانباً منه - فكان طبيعياً
ان تزخر عواصم هذا الاقليم بالعلماء وان تكون للعلوم الاسلامية ورواية
العربية شأنها الملحوظ - واليك أهم هذه البيئات •

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٠ •

(٢) معجم الأدباء ٩ : ١٤٣ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٠٠ ط الاميرية

الرى

كانت الرى قصبة بلاد الجبال (١) واسطة خراسان وجرجان والعراق (٢) يقول فيها المقدسى (بلد جليل وبه مجالس ومدارس وقرائح لا يخلو المذاكر من فقه ولا الرئيس من علم ولا المحتسب من صيت ولا الخطيب من أدب ، هو أحد مفاخر الاسلام وأمهات البلد مشايخ وأجلة وقراء وأئمة وزهاد به دار الكتب الاحدثة) (٣) .

كانت مزارا لكبار العلماء منذ الفتح الاسلامى ، رحل اليها محمد ابن اسحق بن يسار الراوية الاخباى المتوفى سنة احدى وخمسين ومائة وسمع منه أهلها (٤) ورحل اليها سعيد بن جبیر أعلم قلامذة ابن عباس فلقبه الضحاك وكتب عنه التفسير ، وزارها الشعبى مع قتيبة بن مسلم الباهلى وشخص اليها الكسائى مع الرشيد ومات بها (٥) وكان المهدي وهو ولى عهد يقيم فى الرى ويقصده الأدباء والشعراء (٦) فلم تكن الرى حديثة العهد بالعلم حين تعهدا بنو بويه .

(١) معجم البلدان ٤ : ٣٥٥ .

(٢) أحسن التقاسيم للمقدسى ٣٨٥ .

(٣) المصدر السابق ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٤) معجم الأدباء ١٨ : ص ٦ .

(٥) فتوح البلدان للبلاذرى ٣٢٨ ط الموسوعات سنة ١٩٠١م .

(٦) معجم الادباء ١٩ : ٢٠١ .

من رجال هذا البلد الذين تركوا ميراثا لغويا ضخما أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي - نشأ في قزوين وأخذ عن أبيه (١) ثم رحل الى بغداد وأخذ نحو الكوفيين عن أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب ، وقراء كتاب العين على أبي الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان وأخذ كتابي أبي عبيد : غريب الحديث ، والغريب المصنف عن أبي الحسن علي بن عبد العزيز . ثم استدعاه فخر الدولة بن بويه الى الري لتأديب ولده فتلمذ عليه البديع الهمداني ، والصاحب بن عباد . (٢) صانع ابن فارس في جوانب مختلفة من العلم ، وجمع الى اللغة وروايتها العلم بالحديث والفقه ، وان كانت آثاره - أو أغلبها - تدور حول العربية . من هذه الكتب :

• كتاب المقاييس

لاحظ ابن فارس ان علماء اللغة الذين سبقوه قد عملوا على حصرها ما أمكنهم ، وأتيح له وهو يدرس كتاب العين على أحد رواته وهو أبو الحسن علي بن ابراهيم القطان ان يلاحظ من خصائص هذه اللغة ان المادة الواحدة تعطى معنى لا يختلف كثيرا في تقاليدها فاعتبر المادة أصلا يضيف على مشتقاتها وتقاليدها ومعانيها - ورأى ان قاعدته هذه تطرد في عدد كثير من المواد فوضع اللغة كلها على القياس وقال في كتاب الصاحبى (اجمع أهل اللغة الا من شذ عنهم ان للغة العربية قياسا وان العرب تشتق بعض الكلام من بعض - وقال في تفسير هذا ان الجن مشتق من الاجتنان ، وأن الجيم والنون تدلان أبدا على الستر . تقول العرب للدرع جنة ، وأجنه

(١) نزهة الالباء ٣٩٣

(٢) نزهة الالباء ٣٩٤

الليل ، وهذا جنين أى هو فى بطن أمه أو مقبور • وان الانس من
الظهور يقولون : انست الشيء ابصرته (١) •

وقال فى مقدمة المقاييس (ان للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولا
تتفرع منها فروع ، وقد ألف الناس فى جوامع اللغة ما ألفوا ولم يعرفوا
فى شىء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ولا أصل من الأصول) •

وضع ابن فارس كتابا جديدا فى فكرته ، ولم تلبث هذا الكرة ان
وجدت عند علماء الصرف قبولا فأمدوها بالمناقضة والاستطراد ، وكان
ابن فارس يحس بان نظريته جديدة غريبة ينقصها الاقتناع فأوهم ان الحليل
قد رأى رأيه من قبل فقال ابن فارس : (قال الحليل : يقال جدا يجذو مثل
جثا يجثو الا ان جدا ادل على اللزوم - وهذا الذى قاله الحليل دليل
لنا فى بعض ما ذكرناه من مقاييس الكلام والحليل عندنا فى هذا المعنى
أمام (٢) و (٣) •

والحكاية التى وردت عن الحليل فيما رواه ابن فارس لاتصل بفكرة
المقاييس ولا تتشابه معها ، ويرى الاستاذ عبد السلام هارون الذى حقق
كتاب المقاييس أن صاحب الفضل فى الايحاء بهذه النظرية لابن فارس هو
أبو بكر بن دريد الذى حاول فى كتاب الاشتقاق ان يرد أسماء قبائل العرب
وعماثرها وأفخاذها الى أصول لغوية اشتقت منها هذه الأسماء (٤) و (٥) •
وقبل ان نناقش فكرة المقاييس ننقل بعض ما جاء فى المادة الأولى
كتعريف بهذا الوجه من التأليف •

(١) الصحاح ٣٣ •

(٢) المقاييس ١ : ٤٣٩ •

(٣) عبارة اللسان عن ابى عمرو : جدا وجثا لغتان • وقال ابن جنى : ليست الغاء
بدلا من الدال بل هما لغتان ، وقال ابن الأثير : الا أنه بالذال أدل على اللزوم والثبوت
منه بالفاء انظر ١٣٧ ج ٥٩ ط دار صادر مادة ج ذ ١ •

(٤) مقدمة الناشر لكتاب المقاييس ص ٢٣ •

(٥) بدأ ابن دريد بالنسب صلى الله عليه وسلم تبركا فبين اشتقاق (محمد) من
محمد ص ٦ وفى (عبد الله) العبد من الطريق المعبد وهو المذلل الموطوء ص ٧ الاشتقاق •
لابن دريد ط أوربا سنة ١٨٥٤ •

(اعلم ان للهمزة والباء فى المضاعف أصليين احدهما المرعى والآخر
القصد والتهيو - فاما الأولى فقول الله عز وجل (وفاكهة وأبا) قال أبو زيد
الانصارى : لم اسمع للأب ذكرا الا فى القرآن قال الحليل وأبو زيد :
الأب : المرعى بوزن فعل وأنشد ابن دريد *

جذمننا قيس ، ونجد دارنا ولنا الأب به والمكروح
وأنشد شيل عزرة لأبى دؤاد :
يرعى بروض الحزن من إبه قريانه فى عانه تصحب

أى تحفظ * يقال : صحك الله أى حفظك ، قال أبو اسحق الزجاج
(الأب) جميع الكلا الذى تغلفه الماشية كذا روى عن ابن عباس رضى الله
عنه - فهذا أصل *

وأما الثانى * فقال الحليل وابن دريد : الإب : مصدر آب فلان الى
سيقه اذا رد يده اليه ليستله - الأب فى قول ابن دريد : النزاع الى الوطن *
والأب فى روايتهما : التهيو للمسير - وقال الحليل وحده : أب هذا الشئ *
اذا تهيأ واستقامت طريقته ... (١) *

ونكتفى بهذا القدر لنناقش فكرة المقاييس *

ان نظرية ابن فارس - وان اطردت فى بعض المواد فانه ليست كذلك
فى بعضها الآخر ، وان وجدت الطريق سهلا فى أبواب الثنائى لقلة
الألفاظ المتكونة من حروفه فانها تتعر فى بقية الأبواب ، ولعلك لاحظت
فيما أوردناه من باب الثنائى أيضا مالا يستقيم الا بتأويل بعيد فتفسير

(١) المقاييس ص ٦ و ٧ من الجزء الاول *

ابن دريد للأب على انه النزاع الى الوطن لا يجري مع الأصليين اللذين أوردهما ابن فارس وهما المرعى ، والقصد - واذا وجد ابن فارس وجهها من التأويل فيه ، وفي بعض أبواب الثلاثي فإن الأبواب بعدها لا يسعها عمل ولا تأويل مهما أغرب . هذا رأى تردد في صدرى بعد أن أخذت في قراءة كتاب المقاييس على أمل الاطمئنان لاطراد الفكرة ، ولكن الاستكراه في التأويل كان مانعا من تقبلي لها على جهة الشمول والاستقصاء .

يرى ابن فارس ان الكلمات التى تزيد على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد (ضبطر) من (ضبط) و (ضبر) وفي قولهم (صهصلق) أنه من سهل ، وصلق ، وفي (الصلدم) انه من (الصلد) و (الصدم) (١) وعلى هذا فان مقاييسها تتبع أصولها قبل النحت .

ولكن اذا سلمنا بأن من معانى الضبط القنطرة ، قال من معانيها أيضا (لزوم الشيء وجبسه . وقال الليث : الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء) (مادة ض ب ط في اللسان) . واذا رأينا من معانى الضبر : الشدة فان من معانيها أيضا الجمال . ذكر في اللسان في مادة ض ب ر (والمضبور المجتمع الخلق الأملس) (٢) وتفسير ضبطر بانه الرجل الشديد استنادا على انه منحوت من هذين الأصليين استكراه فيما أرى .

ومن كلامه في بلهس اذا أسرع أنها من أصلين : الأول : (بهس) والثاني (بله) وهو من صفة الأبله (٣) استنادا على أن البلهس صفة للأسد . كان صفة الأسد وصفة الأبله يفيدان الاسراع .

وعبارة اللسان : البلهس : الجرأة ، وبهس من أسماء الأسد أو من

(١) الصحابي ٢٢٧ .

(٢) لسان العرب ٤٧٩/١٩ ط دار صادر مادة ضرب ر .

(٣) المقاييس ١ : ٣٣١ .

صفات الأسد فى رأى ابن سيدة (١) • والرأى عندى انه سواء كانت
الجرأة - أو - صفة الأسد فانها لا تفيد مع البله معنى الاسراع الا على
تأويل بعيد غير ملزم ، وأقرب من هذا وأرشد - ان تكون (بلهس)
بمعنى أسرع وضعا - لا نحتا ولا اشتقاقا •

ويكاد يتعقد الأمر ويغرب عندما يجوز النحت من ثلاثة أصول
كقوله : السجبل = الوادى الواسع ، وكذلك القرية الواسعة سجلة •
يقول :: (فهذا منحوت من سحل اذا صب • ومن سبل ، ومن سحب
اذا جرى وامتد • وهى منحوتة من ثلاث كلمات - تكون الحاء زائدة مرة
وتكون الباء زائدة ، وتكون اللام زائدة) (٢) •

فاذا عرضت لهذه الكلمات مجردة لم أجد بها رابطة تستقيم مع
فكرة ابن فارس • فالسحب : جرك الشيء على وجه الارض ، والسحب :
شدة الأكل والشرب ، والسحل والسحيل : ثوب لا يبرم غزله ،
والسحل : ثوب أبيض ، وسحله : قشره ونحته • والسحل : النقد من
الدراهم ، وسحل الشيء : برده • وفى سبل : أسبل ازاره ارخاه ، وأسبل
الفرس ذنبه : ارخاه ، والسبل بالتحريك : المطر ••• (٣) •

وأقرب من هذا التحت المستكره ان تكون الكلمة على وضعها لا سيما
وان السجبل من الأودية : الواسع ، وسجبل أيضا اسم واد بعينه (٤) •

وبالرغم مما ساورنا من حذر من اطلاق فكرة المقاييس وتعميمها
فان الكتاب عالج بعض خصائص العربية علاجا عميقا لا يتيسر الا للذين
عاشوا فى أعماق العربية ، ونقعوا فى ينباعها فأتبح لهم أن يفلسفوا أصولها
على هذا الوجه •

(١) لسان العرب مادة بهس •

(٢) المقاييس ٣ : ١٥٨ •

(٣) من اللسان مادة س ح بو سح لو سح بل •

(٤) لسان العرب مادة سحل •

ومن الكتب الهامة التي وضعها أحمد بن فارس كتاب المجل ، وهو كالمقاييس يتصل ببيان وجوه المعاني للألفاظ ولكن على اختلاف في النهج فكتاب المقاييس يعالج خاصية من خصائص العربية تتصل بأصل اللغة واشتقاق ألفاظها على الوجه الذي يراه ابن فارس ، ولم يكن بهذه الصفة معجما .

أما المجل - فهو معجم يهدف الى جمع اللغة بصورة رتيبة لبيان معانيها ،

تناول ابن فارس مواد العين والجمهرة بالدراسة والتدقيق وناقش الخليل وابن دريد في كتاب المقاييس ، ولذلك مضى في المجل على وجه متطور ، أكثر تنظيما من العين والجمهرة ، لاحظ فيهما الاستطراد والاتساع والجمع بين مختلف الأقوال وعد ذلك من العيوب حتى صار عبئا على طلاب اللغة فقال في مقدمة المجل : (انشأت كتابي هذا بمختصر من الكلام قريب ، يقل لفظه وتكثر فوائده ويبلغ بك طرفا مما أنت ملتصقه) .

وفي عصر ابن فارس ألف الجوهري كتاب الصحاح والتزم فيه الصحيح من كلام العرب ، فكان ابن فارس على هذا النهج أيضا - وقال انه عمد الى صحيح اللغة دون الوحش المستكر ، واعتمد في مصادره على السماع - أو من كتاب لا يتطرق الشك الى صحة نسبه وقال في ختامه (...) قد توخيت فيه الاختصار وآثرت فيه الإيجاز واقصرت على ما صح عندي سمعا ، ومن كتاب صحيح النسب مشهور ، ولولا توخي ما لم أشك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا (١) .

(١) الزهر ١ : ١٠٠ .

الجدید فی ترتیب ابن فارس :

المواد فی کتابی المقاییس والمجمل أسهل تناولا من المعاجم الأخرى
اذ رتب الكلمات على ترتیب الأبجدية ، وكان يأخذ الحرف مع ما يليه حتى
يستوفى الحروف الى الياء ثم يعود به من الهمزة وما يليها - وكان يتبعى
بهذا - كما يقول - التيسير على الباحث ، ولم يقصر هذا التيسير على مجرد
الترتيب ، وانما عمل على اختصاره بطرح الاستطراد وحذف الكثير من
الشواهد .

كتاب الاتباع والمزاوجة :

تدور فی العربية كلمات لها جرس خاص كقولهم : عثشان نطشان
وحسن بسن ، وشيطان ليطان الى غير ذلك فسمى هذا اتباعا لأن الكلمة
الثانية تابعة للأولى على وجه التوكيد لها ولا يتكلم بالثانية منفردة عمل
ابن فارس كتابا فی هذه الظاهرة ، وكان دوره لا يتجاوز التعريف بها ،
وجمعه للكلمات مرتبة على حروف المعجم ، ولهذا الكتاب صورة خطية
فی دار الكتب برقم ٥٥ لغة - وقام بنشره لأول مرة المستشرق رودلف
بروتو ، ثم حققه ونشره السيد كمال مصطفى - ولا نرى محلا للاستطراد
فی الحديث عن الاتباع بعد أن تحدث عنها السيوطى فی المزهرة فجمع
آراء الرواة وأمثلتهم عليها وتعريفهم لها - بدأ بابن فارس ونقل شيئا من
مقدمته ، ثم أشار الى آخرين من علماء اللغة ومنهم من خصص لها فصولا
فی كتبه كابن دريد وأبى على القالى ومنهم من اكتفى بمناقشتها كالكسائى -
كما أورد العبارات المشهورة فی اللغة تحت هذا الأصل (١) .

● كتاب الصحابي :

هو كتاب فقه اللغة وان ظهر بهذا الاسم لأنه اهداه للصاحب

(١) المزهرة ١ : ٤١٤ (النوع الثامن والعشرون) .

ابن عباد - تناول فيه الكثير من خصائص العربية ، وتتلخص ملاحظتنا عليه فيما يلي :

- انه تحدث في موضوعات شتى كاللّكلام عن لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح والقول على الخط العربي ، والقول في ان لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها ثم أفاض في ظواهر العربية فلم يستوف الحديث في واحد منها .

- انه نقل من ابن قتيبة حروف المعاني ، كما نقل جزءا كبيرا مما جاء في كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة (١) دون ان يشير الى مصدره ويبدو انه اعتمد على ما قاله في المقدمة (والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في تصانيف العلماء المتقدمين ... وانما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق) (٢) .

ولابن فارس كثير من الكتب والرسائل عرض لها الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمته لكتاب المقاييس ، واكتفينا منها بما عرفنا به .
ومن أصحاب الصاحب بن عباد - محمد بن عبد الله الاسكافي . نشأ في أصبهان وعاش في الري وله مؤلفات حسنة من أهمها :

● كتاب مبادئ اللغة :

وهذا كتاب يتجاوز هذه التسمية اذ يجمع حصيلة ممتازة من الدراسات اللغوية - كان القدامى يفرّدون لكل موضوع كتابا كخلق الانسان ، والوحوش ، والحيل الى غير ذلك وتعدد كتبهم بتعدد هذه الموضوعات الى ان صدرت كتب الصفات ، وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام وقد حاول حصر جملة من الموضوعات في كتاب واحد

(١) انظر ص ٩٧ وما بعده من كتاب الصاحبى .

(٢) الصاحبى ص ٤ ط السلفية سنة ١٣٢٨ - ١٩١٠ م .

وقد سلك أبو عبد الله الاسكافى هذا المسلك وأعد كتابه فى مواضيع مختلفة جعلها أبواباً منها :

أسماء الكواكب ، وأسماء البروج ، والأزمنة والأوقات ، والليل والنهار ، وصفة الحر والبرد ، والرياح ، وأسماء الرعد والبرق ، والمياه وأوصافها وذكر أماكنها ، والجبال وما يتصل بها الى غير ذلك كما خص الخيل بكتاب جعله وسط الأبواب •

ولم يقتصر الاسكافى على تعديد المفردات وانما ذهب بين الاستعمال الصحيح للعبارات على النحو الذى سبقه به ابن السكيت فى كتاب الألفاظ فمن هذا قوله :

(يقال أتيت ظلاماً ، ومساءً ، وعشاءً ، وممسياً أى عند غروب الشمس وملس الظلام وملث الظلام ، وجنح الليل ، وفحمة العشاء اذا اختلط الظلام ، وأتيت فورة العشاء أى عند العتمة وذلك اذا غاب الشفق وهو بقية ضوء الشمس وحمرتها - وجاء غسق الليل وغطشه ودمسه اذا لم يبق شفق - وبعد هده من الليل وموهن من الليل لنحو من الربع ، وبعد الفريع أى نصف من الليل (١) •)

وبان هذه الفروق الدقيقة للعبارات لا ييسر لعامة العلماء ، والاسكافى يحتاج لما يأتى به بأقوال الشعراء الا أنه فى كثير من الأحيان لا ينسب الشعر لقائله ويكتفى بكلمة قال ، أو قال الشاعر - ولأبى عبد الله غير هذا الكتاب - كتاب غلط كتاب العين ، والغرة جمع فيه شيئاً من غلط أهل الأدب ، وشواهد كتاب سيبويه ، ونقد الشعر ، ودرة التنزيل وغرة التأويل فى الآبات المتشابهة (٢) •

(١) مبادئ اللغة ص ٩ و ١٠ ط السعادة سنة ١٣٢٥ هـ •

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٢١٤ - ١١٥ •

اقليم فارس

شيراز

وكانت عاصمة القسم الجنوبي (شيراز) يصفها المقدسى أيام البويهيين فيقول : (٠٠٠) ومن رسومهم اذا صليت العصر كل يوم جلس العلماء للمعام الى المغرب ، وكذلك بعد الغداة الى ضحى وأيام الجمع يجتمعون فى غير موضع وطابت شيراز بجامعها (١) .

أبو على الفارسى :

وكان ينزل بها عضد الدولة اذا كان فى اقليم فارس وحيث حل هذا الرأس تبعته حاشية من العلماء فكان لأبى على الفارسى حلقة فى شيراز تلمذ له فيها عبيد الله بن أحمد الفزارى صاحب صناعة الاعراب وعيون الاعراب (٢) وجلس اليه أحمد بن محمد المرزوفى فقرأ عليه كتاب سيبويه (٣) ولازمه على بن عيسى الربعى عشرين سنة فى شيراز ، وكان عضد الدولة نفسه يباهى بالتلمذة له ويقول (أنا غلام أبى على فى النحو) (٤) كما كان من تلامذته قاضى القضاة فى شيراز (٥) .

والحقيقة ان أبا على لم يقض حياته العلمية فى شيراز ولم يكن علمه

(١) أحسن التقاسيم .

(٢) بغية الوعاة ٣٢٠ .

(٣) بغية الوعاة ١٥٩ .

(٤) معجم الأدياء ٧ : ٢٣٤ .

(٥) بغية الوعاة ٣٢٠ .

وقفا عليها فقد ولد في فسا سنة ثمان وثمانين ومائتين وانتقل فيل العشرين الى بغداد في سنة سبع وثلاثمائة فلقى فيها أبا أسحق الزجاج ، وأبا بكر ابن السراج وعلت منزلته في النحو حتى فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد فكان أبو طالب العبدى يقول : لم يكن بين أبي على وبين سيوبه أحد أبصر بالنحو من أبي على •

ظل أبو على في العراق فتعلم وعلم وانتقل الى عواصمها وجول في بيئاتها العلمية وله فيها المسائل البغدادية أو البغداديات ، والبصريات نسبة الى البصرة ، والقصريات نسبة الى قصر ابن هبيرة في نواحي الكوفة ثم انتقل الى بلاط الحمدانيين في الموصل سنة احدى واربعين وثلاثمائة وكان سيف الدولة مولعا بالمسائل اللغوية فاجتمع هناك ابن خالويه ، وأحمد بن نصر ، وأبو على الفارسي ، ولكن المنافسة بين هؤلاء العلماء لم تدع لأبي على فرصة البقاء في الموصل فطوف في بلاد الشام وزار طرابلس والمرة وحلب وألف فيها الحلقات كما نزل دمشق وأملى بها المسائل الدمشقية ثم عاد الى بغداد سنة ست وأربعين وثلاثمائة وعقد مجلسه فيها سنتين رحل بعدها الى شيراز وعقد مجلسه فيها عشرين سنة عاد بعدها مرة أخرى الى بغداد (١) •

ترك أبو على أكثر من ثلاثين مؤلفا في اللغة والنحو والقراءات ومن أهمها كتاب الحجة •

● كتاب الحجة :

كان أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد قد جمع القراءات السبع في كتاب ، تناوله تلميذه أبو بكر بن السراج بالشرح والتفسير ولكنه

(١) انظر في هذه الجولة ٢٣٢ وما بعدها من الجزء السابع من معجم الادباء.

١ : ٣٦١ من كتاب وفيات الأعيان ط السعادة سنة ١٩٤٨ م •

لم يمل من كتابه الا آيات قليلة من سورة البقرة فنشط له أبو على العارسي فبدأ بنص أبي بكر بن مجاهد في كتاب القراءات ثم اتبعه بكلام أبي بكر ابن السراج ثم عقب على ذلك بكلامه فلما انتهى ما كان أملاه ابن السراج استقل أبو على بالكتاب •

وكتاب الحجة وان استهدف الاحتجاج لوجوده القراءات الا انه في جملة معلمة لغوية • فهو يتناول اللفظ الذي قرئ على أكثر من وجه فيبين موقعه من اللغة مستشهدا بآيات أخرى من القرآن الكريم ثم يعقب على ذلك براء اللغويين وحججهم من مآثور كلام العرب ، وفي أحيان كثيرة جدا كان يستطرد الى الحديث عن وجوه الأعراب ويفرق في المسائل النحوية ويعرض للقضايا اللسانية فيتكلم عن الحروف المهجورة والمهموسة وحروف الذلاقة وحرفي الطلاقة الى غير ذلك • ويستلفتنا في منهج أبي على ما يلي :

شدة كلفه بالقياس :

ولقد بلغت هذه المسألة مبلغها عنده وأورثها من بعده ابن جني ونكتفى هنا ببعض ما لمناه متصلا بهذه المسألة في كتاب الحجة أما مسألة القياس عامة - ولأبي على مجال واسع فيها فقد فصلنا القول في مكان آخر • يقول أبو على : (..... وهذه اللغة وان كان سيوييه قد سماها الرديئة فلها من وجه القياس ما ذكرته) (١) ويقول (فان الحمل على القياس والأمر العام أولى حتى يحوج الى الخروج عنه أمر يضطر الى خلافه ويخرج عن الشائع الواسع) (٢) أو يستدل على زيادة (لا) في قوله تعالى (ما منعك الا تسجد) بقياسها على آية أخرى (ما منعك ان تسجد) •

(١) الحجة ١ : ٥٧ مخطوطة مكتبة الاسكندرية •

(٢) المصدر السابق ١ : ٧٣ •

— استقل أبو على ببيان حجج القراءات بعد سورة الفاتحة وآيات قليلة من سورة البقرة الى قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه) وهو القدر الذى انتهى اليه ابن السراج •

— عنايته بالنحو والاعراب : فانه بالرغم من التفصيل والاستطراد وما كان يقدمه من أقوال الرواة فى سياق الاحتجاج أو الاستشهاد فانه كان يعقد فى آخر الآية حديثا خاصا لإعرابها ويعرض لآراء سيويه ، والأخفش ، والجرمى والكسائى ، والفراء ، ومعلب ثم يعقب على هذا برأيه أو الوجه الذى يرجحه •

— كان يكثر من الرواية عن أبى زيد كما كان يروى أكثر شواهده من الأشعار عنه وقد لاحظ ذلك أبو حيان التوحيدى فقال فى كتاب الامتاع والمؤانسة (... وما تجاوز فى اللغة كتب أبى زيد وأطرافا مما لغيره) (١) • وقد عقد أبو حيان مقارنة بين أبى على الفارسى ، وأبى سعيد السيرافى وعرض فيها لعلى بن عيسى الرمانى نحيل إليها فى كتاب الامتاع والمؤانسة لفائدتها (٢) •

● على بن عيسى الربعى :

وتلمذ لأبى على الفارسى أبو الحسن على بن عيسى بن الفرّج الربعى • وهو شيرازى الأصل ذهب بادية الأمر الى بغداد فأخذ عن أبى سعيد السرافى ، وخرج الى شيراز فجلس الى أبى على الفارسى عشرين سنة حتى قال فيه أبو على (ما بقى له شئ يحتاج ان يسأل عنه) •

كان الربعى يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به ، وكان يستدنيه عضد الدولة يسأله رأيه فى معانى بعض

(١) الامتاع والمؤانسة ١ : ١٢١ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٩ م •

(٢) المصدر السابق ١ : ١٢٩ •

الآيات (١) إلا أن الربيعى كان يتهم بالجنون فقلت الافادة منه ، قس
 لأبى القاسم بن برهان : يا سيدنا تترك الربيعى والأخذ عنه مع ادراكك اياه
 وتأخذ عن أصحابه ؟ فقال : كان مجنونا (٢) وان كان من الصعب التوفيق
 بين جنونه هذا وبين اختيار عضد الدولة له .

ومن تصانيف أبى الحسن : كتاب شرح الايضاح لأبى على الفارسى ،
 وشرح مختصر الجرمى ، والبديع فى النحو ، وشرح البلغة ، وكتاب
 ما جاء من المبنى على فعال ، وكتاب التنبيه على خطأ ابن جنى فى تفسير
 شعر المتنبى ، ويقال انه شرح كتاب سيبويه ثم عاد ففسله (٣) .

● أبو محمد الحسن بن أحمد :

ومن علماء شيراز أبو محمد الحسن بن أحمد المعروف بالأسود
 الغندجاني وصفه ياقوت (باللغوى النسابة) وقال فيه (كان علامة نسابة
 عارفا بأيام العرب وأشعارها قيما بمعرفة أحوالها) (٤) . وتدل تأليفه على
 أنه تصدى لكبار اللغويين يستدرك على كتبهم فله كتاب فرجة الأديب فى
 الرد على يوسف بن أبى سعيد السيرافى فى شرح أبيات سيبويه ، وكتاب
 ضالة الاديب فى الرد على ابن الأعرابى فى النوادر التى رواها ثعلب ،
 وكتاب قيد الأوابد فى الرد على ابن السيرافى فى شرح أبيات اصلاح
 المنطق وكتاب الرد على النمرى فى شرح مشكل أبيات الحماسة ، وكتاب
 نزهة الأديب فى الرد على أبى على فى التذكرة - وكان لا يقنعه أن يرد
 ردا جميلا على أئمة العلم حتى يتناولهم بالسخرية والتهكم فوقع فيه أبو يعلى
 ابن الهباربة الشاعر وطعنه فى وسيلة تلقيه العلم وتحصيله اذ كان مستنده

(١) معجم الادباء ١٤ : ٨٢ - ٨٤ .

(٢) معجم الادباء ١٤ : ٨٥ .

(٣) انظر ترجمته فى نزهة الالباب ٤١٤ ، وفيات الأعيان ٣ - ٢٣ . انباء الرواة

٢ : ٢٩٧ وبغية الوعاة ٣٤٤ .

(٤) معجم الادباء ٧ : ٢٦١ .

فيما يرويه عن محمد بن أحمد المعروف بابن الندى وهذا رجل مجهول كما يدعى ياقوت • وقال ابن الهبارية (ليت شعري من هذا الأسود الذي قد نصب نفسه للرد على العلماء وتصدى للأخذ على الائمة القدماء ؟ بماذا نصصح قوله ونبطل قول الأوائل ولا تعويل له فيما يرويه الا على أبي الندى ؟ ومن أبو الندى في العالم ؟ لا شيخ مشهور ولا ذو علم مذكور) (١) •

هنا نضع ايدينا على بعض الأسباب التي عابوا بها علماء الرواية ومن أشهرها هذه التهم التي توجه الى طرق التلقي - فبالرغم من ان أبا محمد الأعرابي كان في كنف الوزير العادل أبي منصور بهرام بن مافنه وان وسيلته اليه كانت هذه التأليف التي كان يهديها اليه ويجعلها باسمه وان أبا محمد قد أصاب بسببها مالا جما وثروة واسعة فانه لم يسلم من هذا الطعن الذي لم يوجه أساسا الى هذه الكتب وانما الى هذا الاسناد الذي لم يتجاوز (أبا الندى) •

ولقد عودنا العلماء انهم يهدون تأليفهم الى الخلفاء والأمراء عندما يرون فيها شيئا ثميناً يصبر أمام الامتحان والنقد •

أصبهان

أما أصبهان فكانت تتوسط إقليم الجبال ، وإقليم فارس يذكرها بعضهم هنا ، ويذكرها بعضهم هناك - ويرأها المقدسي من أعمال فارس لأسباب ذكرها في كتابه (١) .

ولقد نعمت أصبهان من عصر مبكر بكتب الأصمعي ، وأشعار شعراء الجاهلية والاسلام مقروءة عليه . حملها أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي - يروي ياقوت انه لما أقدم الحُصَيْب بن اسلم أبا محمد الباهلي صاحب الأصمعي الى أصبهان نقل معه مصنفات الأصمعي وأشعار شعراء الجاهلية والاسلام مقروءة على الأصمعي (٢) وكان قدومه أصبهان بعد سنة عشرين ومائتين (٣) فاقام أشهراً ثم تأهب للحج فدخل الى عبد الله بن الحسن وسأله ان يدلّه على رجل يسلم اليه دفاتره الى ان يرجع فقال له : عليك بمحمد بن العباس وكان مؤدب أولاد عبد الله بن الحسن - مقبول القول - فسلم الباهلي اليه دفاتره ، وخرج فأنسخها محمد بن عبد الله الناس ، فقدم الباهلي وقامت قيامته ودخل الى عبد الله بن الحسن وذكر له ما كان يأمل في دفاتره من التكبس بها فجمع له عبد الله بن الحسن من أهل البلد عشرة آلاف درهم ووصله الحُصَيْب بعشرين ألفاً فتناولها ورجع الى البصرة (٤) .

(١) أحسن التقاسيم ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) ربما كان يقصد الاصمعيات ، أو المفضليات فقد قرئت هذه أيضاً على الاصمعي

(٣) أي بعد وفاة الاصمعي بأربع سنوات .

(٤) معجم الادباء ٢ : ٢٨٥ .

وفى هذا الخبر ما يكشف عن جو أصبهان العلمى ورغبة أهلها فى الحصول على العلم - ولاشك ان أحمد بن حاتم عرف هذه الرغبة فيهم فتوجه اليها بكتب الأصمعى فور وفاته متاجرا بها - وفى احتيالهم على نسخها بهذه الصورة وتعويض صاحبها مالا دليل آخر على تأكيد هذا الرأى فيهم •

ونشأ فى أصبهان ابرهيم بن غيث فخرچ فى صغره الى العراق حيث التقى بأبى عبيدة وأبى زيد (١) ثم عاد الى أصبهان ، ولا نكاد نعرف من أمر هذا الرجل الا هذه الاشارة العابرة التى ذكرها ياقوت فى ترجمة الحسن بن عبد الله المعروف بلغة ولكنها تؤكد على كل حال سبق أصبهان وانصرافها الى العناية بالدراسة اللغوية •

وكان يفد على محمد بن يحيى بن ابان أعراب يضربون خيامهم بفناء فى باغ (٢) سلم بن عود ، ويقصدهم طلاب اللغة يسمعون منهم ويصححون عليهم ما وجدوه فى كتب اللغة • ولقد أفاد من كل هذا أبو على الحسن بن عبد الله الأصفهاني فأخذ اللغة عن أبى نصر أحمد ابن حاتم صاحب الأصمعى ، والكرمانى صاحب الأخفش ، وحفظ فى صغره كتب أبى زيد ، وأبى عبيدة ، والأصمعى ثم تتبع ما فيها وعرضها على هؤلاء الأعراب فكان يلقى عليهم مسائل شكوكه من كتب اللغة فاعانه ذلك على تأليف كتاب فى النوادر يقول عنه حمزة الأصفهاني (وكتاب النوادر هذا كتاب كبير يقو به بازاء كل ما خرج الى الناس من كتب أبى زيد فى النوادر) (٣) •

ولأبى على كتاب الصفات ، وخلق الانسان ، وخلق الفرس ، وله ردود على علماء اللغة ، وعلى رواة الشعر عنى بجمعها حمزة الأصفهاني

(١) معجم الأدباء ٨ : ١٤١ •

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة •

(٣) المصدر السابق •

وأرسلها الى أبي اسحق الزجاج (١) ولا ندرى وجهة حمزة الأصفهاني
في هذا التصرف - هل كان يساهي بعلم أصبهان أم كان يشدد تمامها
بعرضها على علماء العراق .

وقدم أصبهان أبو منصور محمد بن علي بن عمر بن الجبان وقد
أمضى شطرا من حياته في الري ، وصفه ياقوت بقوله (أحد حسنات الري
وعلمائها الأعيان ، جيد المعرفة باللغة ، باقعة الوقت ، وفرد الدهر
وبحر العلم ، وروضة الأدب) (٢) فلما قدم أصبهان أخذ عنه رجالها
ولأبي منصور كتاب الشامل في اللغة ذكره القفطي فقال (هو كتاب كبير
على الحروف ملكت منه بعضه ، وهو تصنيف كثير الألفاظ قليل الشواهد -
وقصده فيه جمع الألفاظ اللغوية) (٣) كما صنف أبنية الأفعال وشرح
فصيح ثعلب (٤) .

وفاز بالعلم من أصبهان - كما يحكي صاحب بن عباد - حائك
وحلاج ، واسكاف - فالحائك هو المرزوقي (٥) أحمد بن محمد بن الحسن -
عنى بكتاب سيويه فقراء على أبي علي الفارسي ، كما شرح كتاب الفصيح
لثعلب - ومن كتب المرزوقي التي وصلت إلينا كتاب الأزمنة والأمكنة وهو
كتاب لغة وإن أسسه على بيان الأزمنة والأمكنة ، واليك طريقته .

يقول عن أمس : هو اليوم الذي يليه يومك الذي أنت فيه . ثم يذكره
مضبوطا بحسب أقوال الرواة - فقطرب وغيره (رأيته أمس - بالكسر)
وتسيم يرفعونه في موضع الرفع فيقولون : (ذهب أمس بما فيه) وآخرون
ينونه دائما فيقول الراجز :

(١) معجم الادباء ٨ : ١٤٢ والفهرست ١٢٠ وبقية الرواة ٢٢٢ .

(٢) معجم الادباء ١٨ : ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٣) انباء الرواة ٣ : ١٩٤ .

(٤) معجم الادباء ٥ : ٣٥ .

(٥) المصدر السابق .

لقد رأيت عجيباً مدامسا عجايزاً مثل السعالى خمساً (١)

واذا تحدث عن أيام الأسبوع تناول اختلاف اللغات فيها ،
ومناسبة اشتقاقها كقولهم فى السبت انه سمي كذلك للراحة ، ومنه
السبات : النوم ، ويقال : انسبت الرجل اذا اعترته سكتة ، وقيل أصل
السبت القطع ، ومنه السبات لأنه يحول بين التمييز وصاحبه ويقطعه عن
عادته وتصرفه - ويقال : سبتوا عنقه اذا قتلوه - والمنسبت من النخل
ما يجرى الارطاب فى جميعه فكأنه انقطع عن حد البسر ٠٠٠ الى غير
ذلك (٢) ويقول فى صفر وهو يعرض للشهور (وسمى صفراً لأنهم كانوا
يفزون الصفرية وهى مواضع كانوا يمتارون الطعام فيها ، وقيل لأنهم كانت
أوطانهم تخلو من الألبان - ومن كلامهم نعوذ بالله من صفر الاناء ٠٠٠
ويقال صفرت عيبة الود من فلان أى خلت ٠٠٠) (٣) •

عسكر مكرم

وقريب من أصفهان بلدة تسمى عسكر مكرم نشأ بها أبو بكر
محمد بن على بن اسماعيل الملقب (بمبرمان) فنزل البصرة وأخذ عن
محمد بن يزيد المبرد ونبغ فى النحو حتى أخذ عنه جماعة من العلماء
الصدور كأبى على الفارسى ، وأبى سعيد السيرافى ومن فى طبقتهم (٤) •
وخرج الى الأهواز قادماً من البصرة القاسم بن اسماعيل أبو ذكوان (٥)

(١) الأزمدة والأمكنة ١ : ٢٤٢ - ٢٤٣ ط الهند سنة ١٣٢٢ هـ - ١٩١٤ م •

(٢) الأزمدة والأمكنة ١ : ٢٦٨ - ٢٦٩ •

(٣) المصدر السابق ١ : ١٧٧ •

(٤) انباء الرواة ٣ : ١٨٩ •

(٥) جاء اسمه مختلفاً فى كثير من المراجع فهو ابن ذكوان ، وأبو ذكوان وعسل
انظر فى ترجمته أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٨٠ ، ومعجم الأدباء ١٢ : ١٦٨ •
وبغية الوعاة ٣٢٤ •

ريبب التوزى أيام ثورة الزنج وأقام فى عسكر مكرم بعد أن تلمذ للمازنى والرياشى (١) •

ونشأ بها أبو هلال العسكرى اللغوى صاحب كتاب الفروق اللغوية وهو أكمل كتاب فى نوعه ، هدم فيه فكرة الترادف وقال : (ان كل اسمين يجريان على معنى من المعانى وعين من الأعيان فى لغة واحدة فان كل واحد منهما يقتضى خلاف ما يقتضيه الآخر والا لكان الثانى فضلا لا يحتاج اليه وذكر تفسير المبرد لقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) حيث قال : الشرعة لأول الشيء ، والمنهاج لمعظمه ومتسعه ولم يجوز ان يعطف الشيء على الشيء الا اذا كان فى أحدهما خلاف للآخر فاما اذا أريد بالثانى ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ ، لا تقول جاءنى زيد ، وأبو عبد الله اذا كان زيد هو أبو عبد الله (٢) •

وكذلك بنى رأيه فى انكار الترادف على انكار المشترك أيضا فقال : (وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز ان يكون اللفظان يدلان على معنى واحد لأن فى ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه) (٣) •

وهو لا يجوز كذلك ان تكون (فعل) و (أفعل) بمعنى واحد ...
الا ان يجيء ذلك فى لغتين ، فاما فى لغة واحدة فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن كثير من اللغويين والنحويين وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ولم يعرف السامعون تلك العلل والفروق

(١) أخبار النحويين البصريين ٨٠ ومعجم الأدياء ١٢ : ١٦٨ •

(٢) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ص ١٢ ط القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ •

(٣) المصدر السابق •

(٤) المصدر السابق •

فطنوا ما ظنوه من ذلك وتأولوا على العرب ما لا يجوز في الحكم
ثم بنى سائر كتابه على بيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي تبدو مترادفة
وقريب من أصبهان بلدة تسمى (قم) مصرت أيام الحجاج سنة ٨٣ هـ ،
ومن رجالها أحمد بن إبراهيم بن سحكة القمي وهو نحوي لغوي انقطع
الى آل الغميد ، له كتاب العسل استوفى فيه ما جاء في ذكر العسل وصفته ،
وما قيل في النحل وما ورد في ذلك عن العرب • توفي في حدود سنة
خمسين وثلاثمائة (١) •

(١) انباه الرواة ١ : ٢٩ •

مظاهر الرواية في شرق العراق

بين العراق وشرق العراق :

بعد هذه الجولة ، يستلقتنا هذا الوجه المغاير للرواية في العراق من حيث السعة والضخامة ، فلقد نشأت هناك بادية الأمر في البصرة ثم نشطت في الكوفة ، ولم تلبث ان ازدهرت في بغداد وكان من أثر هذا الازدهار ان انتقل علماء الكوفة الى العاصمة الجديدة كما انتهى أمر البصرة تقريبا بعد ثورة الزنج في سنة سبع وسبعين ومائتين (١) .

واجتمع المذهبان في بغداد - البصري والكوفي - وبقيانبا الى جنب يمدان شغل المجتمع البغدادي خاصة ، والاسلامي عامة بحجج الفريقين وتعمل الخصومات العلمية والمناظرات على تضيق الفوارق بما استقر من هذه الحجج ثم تتأثر الرواية بالحالة الاجتماعية ويرى فريق من العلماء ان العربية قد شابهها اللحن وبدأت اللغة المتحللة من قيود الاعراب تأخذ مكانها في المجتمع البغدادي فنشطوا الى وضع الكتب التعليمية - نرى رجلا كابن قتيبة يؤلف أدب الكاتب ، ويضع أبو العباس ثعلب كتاب الفصيح ،

(١) انظر باب الرواية اللغوية في البصرة في كتابنا (رواية اللغة في العراق) .

ونوالى اشروح على كتب ابن السكيت ، ويؤلف المفضل بن سلمه كتاب
الفاخر فى اللغة يتناول فيه تفسير العبارات والأمثال التى تجرى على السنة
الجمهور - وهكذا كان المظهر الغالب فى بغداد يعبر عن العلاقة بين اللغة
والمجتمع فى هذه العاصمة •

أما الدراسة اللغوية فى شرق العراق فكانت مجزأة فى هذه العواصم
المتعددة التى آثرنا ان نفرد لها ، واستطعن بهذا التقسيم ان نضع أيدينا
على كثير من الظواهر العامة فى هذا الاقليم ، كانت الدراسة العلمية عامة
تجود فى ظل الولاة وكتابهم ، وعلى قدر حظ الأمير من العلم وحبه له
تجود الدراسة ، ولقد بدءوا ذلك فى الشرق حين علا ذكر البصرة وقبل
ان يصبح ملاك الأمر الى بغداد فكان يحيى بن يعمر يكتب ليزيد بن المهلب
فى زمن الحجاج بن يوسف ، وكان المأمون الذى يصفه المؤرخ ابن دحية
(بالامام العالم المحدث النحوى اللغوى) (١) تلميذ لأبى محمد يحيى
ابن المبارك اليزبدي فى خراسان ، ويعيش فى كنفه أبو فيد مؤرج
السدوسى ، وتضيق الحال بالنضر بن شميل فيقف بالمربد قائلا (يعز على
مفارقتكم ، والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلا ما فارقتكم) (٢)
ولم ير بدا من الذهاب الى خراسان ولاذ بالمأمون على حالته هذه ، ثم
لا يلبث ان ينعم فى ظله ، وتجود قريحته - وكل هؤلاء بصرى من
قدامى رواة البصرة ومن أمثالهم •

ومن بعده استأثر طاهر بن الحسين ومن بعده عبد الله بن طاهر
بأبى المنهال عوف بن محلم الخراعى ، وكان طاهر لا يخرج فى سفر
الا أخرجه معه وجعله زميله وأنيسه وبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه
فلما مات طاهر قربه ابنه عبد الله وأنزله منزلته من أبيه (٣) •

(١) الثبراس لابن رحيه ٤٦ وانظر تاريخ تعداد ١٢ : ١٨٣ •

(٢) انباء الرواة ٣ : ٣٤٩ •

(٣) معجم الأدباء ١٦ : ١٤٠ •

ولما قلد المأمون عبد الله بن طاهر ولايه خراسان سنة سبع عشرة ومائتين سأله عبد الله أن يمدّه بثلاثة من علماء العراق فأجابه الى طلبه (١) كما حرص عبد الله ان يصحب معه عددا من الأعراب الرواة ، وذهب به حب العلم والعلماء ان يغرى زعيمى البصرة والكوفة أبا العباس المبرد ، وأبا العباس ثعلب على العيش فى قصره وبقي الأخير فى ضيافته ثلاثة عشر عاما .

وهكذا كانت سيرة آل سامان ، يجمعون العلماء عشيات جمع رمضان للمناظره يبدءونهم بأسئلتهم ثم يتركونهم يتكلمون فيها (٢) . وكان بنو بويه من أحرص الولاة على العلم والعلماء ، وتذلك المناقشات التى كانت تدور بين عضد الدولة وبين أبى على الفارسى على أن هذا الرجل كان يتبوأ من العلم بقدر ما كان يتبوأ من الرياسة والامارة ، وكان ابنه تاج الدولة البويهى يحرض علماء العراق على السفر اليه ويمنيهم ونجح فى اجتذاب السيرافى والربعى وهما آنذاك من كبار العلماء فى بغداد فسافرا الى سيراف وأقاما فيها عشرين سنة (٣) .

وطابت الحياة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى بالرى حين حمل اليها من همدان ليقراً عليه أبو طالب بن فخر الدولة البويهى (٤) وظل أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري فى تطوافه على العراق وغير العراق حتى استدناه الحسين بن على الى خراسان وأكرم وفادته .

الكتب والمكتبات

ولم تقتصر همة هؤلاء الأمراء عند هذا الحد من تشجيع العلماء

(١) معجم الأدباء ٣ : ٢٣ .

(٢) أحسن التقاسيم ٣٣٨ .

(٣) يتيمة الدهر للشعالبي ٢ : ص ٥ .

(٤) نزعة الالباء ٣٩٢ .

واستضافتهم بل سموا الى الحصول على الكتب اللغوية التي صدرت في العراق فلم يترك عضد الدولة كتابا صنف الى وقته الا اقتناء (١) وكان صاحب بن عباد يحتاج في نقل كتبه الى أربعمئة جمل (٢) ولم تكن هذه المكتبات مجرد خزائن تباهى بها الولاية غيرها من الولايات بل كانت تمتد أصحابها ومن يلوذ بهم بفيض من العلم ، ويحكي ان صاحب حين صنف كتاب الوقف والابتداء وكان ذلك في باكورة شبابه أرسل اليه أبو بكر بن الانباري وقال له : انما صنفت كتابي الوقف والابتداء بعد ان نظرت في سبعين كتابا تتعلق بهذا العلم فكيف صنف هذا الكتاب من حداثة سنك ؟ فقال صاحب للرسول : قل للشيوخ نظرت في النيف وسبعين كتابا التي نظرت فيها ونظرت في كتابك أيضا (٣) .

وحين لاحظ العلماء ميل الأمراء الى اقتناء الكتب صاروا يهدون اليهم كتبهم أو يؤلفون لهم خاصة فألف اليزيدي كتاب المختصر في النحو لأولاد المأمون (٤) وألف الفراء كتاب المذكر والمؤنث وكتاب البهي لعبد الله بن طاهر (٥) وصنف ابن دريد أكبر كتبه وهو الجمهرة لآل ميكال، وأهدى أبو علي الفارسي كتابي الايضاح والتكملة لعضد الدولة بن بويه وألف أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب الغريب المصنف في ثلاثين سنة وجاء به الى عبد الله بن طاهر فأمر له بألف دينار وأشار الجاحظ الى ذلك فقال (بلغنا انه اذا ألف كتابا حمله الى عبد الله بن طاهر فيعطيه مالا خطيرا فلما صنف غريب الحديث اهداه اليه فقال : ان عقلا بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق الا يحوج الى طلب معاش واجرى له في كل شهر

(١) أحسن التقاسيم ٤٤٩ .

(٢) انباء الرواة ١ : ٢٠٢ .

(٣) نزهة الالباء ٤٠٠ .

(٤) معجم الأدباء ٢٠ : ٢١ .

(٥) الفهرست لابن النديم ١٠٠ ط الرحمانية .

عشرة آلاف درهم) (١) وألف أحمد بن فارس كتاب فقه اللغة واهداه الى صاحب بن عباد وما زال هذا الكتاب يعرف باسم (الصاحبى) الى اليوم ومن أعمال محمود بن سبكتكين ان جمع العلماء فى سجستان وكلفهم وضع كتاب فى التفسير يجمعون فيه أقوال المفسرين ، ويبنون فيه وجوه القراءات ، وعلل النحو والتصريف ، ويضمون اليه ما رواه ثقات الحديث وتم هذا العمل الضخم فى مائة مجلد .

آثار الرواة ودلائلها

واذا عرضت لآثار الرواة فى شرق العراق وجدت فيها نوعين يسترعيان النظر :

الأول : مؤلفات تدلك على عنايتهم بكتب العراقيين ومحاولة الاستدراك عليها .

الثانى : المعاجم .

ففى الناحية الأولى تستلفتك هذه المؤلفات التى تناولت أمهات الكتب التى صدرت فى العراق بالنقد أو التكملة أو الرد والاستدراك عليها ومهمة النقد هذه لا تتأتى الا لقوم أوتوا من العلم مرتبة عالية تتجاوز حد الاستيعاب ، ولهذا لم تكن عملية سهلة ، ولم تنته بانتهاء التأليف فيها وانما تبع ذلك نقد للنقد ، واستدراك على الاستدراك فلقد رأينا قيمة كتاب غريب الحديث الذى ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام والذى كان رجال الحديث يستقرئونه هذا الكتاب سعيا الى ما فيه من الغريب بخاصة وقد اهتدى به ابن قتيبة فعمل كتابا فى غريب الحديث قدم له بقوله : (. . وأرجو الا يكون بقى بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال) (٢)

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٥ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث والائثر لابن الاثير ص ٥٥ .

ولكن أبا سعيد الضرير وضع في شرق العراق كتابا رد فيه على أبي عبيد ،
 وبه الى اخطاء فيه (١) واستدرك على كتاب العين رجلا في شرق العراق
 فعمل أبو حامد البشتي كتاب (التكملة) يقصد تكملة العين ، وصنف
 محمد بن عبد الله المعروف بالاسكافي كتاب (غلط كتاب العين) (٢) .

واذا عرضت لمؤلفات الحسن بن أحمد الأعرابي الفندجاني وجدت
 أغلبها يدور حول الرد على العلماء وتخطئتهم والاستدراك على كتبهم
 فمن ذلك :

- كتاب فرجة الاديب في الرد على يوسف بن أبي سعيد السيرافي في
 شرح أبيات سيويه .
- كتاب قيد الأوابد في الرد على ابن السيرافي أيضا في شرح أبيات
 اصلاح المنطق .
- كتاب ضالة الأديب في الرد على ابن الأعرابي في النوادر التي
 رواها ثعلب .
- كتاب الرد على النمرى في شرح مشكل أبيات الحماسة .
- كتاب نزهة الأديب في الرد على أبي علي في التذكرة (٣) .

وتناول الحسن بن عبد الله الأصبهاني بالنقد الكتابين الكبيرين اللذين
 ظهرا الى عهده في غريب الحديث وهما كتاب أبي عبيد وكتاب ابن قتيبة (٤)
 كما كان له ردود على علماء اللغة ، وعلى رواة الشعر ، والشعراء جمعها
 حمزة الأصبهاني وأرسلها الى أبي اسحق الزجاج وكأنه يباهي بها علماء

(١) معجم الأدباء ٣ : ١٦ .
 (٢) معجم الأدباء ١٨ : ٢١٥ .
 (٣) معجم الأدباء ٧ : ٢٦٥ .
 (٤) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ .

العراق يدلّك على هذا ما كتبه تعريفًا بالحسن بن عبد الله إذ قال في آخر هذا التعريف (•• لم يكن له في آخر أيامه نظير بالعراق) (١) •

ونحن عندما نذكر عن رواة شرق العراق هذا المسلك فأننا لا ننفي معه قدرتهم على الاستدراك أو التخطئة ، ولا نقبل من جهدهم هذا - لاسيما وانهم لم يقصدوا علماء العراق بالذات ، ولا قدامى الرواة بالذات بل كانت بعض هذه الاستدراكات توجه الى رجال شرق العراق أنفسهم - ولكنها ظاهرة تدل على المنافسة النافعة المفيدة - لا الخصومة المتعصبة •

المعاجم في شرق العراق

والظاهرة الهامة الثانية هي صدور معظم المعاجم اللغوية في شرق العراق - حتى كتاب العين نفسه ، وهو أول معجم لغوى كما نعلم والذي ينسب الى الخليل بن أحمد البصرى لا يخلو من حكاية تربطه بخراسان ، فتارة ينسب الى الليث بن نصر بن سيار أنه شارك في هذا الكتاب كما يحكى ابن النديم (٢) ويحكى ياقوت قصة ينتهى فيها الى ان الليث أملى نصف الكتاب من حفظه وجمع على الباقي أدباء زمانه وقال لهم : مثلوا عليه واجتهدوا (٣) والذين وجدوا خلافا في كتاب العين نزهاوا الخليل عن هذا الحلل وأرجعوه الى الليث لأنه سأل عن لغته أعراب خراسان وقد خالطوا الأعاجم (٤) كما ان هذا الكتاب لم يظهر في البصرة أول ما ظهر ، ولكن قدم به وراق من خراسان وكان في خزائن آل طاهر (٥) •

والمعجم الثانى الذى ظهر فى أثره هو كتاب الجماهرة لابن دريد ومع أن ابن دريد بصرى النشأة والتلقى فان هذا الأثر الكبير يؤلف ويظهر

(١) معجم الأدباء ٨ : ١٤١ •

(٢) الفهرست ٦٤ ط الرحمانية و ١ : ٤٣ ط أوربا •

(٣) معجم الأدباء ١٧ : ٤٦ •

(٤) انباء الرواة ٣ : ٤٢ •

(٥) الفهرست ٦٤ ط الرحمانية •

لأول مرة فى هذه البلاد الشرقية حين الفه وأهداه صاحبه لأبى العباس اسماعيل بن عبد الله الميكالى - ويتناوله صاحب بن عباد بالدراسة والتعليق ويؤلف مختصرا له يسميه جوهرة الجمهرة •

ووضع أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى معجم التهذيب فى اللغة وفى عصره وضع أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري كتاب الصحاح كما وضع أحمد بن فارس معجمه المسمى المجمل ، ونستطيع أن نلحق بهذا الاتجاه كتاب الجيم لثيم بن حمدويه وإن كنا لم نعرف عنه أكثر مما كتبه الأزهرى عنه فى مقدمة التهذيب ، وكذلك ألف الثعالبي كتاب فقه اللغة وهو فى رأينا معجم وضع على نمط خاص •

وبعد • فما تفسير هذا الوجه من النشاط اللغوى سواء فى الكتب التى تناولت خصائص العربية ، أو فى المعاجم ؟

هل هو أثر من آثار تشجيع الولاة لهؤلاء العلماء الذين كانت صلتهم تزداد وثوقا بزيادة انتاجهم ، ونتيجة للطمأنينة والتفرغ والراحة التى نعم بها العلماء فى كنفهم ؟ •

أم هو تأكيد لذاتهم فى مقابلة الجهود التى صدرت فى البصرة والكوفة وبغداد ؟

أم شعورهم بحاجة مجتمعهم الى التعرف على العربية على هذا المستوى الرفيع ؟

ليس من شك فى ان تعدد الولاة ، وتعدد العواصم كان له أثر فى خلق المنافسة بين هؤلاء الولاة وقد رأوا آثار العلماء فى بغداد ، واستقر فى نفوسهم ان قصر الامارة لايفصح عن تمامه الا بوجود العلماء ، ومجالس العلم فيه - واذا كان الوالى أو الأمير أو الكاتب عالما كان اختياره للعلماء قائما على فهم دقيق ، وكان ما يقدم اليه من الكتب هو من ذلك

النوع السمين الذى يرى فيه صاحبه مقدرة على البقاء أمام الامتحان والنقد ولعل ما يمثل هذا الذى تتصوره ونذهب اليه موقف عضد الدولة من أبى على الفارسى سواء فى مراجعته له فى مسألة المستثنى بالا وقد ذكرناها أم فى رده لكتاب الايضاح وقوله له (ما زدت على ما أعرف نبيًا ، وانما يصلح هذا للصبيان) ويضطر أبو على لتأليف كتاب التكملة ، ويفرب فيه حتى يشذ عن ادراك عضد الدولة •

واكاد أتعلق بهذا السبب المتمثل فى تشجيع الولاة ، والظروف المريحة الهادئة التى مكنت العلماء ان يجودوا بأفكارهم - وقد تعددت العواصم فى شرق العراق ، وتعددت البيئات العلمية • اما أنه تأكيد للذات فى مقابلة الجهود والآثار التى صدرت فى العراق ، أو أنه شعور بحاجة مجتمعهم الخاص فى شرق العراق الى المعرفة بالعربية فشيئان ينفيهما عمومية المؤلفات التى صدرت عن هؤلاء العلماء ، والتى لم تستهدف المجتمع الشرقى بذاته وانما كانت تتجه الى المحيط العربى بأسره - فكتاب البهى الذى وضعه الفراء لعبد الله بن طاهر كان على درجة من التشابه مع كتاب الفصيح الذى وضعه ثعلب فى العراق حتى اختلط الأمر بينهما (١) فقل انه هو - فكلاهما كتاب تعليمى يستهدف النهوض بالثقافة اللغوية وان وضع أولهما للأمير الشرقى •

والجمهرة التى وضعها وأهداها ابن دريد لابن ميكال لم تعالج حالة خاصة لحظها ابن دريد فى قصر آل ميكال ، أو فى عامة البلاد الشرقية ، ولكن ابن دريد عالج بكتابه قضية عامة حين لحظ فى طلاب عصره قصورا يمنعهم من الاستفادة بكتاب العين فاراد أن يسهل عليهم طلبتهم - ذكر ذلك فى مقدمة كتابه فقال :

(١) انظر ما كتبناه عن فصيح ثعلب فى الباب الثالث من كتابنا (رواية اللغة فى العراق) •

(ولم أجر فى انشاء هذا الكتاب الى الازدراء بعلمائنا ولا الطعن فى
أسلافنا وانى يكون ذلك - وانما على مثالهم نحتذى وبسبيلهم نفتدى ،
وعلى ما أصلوا بنى وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد كتاب
العين فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما الى نهايته وكل من
بعده له تبع أقر بذلك أم نجد ، ولكنه رحمه الله ألف كتابه مشاكلا
لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره) (١) •

والطريقة التى اتبعها ليسهل الانتفاع بالجمهرة انه اختار طريقة
الأبجدية العادية خلافا لما اتبعه الخليل - لأن علم العامة بها كعلم الخاصة ،
كما اختار الجمهور من كلام العرب وأرجأ الوحشى - وبقيت الجمهرة
الى وقتنا كتابا عاما لا يشير فى أية جزئية منه الى تخصيص يراد به شخص
معين أو بيئة معينة • ولقد أملاها بعد ذلك عدة مرات من حفظه فى بغداد
لم يتغير منها فى هذه النسخ المتعددة الا ما اقتضته طبيعة الاملاء من الذاكرة •
ومعجم التهذيب فى اللغة ، وضعه الأزهري بعد أن لاحظ بعض
العوار والدخل فى كتابى العين والجمهرة (٢) لم يبد فى زواية منه أية اشارة
الى شىء تتعلق خصوصيته بشرق العراق •

و كان صحاح الجوهري بدايه لتنظيم جديد حين وجد الجوهري طلاب
اللغة لا يصلون الى بغيتهم الا بمشقة ، وان عليهم أن يلموا بالتصريف
والأبنية ، والاشتقاق فاراد ان يجنبهم هذا الجهد فوضع كتابه فى
صورة جديدة رتب الأبواب فيها بحسب الحرف الأخير فى الكلمة ودل على
فصلها بواسطة حرفها الأول ، وسلسل وسط الكلمات على الأبجدية -
وسرعان ما قامت الدراسات المختلفة حول كتاب الصحاح فى العراق ، وفى
شرق العراق ، وفى مصر ولم تتحدد فائدته ببيئة معينة •

(١) مقدمة الجمهرة ١ : ص ٣ •

(٢) التهذيب ١ : ص ٦ •

والأمر على هذه الصورة ، ووفرة التأليف في المعاجم في البلاد الشرقية لا يفسره ايغال في التخريج وجنوح الى لباس هذه البيئة لباسا متميزا عن بيئة العراق الا في هذه السعة التي كانت نتيجة لتعدد البيئات العلمية التي تأثرت بتشجيع الامراء ، ولم يكن هناك فاصل يفصلهم عن علماء العراق وتبادل المعرفة معهم ، بل كان العلم هو الوسيلة التي ينتقل بها هؤلاء العلماء من ولاية الى أخرى ، ومن قطر الى آخر في منأى من العقبات التي كانت تفرضها الظروف السياسية وكانوا جميعهم - أو أكثرهم - جوايين في مختلف الاقطار العربية فلا يدهشك ان ترى لأبى على الفارسي : الحلييات ، والدمشقيات ، والبغداديات ، والقصريات والشيرازيات وكل واحدة من هذه المؤلفات تنبئك عن الجهة التي الفت بها .

الباب
الثاني

الرواية في الشام

علاقه الشام ببلاد العرب

تقع الشام على مشارف شبه الجزيرة العربية ، الى الغرب من شمالها وتتصل باديتها بها ، وأرضها مهبط القبائل العربية النازحة من الجنوب منذ ألفين وخمسمائة سنة قبل الاسلام على أصح الأقوال ، أو منذ أربعة آلاف سنة في قول آخر . ففي تاريخ فلسطين ان العرب دخلوا قبل الاسلام بقرون ، والدليل ان نرام سين بن سرجون ملك الكلدان غزا فلسطين سنة ٣٨٠٠ ق . م وصادف في سيناء حكومة عربية ، وحارب قبيلة معان العربية وأسر أميرها . . . وفيه ان سرجون الثانى غزا عرب البادية الذين اعتدوا على بلاد السامرة ، وأخضع قبائلهم ومنها ثمود ، ومدين ومساكنهم شرقي الاردن ، وحارب عباديد وأخذ منهم طائفة واسكنها في بلاد السامرة - ولما جاء الاسكندر الى غزة وحاصرها كانت حاميتها عربا فقاومته أشد المقاومة (١) .

وقامت في جنوب الشام ممالك عربية كمملكة النبط التي كانت تمتد من فلسطين وخليج العقبة ووادي الحजर والبحر الرومى وعاصمتها مدينة

(١) خطط الشام ١ : ٥٩ - ٦٠ محمد كرد على ط دمشق سنة ١٣٤٣ = ١٩٢٥ .

سلع أو البتراء في وادي موسى ، واستمرت هذه المملكة من القرن الرابع قبل الميلاد الى أن استولى عليها الرومان سنة ١٠٦ م كما كانت مملكة تدمر عربية أيضا •

وهجرة القبائل العربية الى هذه البلاد كانت أمرا طبيعيا فرارا من قسوة العيش بالصحراء ، أو في أعقاب الكوارث المدمرة - يقول أبو الفرج لما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب قام زائدهم فقال : من كان منكم يريد الحمر والحميز ، والأمر والتأمر ، والديباج والحرير فليحرق بصرى والحفير - وهي من أرض الشام فكان الذين سكنوه غسان (١) •

ومن أوائل من هاجر الى الشام سليح ، وعاملة ، وقضاة وجاء ذلك فيما يحكيه البكري (سارت سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاة يقودها الحدرجان بن سلمة حتى نزلوا ناحية فلسطين على بنى اذينة بن السميذع من عاملة ، وانتشر سائر قبائل قضاة في البلاد يطلبون المتسع في المعاش ويؤمنون الأرياف والعمران فوجدوا بلادا واسعة خالية في أطراف الشام ••• فافترقت قضاة فرقا أربعة ينضم الى الفرقة طوائف من غيرها يتبع الرجل اصهاره وأخواله) (١) وقال بعض آل سعد بن ملكيكر ب يذكر منازل من خرج من اليمن :

وغسان حي عزهم في سيوفهم
كرام المساعي قد حووا أرض قيصر
وقد نزلت منا قضاة منزلا
بعيدا فامست في بلاد الصنوبر
وكلب لها ما بين رملة عالج
الى الحرة الرجاء من أرض تدمر

(١) انظر معجم ما استمعجم ١ : ص ٢٣ و ٢٥ و ٢٦ لابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م وانظر ١ : ٦٣ حفظ الشام •

ولما استولى الرومان على هذه البلاد فى أوائل القرن الثانى الميلادى حكمها باسمهم رجال من العرب هم الغساسنة • ، وكان يأتى الى الشام بعض شعراء العرب يمدحون ملوكها وينعمون بجوها وخيراتها وقد حفظت لنا الرواية الأدبية بعض آثارهم فيها - يقول النابغة الذبائى فى رثاء النعمان ابن الحارس الغسانى :

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم
عليه من الوسمى جود ووائل
وانبت حوذانا ، وعوفا منورا
سأتبعه من خير ما قال قائل
بكى حارث الجولان من هلك ربه
فحوران منه خاشع متضائل
وما كان بينى لو لقيتك سالماً
وبين الغنى الا ليال فلانل (١)

وزارها الأعشى فمدح آل جفنة فى قصيدة طويلة ، ومدح من سادات تيماء شريح اليهودى • وللأعشى فى هذه البلاد قصة مع حسان بن ثابت يرويها أبو الفرج وموجزها انهما دخلا بيت خمار بالشام فاشترى خمرًا وشربا حتى نام حسان ، وظن الأعشى أنه فعل ذلك حتى لا يتحمل ثمن الشراب ، وتنبه فسمع الأعشى يقول : كره الشيخ الغرم - فتركه حسان حتى نام ، ثم اشترى خمر الخمار كلها ثم سكبها تحت الأعشى فعلم أنه سمع كلامه فاعتذر اليه فأنشد حسان :

ولسنا بشرب فوقهم ظل برودة
يعدون للخمار تيسا ومقصدا
ولكننا شرب كرام اذا انتشوا
أهانوا الصريح والسديف المسرهدا (٢)

(١) الاغانى ٨ : ٢١٤ ط دار الكتب •

(٢) الاغانى ٤ : ١٦٧ - ١٦٨ ط دار الكتب •

وكان بنو غسان يصطفون حكماء العرب ويرسلون في طلبهم يتزودون من ثقافتهم ويلتمسون عندهم الرأي ويحرصون على استبقائهم في الشام — أعجب أحدهم بعامر الطرب ، واغراه بوظيفة كبيرة وقال له : قد رأيت ان اجعلك الناظر في امر قومي فاني قد رضيت عقلك ، وأتفرغ للذي ومركبي فما رأيك ؟ فقال عامر ، وكان قد توجس خيفه من الغساني وأراد ان يحتال لنفسه : ايها الملك ، ما احسب ان رغبتك في بلغتك أن تجعل لي ملكك فقد قبلت اذ وليتني أمور رعيتك وقومك ، وان لي كنز علم وان الذي أعجبك من علمي انما هو من ذلك الكنز احتذى عليه وقد خلقته خلفي ... فأذن لي حتى أرجع الى بلادى قاتيك به ... فأذن له وتمجل رجسته طمعا في هذا الكنز الذي كان يبدو انه كان كسابا أو كسابا (١) .

وكذلك كتب الحارس بن أبي شمر الغساني الى اكثم يسترشد بحكمته فكتب اليه اكثم ... (٢) فاذا تركنا قصور الغساسنة بما فيها من أمائل الشعراء وحكماء العرب الفينا بطونا من العرب تمد سكتناها الى هذه البلاد ، ونسوق اليك بعض أخبارها .

تعريف بعض القبائل التي نزلت الموصل والشام وباديتها

ذكر الهمداني بعض هذه القبائل فقال : اما مساكن لخم فهي متفرقة وأكثرها بين الرملة ومصر في الجفار ، ومنها في الجولان ، ومنها في حوران والبتنية ، ومدينة نوى ... واما جذام فهي بين مدين الى تبوك فالى اذبح ، ومنها فخذ مما يلي طبرية من أرض الأردن ... واما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبرية الى نحو البحر واما ذبيان فهي من حد البياض بياض قرقرة .. بين تيماء وحوران لا يخالطهم الا طيء ...

(١) المعمون ٤٩ لابي حاتم السجستاني ط السعادة سنة ١٩٠٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨ .

واما كلب فمساكنهم السماوة وهى البادية بين الكوفة والشام ولا يخالط
بطونها فى السماوة أحد - ومن كلب بأرض الغوطة عامر بن الحصين
ابن عليم وابن رباب المعلى ، ومن بنى الحارث بن كعب بيت يسكنون بالفلجة
من أرض دمشق ***

ثم للخم ومن يخالطها من كنانة ما حول الرملة الى نابلس ، ولهم
ايضا ما جاز تبوك الى زغر ، ثم البحيرة الميتة ، وللخم ايضا الجولان
وما يليها من البلاد نوى ، والبثنية ، وشقص من أرض حوران ويخالطهم
فى هذه المواضع جهينة وذبيان *** فاذا جرت جبل عاملة تريد دمشق
وحمص وما يليها فهى ديار غسان من آل جفنة وغيرهم فان تياسرت من
حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعت فى أرض بهراء ثم من
أيسرهم مما يصل البحر تنوخ *** وما وقع فى ديار كلب من القرى
تدمر ، وسلمية ، والعاصمية ، وحمص وهى حميرية (١) •

وكانت تيماء مسكن اليهود من العرب منهم السموعل بن عادياء ،
ظلوا بها حتى بلغهم قدوم النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع وادى القرى
فأرسلوا اليه وصالحوه على الجزية وأقاموا بها - فلما أجلى عمر رضى الله عنه
اليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم (٢) •

وسكن دمشق قوم من حمير أو همدان ، جاء ذلك فى تعريف بلدة
الأوزاع ، قال ياقوت : قرية على باب دمشق من جهة باب الفراديس وهو
فى الأصل اسم قبيلة من اليمن سميت القرية باسمهم لسكنائهم بها فيما
أحسب ، وقيل الأوزاع بطن من ذى كلاع من حمير وقيل من همدان (٣)
ومنها فقيه الشام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعى •

(١) خطط الشام ٦٤ - ٦٥ •

(٢) معجم البلدان ٢ : ٤٤٢ (تيماء) •

(٣) معجم البلدان ١ : ٣٧٤ ط السعادة سنة ١٩٠٦ •

وحول قنسرين يقول البلاذري (وكان حاضر قنسرين لتتوخ منذ أول ما تنخوا بالشام ، نزلوهم في خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل ... وفي قنسرين كان حاضر طيء قديما نزلوهم بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزلو الجبلين (أجا وسلمى) وتفرق بأقوهم في البلاد) (١) .

وكان بقرب مدينة حلب حاضر تدعى حاضر حلب يجمع أصنافا من العرب من تتوخ وغيرهم ، وظل أعقابهم به الى جعيد وفاة الرشيد (٢) .

وأهل حماة قوم من يمن والأغلب عليهم بهراء وتتوخ (٣) وأهل حمص جميعا يمن من طيء ، وكندة ، وحمير ، وكتب ، وهمدان وغيرهم .

وأهل اللاذقية قوم من يمن من سليح ، وزيد ، وهمدان ويحصب وأهل مدينة جبلة همدان وبها قوم من قيس ومن اياد ، ومدينة بانياس وأهلها أخلاط .

وأهل الغوطة غسان وبطون من قيس وبها جماعة من فريش ، ومدينة اذرح أهلها موالى بنى هاشم ... وأهل الجولان قوم من قيس أكثرهم بنو مرة وبها نفر من أهل اليمن (٤) .

وفي الموصل أقام ناس من تميم وغلب لسانهم بها وكان يختلف عن لغة غيرهم وأخص هذا الاختلاف انهم يكسرون أول الفعل المضارع فيقولون نكتب ونقرأ (بكسر النون) ويهملون اعلال اسم المفعول فيقولون

(١) فتوح البلدان ١٥٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) يقول الأستاذ شكيب ارسلان كلمة تنخ بمعنى اقام جعلت الناس يخلطون بين

تتوخ وتتوخ - وأشار الى تتوخ القبيلة التي تحلقت على المقام بالشام فقبل بها نزار ،

وأسد وغطفان وقيل الضجاعة ودوس . مجلة المجمع العلمي سنة ١٩٣١ ص ٢٥٩ .

(٤) خطط الشام ٦٥ بتصرف .

مسيوع ومعيوب بدلا من مبيع ومعيب ويزيدون الشين بعد الكاف المكسورة
فيقولون لكش ، وعليكش في لك وعليك (١) .

وكان بنو عقل ، وبنو كلاب ، وبنو نمير ، وبنو خفاجة وكلهم من
عامر بن صعصعة قد انتشروا ما بين الجزيرة والشام في عدوة (٢) وسكن
بنو تغلب جنوبى الموصل ثم انتقلوا اليها ومحلتهم اليوم تعرف بمحلة
التغلبة ولما أقبل خالد بن الوليد وافتتح الموصل سنة ٢٠ هـ سكن فيها
من القبائل التي كانت تصحبه الحزرج وبنوا فيها أول مسجد لا يزال يعرف
الى الآن باسمهم .

ورحل الى الشام حين الفتح عديد من أفراد العرب وقبائلها ، وحين
رأى أبو بكر توجيه الجيوش للشام كتب الى أهل مكة والطائف واليمن
وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم
الروم فسارع الناس اليه بين محتسب وطامع (٣) وكان المسلمون كلما
فتحوا مدينة ظاهرة رتبوا فيها قدر من يحتاج لها من المسلمين فان حدث في
شيء منها حدث من قبل العدو سربوا اليها الامداد (٤) .

ووصلت قبائل العرب الى انطاكية ، ذلك أنها كانت عاصمة الذكر
والأمر عند عمر وعثمان فلما فتحت كتب عمر الى أبي عبيدة ان رتب بانطاكية
اجماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة . . . وكتب
اليه عثمان ان يلزمها قوما وان يقطع لهم القطائع . . . واقطع مسلمة
ابن عبد الملك قوما من ربيعة (٥) .

(١) تاريخ الموصل ١ : ٥١ للقس سليمان صاين ط السلفية سنة ١٣٤٢ هـ -

١٩١٣ م .

(٢) المصدر السابق ١ : ١٣١ .

(٣) فتوح البلدان ١١٤ .

(٤) فتوح البلدان ١٣٤ .

(٥) المصدر السابق ١٥٤ - ١٥٥ .

تأثر العربية بالرومية :

من الطبيعي ان يكون لهذا الاختلاط أثره اللغوى والذى يبدو انه وجد من زمن بعيد ، فقد جاء فى القرآن الكريم وفى الآثار الأدبية كلمات قيل عنها انها رومية تعربت لكلمة الفردوس التى يقول الزجاج فيها : انها كانت رومية تعربت (١) وقال ابن الكلبي بسنده : الفردوس : البستان بلغة الروم ، وقال السدي : الفردوس أصله بالنبطية فرداسا - اما الفراء فيقول انه عربى وأن العرب تسمى البستان الذى فيه الكرم فردوسا ، ويبدو ان الفراء رآه أعربيا لأنه ورد فى القرآن الكريم ، اما قبل هذا فلم يكن هذا اللفظ موجودا فيما تداولته العرب من شعر الشعراء كما يفهم من قول الزجاج (لم نجده فى أشعار العرب الا فى شعر حسان) (١) وأشد له :

وان ثواب الله كل موحد

جنان من الفردوس فيها مغلد

ومع أن هذا البيت ورد فى قصيدة له يمدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم (٢) ولا يبعد ان يكون حسان اقتبسها من القرآن الكريم الا اننا لا نستبعد أيضا أن تكون هذه اللفظة مما علق بذهن حسان حينما كان بالشام .

والقسطاس فى رأى ابن دريد رومى معرب ، وعقد الثعالبي فصلا لما ينسبه بعض الأئمة الى اللغة الرومية ذكر فيه بالاضافة الى كلمة الفردوس وكلمة القسطاس : السججبل بمعنى المرأة ، والبطاقة والقرسطون ، والاسطرلاب ، والقسطل ، والقنطار ، والقراميد بمعنى الأجر ، والترياق ، والقيطون للبيت الشتوى ، والنقرس والقولنج للمرضيين المعروفين بهذين الاسمين الى غير ذلك (٣) .

(١) المعرب للجوالقي ١٠٩ .

(٢) ديوان حسان ٦٦ ط اوربا .

(٣) فقه اللغة للثعالبي ٤٥٥ .

وبين الجواليقي طريقة انتقال كلمة البطريق الى العربية بمعنى قائد
فقال : ولما سمعت العرب بأن البطارقة أهل رئاسة صاروا يصفون الرئيس
بالبطريق وإنما يربدون به المدح وعظم الشأن وأنشد : لأبى ذؤيب :

وهم رجعوا بالحنو حنو قراقير
هوازن يحدوها كمة بطارق (١)

وذكر الأصمعي ان الجريال رومى معرب وهو صبغ أحمر استعمله
الأعشى فى قوله :

وسبيئة مما تعشق بابل
كلم الذريح سلبتها جريالها (٢)

وعرض الأب انستاس مارى الكرملى لبعض الألفاظ العربية وحاول
أن يردها الى أصول يونانية * أو رومانية من هذه الألفاظ :

الغطريف : نقل الزبيدى عن الصحاح ان الغطريف (بالكسر)
السيد ، وزاد الليث : الشريف وأنشد :

انت اذا ما حصل التضييف
قيسا - وقيس فعلها معروف
بطريقها والملك الغطريف (٣)

وقال ابن السكيت : الغطريف : هو السخى السرى ، وفيل : هو
الفتى الجميل ، والجمع الغطارفة ، والغطاريف ، واليك تخريج
الكرملى لها * يرد الكرملى هذه اللفظة الى الكلمة اليونانية Eutrapezos
ومعناها المقراء المضياف ويقول : وان شئت كل التدقيق فى المعنى فهو
الرجل الحسن المائدة أو الذى يتردد الى مائدته كثيرون - أو الذى يعامل
الناس معاملة حسنة - أو السيد الشريف ، ويستدل على نقل الهمزة فى

(١) العرب للجواليقى ٣٤ - والحنو : كل شئ فيه اعوجاج .

(٢) العرب ٤٥ .

(٣) تاج العروس ٦ : ٣١٣ .

اليونانية الى غين معجمة فى العربية بما جاء عن العرب من قولهم (غما والله)
بمعنى اما والله • وغابت الشمس فى آبت الشمس (١) •

والحرية :

للآلة الجارحة من اليونانية Harpe معنى ومبنى وتنجى الحرية عندهم
بمعنى المنجل والسبف المنحنى (٢) •

وكلمة عامر :

وعامر من الأرواح عند العرب هو تعريب اللاتينية (٣) • Amor

والخرثاء :

بكسر الخاء نمل فيه حمرة ، الواحدة خرثاء وهى من اليونانية
Chrusitis Idos أى النماء الذهبية اللون ويرد الكرملى الى هذا
الأصل اليونانى لكلمة خرطيط وهى فراشة منقوشة الجناحين ، وعرض
الكرملى للألقاب الرومانية عند قدماء العرب فذكر من ذلك : الانبراطور
(بالنون) والقيصر ، والمركيز ، والفارس الى غير ذلك فى بحث طويل
نكتفى بالإشارة اليه •

وهو يرى أن الأمثلة التى جاءت فى أبحاث القدامى لاتعنى الاشياء
يسيرا لأنهم كانوا يجهلون لغات الأجانب ، والذين كانوا يعرفون منها
شيئا كانوا يعرفونه معرفة رجل عجل فى أمره •

هذه نبذة عن علاقة الشام ببلاد العرب وبقبايل العرب فى عصرها
القديم وأثر ذلك فى العربية - وفى الصفحات القادمة تتكلم عن الرواية
فى عهد الأمويين •

(١) مجلة المجمع العلمى العربى • المجلد الاول سنة ١٩٣١ م ص ١٤٥ •

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى المجلد الثانى سنة ١٩٣٢ م ص ١٨١ •

(٣) مجلة المجمع العلمى العربى العدد الرابع ص ١٣٨ ، والعدد السابع سنة ١٩٣١ م

الرواية في عهد الأمويين

دخل الشام كله في النطاق العربي بعد الفتح ، وما لبث ان انتقلت اليه عاصمة الدولة الاسلامية ، ونزحت اليه القبائل واستقرت به غريبة عن شبه الجزيرة فكان لهذه الغربة رد فعل قوى فى نفوسهم يتمثل فى تعصب الأمويين للعرب وللعربية التى يريدون استبقاءها حية قوية خالصة العروبة ، فكانوا يتواصون برواية الشعر ، ويحض عليه معاوية فيقول : اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم فلقد رأيتنى ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملنى على الإقامة الا أبيات عمر بن الاطنابة :

ابت لى همتى وأبى بالائى
واخذى الحمد بالثمن الربيع
واقحامى على المكروه نفسى
وضربى هامة البطل الشيخ
وقولى كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات
واحمى بعد عن عرض صحيح (١)

(١) الاغانى ٢ : ١٢٢ ط دار الكتب ، العمدة ١ : ١٠ لابن رشيق ط هندية ١٩٢٥ .

وفى سبيل هذا الترغيب فى رواية الشعر كان معاوية يشيب الرواة على عنايتهم به - ويروى أبو الفرج خبراً فى مثل هذا فيقول :
(جرى بين عبد الله بن الزبير وعتبة بن أبي سفيان لحاء بين يدي معاوية فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة ويعرض بمعاوية حتى أطال وأكثر فالتفت اليه معاوية متمثلاً وقال :

ورام بعبوران الكلام كأنها
نوافر صبح نفرتها المراتع
وقد يدحض المرء الموارب بالخنا
وقد تدرك المرء الكريم المصانع

ثم قال لابن الزبير : من يقول هذا ؟ فقال : ذو الأصبع ، فقال :
أترويه ؟ قال : لا فقال : من هاهنا يروى هذه الأبيات ؟ فقام رجل من
قيس فقال : أنا أرويه يا أمير المؤمنين ، فقال أشدنى : فأشده حتى أتى
على قوله :

وساع برجليه لآخر قاعد
ومعظ كريم ذو يسار ومانع
وبان لا حساب الكرام وهادم
وخافض مولاة سفاهة ورافع
ومغض على بعض الخطوب وقد بدت
له عورة من ذى القرابة ضاجع
وطالب حوب باللسان وقلبه
سوى الحق لا تخفى عليه الشرائع

فقال له معاوية كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة • قال اجعلوها ألفاً (١) •

وبعث زياد بولده الى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالماً
بكل ما سأله عنه ، ثم استنشد الشعر فقال : لم ارو منه شيئاً فكتب معاوية
الى زياد : ما منعك ان ترويه الشعر ؟ فوالله ان كان العاق ليرويه فيبر ،

(١) الاغانى ٣ : ١٠٠ - ١٠١ ط دار الكتب •

وان كان البخيل ليرويه فيسخو ، وان كان الجبان ليرويه فيقاتل (١) •

وكان بنو أمية لفرط عنايتهم بالشعر وروايته ربما اختلفوا وهم بالشام فى بيت من الشعر ، أو خبر ، أو يوم من أيام العرب فيردون فيه بريدا الى العراق (٢) أو يرسلون راكبا فينيخ بباب قتادة بن دعامة السدوسي فيسأله عنه ثم يشخص (٣) كما كانوا يستقدمون حمادا الراوية فى سبيل هذه الغاية • وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده : روه الشعر يمجدوا وينجدوا (٤) •

واذا رأينا من دواعى الرواية اللغوية فى العراق الرغبة فى فهم القرآن والحديث وغريبهما ، ودفع الى ذلك ايضا تيقظ شعور الموالى نلمح فى سلوك الأمويين وجها آخر هو الرغبة فى روايتها حفاضا عليها ومحاولتهم اللحاق بالعرب عن طريق فهم العربية والعلوم الاسلامية فاننا ونعصبا لها وافتتانا بها ، فهم يرونها أقوى الأسباب لربطهم بماضيهم ، فكانوا يستقدمون المؤدبين لأولادهم ثم لا يجدون فى هذا غناء عن البداية وأشدّها دلالة على عروبتهم وأبينها اشارة على خلوص هذه العروبة - فكانوا يرسلون أولادهم اليها ليفصحوا ولينشئوا على سليقة من هذه اللغة وقد ندم عبد الملك أن استثنى الوليد من هذه العادة فقال : اضر بنا حبا للوليد فلم نوجهه الى البداية (٥) ولقد ظل الوليد واخوه محمد سبة فى جبين الأمويين بالشام ويغفرون لهما اللحن امتنانا لشأنهما اذ عرفا بذلك ولقد صلى الوليد يوما الغداة فقرأ السورة التى ذكر فيها الحاقة فقرأ (يا ليتها

(١) العقد الفريد ٥ : ٢٧٤ •

(٢) التصحيف والتحريف للعسكري ص ٤ •

(٣) طبقات فحول الشعراء للجمعي ٥٠ •

(٤) العقد الفريد ٥ : ٢٧٤ •

(٥) البيان والتبيين ٢ : ٢١٠ ط السندوبى •

كانت القاضية (بالصاد فقال ساخرا :) أما انه ان كان قالها انه لأحد
الأخوين (١) •

ونستطيع أن نعد من خلفاء الأمويين ثلاثة عرفوا بالغيرة الشديدة على
العربية وروايتها معاوية ، وعبد الملك (٢) وعمر بن عبد العزيز •
ثم تخبوا الرواية بالشام حين جاءت الدولة العباسية واتخذت عاصمتها
فى العراق - ويبدو أن نشاط الرواية فى الشام كان مرتبطا بالأمويين
انفسهم فذهب بذهابهم ، ولم يعد النشاط اللغوى الى الشام مرة أخرى الا
فى ظل الحمدانيين بعد قرن ونصف - ذلك أن شيوخ العربية كانوا قد
أخذوا اماكنهم بالعراق على مقربة من الاعراب الذين كانوا يأتون المريد
بظاهر البصرة - ومع أن الشام كانت قرية من البادية الا أن القبائل التى
كانت تعيش فى هذه الجهة لم تكن على درجة من الفصاحة ونقاء اللغة
بحيث يمكن الاطمئنان الى التلقى والأخذ عنهم •

ومن جهة أخرى - كان من اسباب الرواية اللغوية تيقظ الشعور
القومى عند الموالى واحساسهم بذاتهم ومحاولتهم اللحاق بالعرب كرد فعل
لسياسة الأمويين ، وكان أغلب هؤلاء الموالى من الفرس ويعيشون فى
العراق - ولم يشترك الموالى الذين كانوا من اصل ارامى أو سريانى أو
رومى بالشام فى هذا اللون من العلم لبعد مأخذه باستثناء رجل كابن جنى
الذى وافته المناسبة فى الموصل وحلب بلقائه علماء العربية فيهما والذين
وفدوا اليهما ضيقا من بغداد أو طمعا فى آل حمدان •

(١) المصدر السابق •

(٢) كان اذا طرب لشعر كثير اخرجه الى مؤدب ولده ليرويه اياه ثم يسترده •
الاغاني ٩ : ٢٣ وكان يغضب لسماع اللحن ويراه اقبح من آثار الجدرى فى الوجه •
وكان احد اربعة يصفهم الاصمعي بانهم لم يلحنوا فى جد ولا هزل • امالى الزجاجى ١٤ •

جوانب من النشاط اللغوي في ظل الحمدانيين

هنا ندخل في مرحلة جديدة من مراحل الرواية - جاءت متأخرة - تختلف عن هذه التي رأيناها عند الأمويين والتي كانت تستهدف التعرف على اللغة ، وإن شئت قلت الإبقاء عليها ، والمران على الأداء الصحيح بعيدا عن الشوب واللحن من خلال الرواية الأدبية •

لما غلبت الدولة العباسية ، وأقامت عاصمتها بالعراق ، نشطت الدراسة اللغوية هناك وشارك في روايتها من الفارسيين والموالي عدد يربو على من شارك فيها من العرب أو يزيد مدفوعين بهذه اليقظة القومية والتي كانت بمثابة رد فعل لتعصب الأمويين •

بدأ النشاط اللغوي في البصرة ، ثم في الكوفة ، ثم تركز في بغداد - كما نشط في البلاد الشرقية على النحو الذي أوضحناه في الباب السابق ••• ولم نلاحظ في الشام نشاطا كثيرا الى أن تولى أمرها أسرة عربية سارت سيرة خلفاء العراق وأحاطت قصورها بالعلماء والشعراء هي دولة الحمدانيين فمن هم الحمدانيون ؟

ينتسب الحمدانيون الى قبيلة تغلب ، وبنو تغلب من وائل من أعظم

بطون ربيعة بن نزار ، كانوا من نصارى العرب فى الجاهلية ، ولهم محل فى الكثرة والعدد ، وكانت مواطنهم فى الجزيرة وديار ربيعة ، ثم ارتحلوا مع هرقل الى بلاد الروم ، ثم رجعوا الى بلادهم وفرض عليهم عمر بن الخطاب الجزية فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لا تذلنا بين العرب باسم الجزية واجعلها صدقة مضاعفة ففعل ، وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس ابن هريز من بنى مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .
ثم كان منهم بعد ذلك فى الاسلام ثلاثة بيوت : آل عمر بن الخطاب العدوى ، وآل هارون المغمراء ، وآل حمدان بن حمدون بن الحارث ابن لقمان بن أسد (١) .

ويرجع ظهور الحمدانيين وبروز شأنهم الى أيام المعتضد حين أراد الاستعانة بنفر منهم لشدوا أزره فى كسر شوكة فئة من القرامطة برياسة رجل يدعى هارون الشامى ، وانتدب لهذه المهمة الحسين بن حمدان الذى اشترط على الخليفة ان يطلق سراح أبيه - وكان قد اعتقله - ان هو ظهر على القرمطى ، وتم للحسين الحمدانى ما أراد ، فلما خلف المعتضد ابنه المكتفى عام ٢٨٩ هـ رأى فى بنى حمدان ، وفى عروبتهم بخاصة ما جعله يثق بهم فولى أبا الهيثماء على الموصل وأعمالها (٢) .

فلما كانت خلافة الراضى سنة ٣٢٢ هـ - وكان ضعيفا - استقل ناصر الدولة الحمدانى بالموصل وتوطد له هذا الأمر فى عهد المتقى وتزوج ابن المتقى بابنة ناصر الدولة الحمدانى - فلما نجسم فى هذه الأسرة سيف الدولة ورأى ان دولة الحمدانيين بالموصل قد دالت باحتلال بنى بويه لها انتزع مدينة حلب وما حولها وكانت تحت حكم الاخشيذ وانتهى الصراع بينهما الى اتفاق يتم لسيف الدولة بموجبه ان يحتفظ بشمال سوريا

(١) تاريخ ابن خلدون ٤ : ٢٢٧ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٣ : ٣٤٨ و ٣٥٦ .

ويترك جنوبها بما فيها دمشق للمصريين ، ولم يكد يلى أمر هذه الدولة حتى وجه جزءا من جيشه لمحاربة الروم وانتصر عليهم فى مرات عديدة فوفد الى بابه الشعراء والعلماء رغبة فى التماس الهدوء وفرارا من التقلبات التى سادت بغداد - أو طمعا فى عطاء سيف الدولة الذى اشتهر أمره بالكرم الى حد السفه وأمر بضرب دنانير للمصلات فى كل دينار عشرة مثاقيل وعلبه اسمه وصورته (١) •

ووصف الثعالبي أسرة بنى حمدان بقوله : كان بنو حمدان ملوكا وأمراء أوجههم للصباحه ، وألسنتهم للفصاحه ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحه ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلاذتهم • وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود ، وقبل الآمل ، ومحط الرجال وموسم الادباء ، وحلبة الشعراء (٢) •

وامتاز بنو حمدان بحسن فهمهم للآداب العربية وما منهم الا أديب جواد يحب الشعر ويثيب عليه فاجتمع من الشعراء على بابهم ما لم يجتمع على باب أحد من الملوك بعد الخلفاء كان خطيب سيف الدولة ابن نباتة الفارقي ، ومعلمه ابن خالويه ، ومطربه الفارابي ، وطباخه كشاجم ، وخزان كتبه الخالديان والصنوبري ، ومداحه المتنبى ، والسلامي والوأواء الدهشقي ، والرفاء ، والنامي ، وابن نباتة السعدي •

وقد يدهشك أن ترى بيئة علمية كهذه يتردد عليها أبو على الفارسي وأحمد بن فارس ، ويستقر بها الزجاجي ، وأبو الطيب اللغوي ، وابن خالويه وينشأ بها ابن جنى ويصدر عنها علم غزير - كيف تكونت هذه البيئة العلمية الضخمة ، وكيف تطورت ؟

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ١ : ١٥ ط مصر •

(٢) يتيمة الدهر ١ : ١١ •

الحقيقة ان هذه النشأة كانت طفرة ساعدت في وجودها ظهور الحمدانيين ذلك اننا لم نجد من أوائل الرواد في هذا الاقليم الا ما يحكيه السيوطي من أن مسلمة بن عبد الملك بن سعد بن محارب الفهرى أخذ النحو عن خاله عبد الله بن أبي اسحق ، وكان مسلمة مؤدبا جعفر بن أبي جعفر المنصور ومضى معه الى الموصل وأقام بها حتى مات فصار علم أهل الموصل من قبله (١) ولكننا لم نجد فيما قرأناه أتباعا أو تلامذة لمسلمة هذا •

والطفرة التي ظهرت في القرن الرابع في الدراسات اللغوية تكاد تخلو من المقدمات في الشام ، والخبر التالي يشير الى أحد الرؤساء الموسرين في الموصل يبذل جهدا كبيرا لحياء النشاط العلمي بها ، وبالرغم من أن هذا الرجل لم يبلغ من الشهرة اللغوية مبلغ الاعلام فقد وصف بأنه لم يكن في وقته من ينظر اليه ويفضل في العلوم سواء - تحدث أبو علي بن الزمزم عن جعفر بن محمد الموصلى المتوفى سنة ٣٢٣ هـ - فقال : كان ابن حمدان كبير المحل من أهل الرياسات بالموصل ولم يكن بها في وقته من ينظر اليه ويفضل في العلوم سواء ، متقدما في الفقه معروفا به قويا في النحو فيما يكتبه ، عارفا بالكلام والجدل مبرزاً فيه حافظا لكتب اللغة ... وكانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفا على كل طالب للعلم لا يمنع أحد من دخولها اذا جاءها غريب يطلب الأدب ، وان كان معسرا أعطاه ورقا وورقا (فضة) تفتح في كل يوم ويجلس فيها اذا عاد من ركوبه ويجتمع اليه الناس فيملئ عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته (٢) •

هذه جوانب جانبية من النشاط العلمي في هذه البيئة - أما الجوانب الكبرى التي طفرت اليها الرواية في الشام وظهرت فيها آثار الرواة فنعتقد لها الفصل القادم •

(١) بغية الوعاة ٣٩١ •

(٢) معجم الأدباء ٧ : ١٩٢ - ١٩٣ •

وجوه النشاط اللغوي في الشام

الزجاجي :

من أوائل العلماء الذين تلتقى بهم في الشام أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحق الزجاجي ٣٣٧ هـ وهو نهاوندي من أهل الصيمرة (١) انتقل الى بغداد فلزم أبا اسحق ابراهيم بن السري الزجاج فنسب اليه كما جلس الى نفطويه ، وابن دريد ، وأبي بكر بن الانباري ، والأخفش الصغير على بن سليمان (٢) ثم انتقل الى الشام فأقام مدة في حلب ومدة في دمشق . وضع كتابا في النحو اسمه (الجمل) وصفه صاحب كشف الظنون بقوله (هو كتاب نافع مفيد لولا طوله بكثرة الأمثلة) وقد عرض لهذا الكتاب البطليوسي وصنف في نقده كتابا سماه (الحلل في اصلاح الحلل الواقع في كتاب الجمل) ، كما شرحه ابن بابشاذ ونكت نكتا في الرد عليه . وظل هذا الكتاب مطلب الناس في الشام ، ومصر ، والمغرب ، والحجاز واليمن لسهولة - ووضع كتابا شرح فيه (مقدمة أدب الكاتب) استدرك عليه جماعة من العلماء . ويعتبر الزجاجي في طبقة أبي على

(١) بلدة بين بلاد الجبل وخوزستان .

(٢) انباء الرواة ٢ : ١٦٠ .

الفارسي فلما وردت للزجاجي مسائل نحوية الى المراق تلقاها أبو على
وعلق عليها بقوله (لو رأنا الزجاجي لاستحيا منا) لأن أبا على وضع
كتاب الايضاح الذي كان يقرن بكتاب الجمل (١) .

وللزجاجي كتاب الامالي يقول فيه السيوطي (وآخر من علمته أملى
على طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجي . . . ولم أقف على امالي لأحد
بعده) (٢) والحقيقة انه ظهر في القرن الرابع كتابان كبيران في الأمالي
أحدهما هذا الكتاب ، والثاني وهو أكبر منه وأغزر مادة كتاب الأمالي
لأبي على القالي والذي سنعرف به في حديثنا عن الأندلس .

كتب الأمالي :

وجدت طريقة الأمالي من عصر مبكر فكان يملئ أبو حاتم ، والفراء
وابن دريد . وجمع الامالي في كتب ظهر من عهد ثعلب فكان يطلق على
كتاب مجالس ثعلب امالي ثعلب أيضا . وكتب الامالي تحوى اشتاتا من
العلوم تأتي أحيانا فيض الخاطر ، وتستخرجها المناسبة ، ويمدها
الاستطراد ويبدو ان بعضها جمع من المجالس بواسطة الطلاب ، وكان
لمجالس الاملاء المتخصصة منها والعامه من التقاليد والعادات ما يكشف عن
هذا الجو الذي يتفق مع أهميتها وجلالها - كان الشيخ يتوقف عن الاملاء
اذا كان بحضرته من هو أعلم منه - يقول ثعلب : حضرت مجلس
أبي حبيب فلم يمل فقلت : ويحك امل ، مالك ؟ فلم يفعل حتى قمت
وكان حافضا صدوقا في الحق ، وكان الفراء اذا املى كتابه في النوادر
ودخل اللحياني أمسك عن الاملاء حتى يخرج فاذا خرج قال : هذا أحفظ
الناس في النوادر (٣) ويقول السيوطي تفسيرا لذلك (في هذا توقير

(١) انباء الرواة ، ٢ : ١٦١ ، وفيات الاعيان ٢ : ٣١٧ ، بغية الرعاة ٢٩٧ .

(٢) المزهر ٢ : ٣١٤ .

(٣) طبقات الزبيدي ٢١٣ .

العالم من هو أجل منه فلا يملئ بحضرته (١) •
ومن الشيوخ من كان يحرص على كلام أخذه عن شيخه ولم يعرف
له معنى أو وجهاً من التفسير فكان يلقيه كما هو منسوباً إلى أستاذه ،
قال ابن دريد : (أملئ علينا أبو حاتم قال : قال أبو زيد : ما بنى عليه الكلام
ثلاثة أحرف فما زاد ردوه إلى ثلاثة - وهكذا أملئ علينا أبو حاتم عن
أبي زيد - ولا غيره) (٢) •

وأحياناً كان يستبقى الشيخ أسئلة طلابه إذا غم عليه أمرها ويرجع
بها إلى من يتوسم فيه المعرفة من شيوخه ولا يجد غصاصة من التصريح
بذلك في أماليه ، حكى الزجاجي بعض هذا فقال : (أخبرنا نبطويه فقال :
قال ثعلب سألتني بعض أصحابنا عن قول الشاعر :

**جاءت به مرمد ما ملا
ماني ال خم حين الا**

فلم أدر ما يقول فصرت إلى ابن الأعرابي فسألته عنه ففسره لي
فقال : هذا يصف قرصاً خبزته امرأة فلم تنضجه فقال : جاءت به مرمد
أي ملوئاً بالرماد - ما مل أي لم يمل في الملة وهو الجمر والرماد الحار
ثم قال : ماني ال ، وما زائدة كأنه قال : نبي ال ، والال وجهه ، يعني
وجه القرص ، وقوله : خم أي تغير • حين الا أي حين إبطاً في النضج ،
يقال إلى الرجل إذا توانى وإبطاً في العمل وأنشد :

فما إلى بنى ولا أساءوا (٣)

وإذا نسي الشيخ بعض الذي كان قد رواه ، وتداركه عليه أحد
طلابيه فتذكره وعرف أنه من روايته هو أعاد روايته ثانية ولكن عن من

(١) المزهر ٢ : ٣١٤ •

(٢) الجوهرة في اللغة لابن دريد ٣ : ٣٨٤ ، المزهر

(٣) أمالي الزجاجي ٩٥ ط السعادة سنة ١٣٢٤ هـ •

ذكره به فيقول : حدثني فلان أى تلميذه عنى ، وحدثنى فلان ويذكر شيخه فى الأصل ، وكان علماء اللغة فى هذا تبعاً لعلماء الحديث الذين أجازوا رواية الأكابر عن الأصاغر ، حكى الدارقطنى عن أبى بكر بن الانبارى انه حضره فى املاء فصحف اسما فى اسناد قال الدارقطنى : فاعظمت ان يحمل عن مثله فى فضله وجلالته وهم ، ورأيت أن أوقفه عليه فلما فرغ تقدمت اليه وذكرت نه ذلك وانصرفت ، ثم حضرت المجلس الآتى فقال للمستملى : عرف الجماعة انا صحفنا الاسم الفلانى لما املينا كذا فى المجلس الماضى ونبهنا ذلك الشاب على الصواب وهو كذا ، وعرف ذلك الشاب انا رجعنا الى الأصل فوجدناه كما قال (١) •

كتاب الأمالى للزجاجى

عرض هذا الكتاب لفروع مختلفة من الثقافة ، ولو أنه فى مجموعه كتاب لغة الا ان الزجاجى كان يأتى بالأخبار أحيانا لاتصل اتصالا وثيقا بالرواية اللغوية كخبير عمر بن أبى ربيعة ومعشوقه الثريا (٢) أو وصية قيس بن عاصم المنقرى لبيه (٣) وقد يتخير فصيح القول وما أثر عن العرب من جمال العبارة كخطبة للنبي صلى الله عليه وسلم (٤) أو خطبة نسبها الى على كرم الله وجهه (٥) أو حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان رضى الله عنه (٦) •

وكان يأتى أحيانا بالأشعار - وبعضها غير مشروح - وليس لها وجه من الرواية أو الاستطراد الا مجرد الاختيار وأكثر هذه الأشعار رواها

(١) بنية الوعاة ٩١ •

(٢) امالى الزجاجى ص ١٠ •

(٣) ص ٢٠ •

(٤) ص ١٨ •

(٥) ص ٨٨ •

(٦) ص ١٢٧ •

عن ابن دريد عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى عن عمه (١) أما ما كان شديد الاتصال بالدراسة والرواية اللغوية فسن تناوله بمزيد من التفصيل ونضع التماثل منها تحت أصل واحد • فمن ذلك :

أوجه استعمال الأسماء :

يروى بسنده عن أبى زيد والأصمعى وغيرهما ما يذكر من أسماء تتقارب مدلولاتها فيحدد الاسم ومدلوله كما جاءت به الرواية فيقول مثلا :

الشجاج : قالوا الشج في الوجه والرأس خاصة دون سائر الجسد •
وأول الشجاج •

الخارصة : وهى التى تشق الجلد شقا خفيفا ولم يجبر منها دم ، ومنه قيل خرص القصار التوب اذا شقه شقا خفيفا •

الدامية : وهى التى ظهر دمها ولم يسيل •

الدامعة : وهى التى قطر دمها كما تدمع العين •

الباضعة : وهى التى أخذت فى اللحم •

السمحاق: وهى التى جاوزت اللحم الى الجلدة الرقيقة وهى التى بين

اللحم والعظم وتلك الجلدة الرقيقة يقال لها السمحاق ويقال

للسمحاق أيضا الملاء بمد وقصر ومنه الحديث (الملاء بدمها)

أى يحكم فيها لوقتها ولا ينظر الى ما يثول اليه أمرها •

الموضحة : وهى التى خرقت السمحاق الى العظم فأوضحته •

(١) صفحات ٨ و ٩ و ١٠ و ١٢ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٨ و ٢٠ و ٢١ و ٢٥

و ٢٦ و ٣١ و ١١٠ و ١١١ الخ •

المقرشة : وهى التى تخرج منها العظام •

الآمة : ويقال لها المأمومة ، والأميم أيضا وهى التى بلغت أم الرأس وهى

مجتمع الدماغ •

الدامغة : وهى التى تخسف العظم ، ولا بقاء لصاحبها (١) •

وبسنده عن الفراء :

يده من العنبر عبقة ، ومن الشحم ودكة ، ومن الطين لثقة ، ومن

الشهد شبرة ، ومن السمك طمرة (٢) •

وبسنده عن الفراء أيضا :

كل مستدير كفة (بكسر الكاف) ، وكل مستطيل كفة (بضم

الكاف) (٣) ويبين الفرق فى كلمة (الحلف) حين يفتح لامها وحين تسكن

فهى فى الأولى تستعمل فى الخير والشر ، وحين تسكن لامها لا تكون الا فى

الدم (٤) •

ومن المترادف : (٥)

فى معنى النحل : الثول ، والدبر ، والحشرم ، والرضع ، والدخا

بتخفيف الحاء والقصر ، واليعاسيب ، والتوب كله بمعنى واحد ، (٦) •

وبسنده عن ابن الأعرابي :

(١) الامالى ص ١٧ •

(٢) المزهر ١ : ٤٤٨ •

(٣) المزهر ٢ : ٢٨٩ •

(٤) المزهر ٢ : ٣٩٦ •

(٥) من العلماء من انكر الترادف. ورأى ان لكل كلمة معنى ليس فى أختها •

انظر الباب الرابع من كتابنا (رواية اللغة) •

(٦) امالى الزجاجى ١٩ •

هى العمامة ، والمشوذ ، والسب ، والمقطعة ، والعصابة ، والعصاب ،
 والتاج ، والمكورة ، ويقال : جاء رجل متختما أى متعمما ، وما أحسن
 تختمه أى تعممه - وقال : هذا حرف لم يذكره الا ابن الأعرابي (١) .

ومن الاشتقاق :

يقول بسنده عن ابن الأعرابي :

العشقة شجرة يقال لها اللبلابة تخضر ثم تدق ثم تصفر ومن ذلك

اشتقاق العاشق (٢) .

وفى مادة غزل يقول :

غازل الكلب الطبى اذا عدا فى أثره فلحقه وظفر به ثم عدل عنه ،
 ومنه مغازلة النساء ... وقال أبو القاسم : أصل المغازلة من الإدارة
 والقتل ... ومنه سمي المغزل لاستدارته وسرعته فى دورانه ، وسمى
 الغزال غزالا لسرعته ، وسميت الشمس الغزالة لاستدارتها وسرعتها (٣) .
 وبسنده عن أبى زيد : تقول العرب لشهرى البرد شيان وملحان
 لما يرى فيهما من بياض الثلج والصقيع ، فاشتقاق شيان من الشيب ،
 وملحان من الملح (٤) .

ومن بقية الأشياء :

قال أبو القاسم : القوس بقية التمر فى الجلة ، والاس بقية العسل
 فى وعائه ... والكعب بقية السمن فى النحى ، والهلال بقية الماء فى
 الحوض ، والشفا يقصور بقية كل شئ (٥) .

(١) ص ٧١

(٢) ص ٩

(٣) امالى الزجاجى ٩

(٤) المصدر ٧٩

(٥) ص ١٣ - ١٤

ومن نحن العوام :

سئل الأصمعي ما المفلطح ؟ قال : هو الشيء يعرض أعلاه ، ويدق أسفله ومنه رأس مفلطح ، والعامة تقول : مفرطح (١) •

ومن شواذ الجموع :

ومن شواذ الجموع ما يرويه بسنده عن معمر قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن العثان ماهو ؟ فسكت ساعة ثم قال : هو الدخان من غير نار - قال أبو القاسم : يقال هو الدخان جمعه دواخن ، والعتان وجمعه عوائن ، ولا يعرف لهما نظير في الجموع لأن فعلا لا يجمع على فواعل غير هذين (٢) •

وقال : لم يجيء في كلام العرب من الجموع على فعال الا ستة أحرف من ذلك قولهم : ظئر وظؤار - وعنز ربي وعنز رباب ••• وتوام وتؤام ، وعرق وعراق ، ورخل ورخال ، وفير وفرار لولد البقرة (٣) •

ومن نواذر الألفاظ :

يروي بسنده عن ابن الأعرابي أنه يقال : اقتلت شيئا بشيء اذا أبدلته وهو نادر شاذ ، وقال ابن الأعرابي : سمعت اعرابيا يقول لآخر : ادخل بغلامك هذا السوق فاقتل به غيره أى استبدل به (٤) •

وعن ابن دريد بسنده عن الأصمعي قال : قلت لبعض الأعراب أي

(١) فطلطح وفرططح عربيتان ذكرهما اللسان واستشهد لهما بشعر لابن الأحرار البجلي وهو من بلحارث بن كعب يصف حية ذكرا :
حلفت لهازمه عزيز ورأسه كالقرص فرططح من طحين شعير

(٢) ص ٧٨ •

(٣) أمالي الزجاجي ص ٨٢ •

(٤) ص ٢٧ •

الأيام أقر؟ قال : الأحص الورد ، والازب الهلوف • قلت : فسر له لى قال :
 الاحص الورد هو يوم تصفو سماءه ويحمر جوه وتطلع شمسه فلا ينفك
 من برده لانك لا تجد لها مسا ، والازب الهلوف يوم تهب فيه نكباوة تسوق
 الجهام - قال أبو القاسم : أصل الحصص قلة الشعر فكانما لما لم يكن فيه غيم
 شبهه بالأحص الرأس • والهلوف الجمل الكثير الوبر ، يقال لحية هلوقة
 اذا كانت كثيرة الشعر فشبهه بالغيم الذى فيه لهذا ، والجهم : سحاب
 لاماء فيه (١) •

ومن الصيغ : فعلت وافعلت :

وقد تناولها قدامى الرواة فكتب فيها الأصمعى ، والنضر بن شميل
 وأبو العباس المبرد ••• وقال أبو القاسم من غير اسناد يقال : عدى الفرس ،
 واعداه فارسنه اذا حملة على العدو (٢) ويقال : رميت الشيء من يدي ،
 وأرميته عن الفرس (٣) •

ومن الاضداد :

يقال بعث الشيء اذا بعته فأخرجته عن يدك ، وبعته اذا اشتريته يستعمل
 فى الضدين جميعا (٤) •

الأمثال :

ونالت الأمثال بعض عنايته ، تحدث عنها وعن مناسبتها وأقوال اللغويين
 فيها وعرض فى الكتاب لمناظرات قدامى الرواة وخصوماتهم فأشار الى آرائهم
 ووجوه الاختلاف بينهم كما كان يدلى برأيه أحيانا ولا يكتفى بمجرد النقل
 ذكر مناظرة بين الكسائى والأصمعى بحضرة الرشيد (٥) وأخرى بين نعلب

(١) ص ٧٨ •

(٢) ص ١١ •

(٣) ص ٢٧ •

(٤) ص ٩٩ •

(٥) ص ٣٤ •

والمبرد ينقل آراءهما أبو الحسن الأخفش (١) وثالثة بين الكسائي واليزيدي
في حضرة المهدي (٢) وأخرى بين الأصمعي وابن الأعرابي (٣) وكلها
تدور حول قضايا لغوية •

هذه جوانب مما جاء في كتاب الأملى لأبي القاسم الزجاجي مما يتصل
برواية اللغة - مبصرة لا ينظمها منهج خاص ، وانما جاءت وكأنها عفو
الخطأ فترى مسألة لغوية بين مقطوعتين من الشعر الى جانب خطبة فصيحة
واستطراد الى شرح غريبها الى غير ذلك ، وهذا نهج يكاد يكون عاما في
كتب الأملى ، وان كانت الى المجالس أقرب •

(١) ص ٢٨ •

(٢) ص ٤٠ •

(٣) ص ٣٩ •

عبد الواحد بن علي

أبو الطيب اللغوي ٢٥١

وهذا رجل آخر قدم من عسكر مكرم في شرق العراق وتلقى العلم في بغداد وأكثر من أبي عمر الزاهد (١) ومحمد بن يحيى الصولي ثم قدم حلب وأقام بها إلى أن قتل في دخول المستنق سنة احدى وخمسين وثلاثمائة (٢) •

وكان سيف الدولة يلجأ إليه في بعض ما يعن له من مسائل لغوية بالرغم من إقامة ابن خالويه في قصره وانقطاعه له وكأنه بهذا يثير المناصفة بين الرجلين - يحكى بعض هذا أبو علي الصقلي فيقول : (كنت في مجلس ابن خالويه إذ ورد عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزائنه وأخرج منها كتب اللغة وفرقها على أصحابه يفتشونها ليبحث عنها فتركته وذهبت إلى أبي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها وبيده قلم الحمرمة فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب) (٣) •

من تصانيف أبي الطيب : مراتب النحويين ، وكتاب في الأتباع ، والابدال ، وشجر الدر ، والفروق ، والأضداد في كلام العرب • وكلها تبحث في المسائل اللغوية ما عدا الكتاب الأول الذي عرض فيه لرواة اللغة وميز أهل الصدق من أهل الكذب والوضع ، وقال في سبب تأليفه : قد غلب الجهل وفشا حتى لا يدرى المتصدر للعلم من روى ولا من روى عنه وحتى أن كثيرا من أهل دهرنا لا يفرقون بين أبي عبيدة وأبي عبيد ، وبين الشيء

(١) يقول أبو الطيب : قرأت على أبي عمر (الفصح لشعلب) •

• وإصلاح المنطق لابن السكيت حفظا •

(٢) بغية الوعاة ٣١٧ •

(٣) رسالة ابن القارح ٢٨ •

النسب إلى أبي سعيد الأصمعي أو أبي سعيد السكري أو أبي سعيد
الضرير ويحكون المسألة عن الأحمر فلا يدرون أهو الأحمر البصري
أو الأحمر الكوفي ولا يصلون إلى العلم بمزية ما بين أبي عمرو بن العلاء
وأبي عمرو الشيباني ولا يفصلون بين أبي عمر عيسى بن عمر الثقفي وبين
أبي عمر صالح بن اسحق الجرمي ، ويقولون قال الأخفش فلا يفرقون
بين أبي الخطاب الأخفش ، وأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش البصري
وبين أبي الحسن على بن المبارك الأخفش الكوفي (١) وأبي الحسن على
ابن سليمان الأخفش بالأمس صاحب محمد بن يزيد ، وأحمد بن يحيى ،
وحتى يظن قوم أن القاسم بن سلام البغدادي ، ومحمد بن سلام الجمحي
صاحب الطبقات أخوان ... فرسمت لك في هذا الكتاب ما تقبح الغفلة
عنه ، ولا يسع العقلاء جهله) ثم كرر الحملة على رجال عصره وضرب
الأمثلة على جهلهم ومما قاله في هذا :

(وقد بلغني عن بعض من يختص بهذا العلم ويرويه ويزعم أنه
يتقنه ويديره أنه أسند شيئاً فقال : عن الفراء عن المازني - فظن أن الفراء
الذي كان هو بازاء الأخفش كان يروي عن المازني ... ! وحدثت عن
آخر أنه روى مناظرة جرت بين ابن الأعرابي والأصمعي وهما ما اجتماعا
قط ، وابن الأعرابي بازاء غلمان الأصمعي ، وإنما كان يرد عليه
بعده (٢) •

ويبدو أن أبا الطيب قد وقع فيما حذر الناس منه ، وعيب بما عابه
الناس به - فعلى بن المبارك الذي ذكره باسم الأخفش هو الأحمر
لا الأخفش ، جاء ذلك في كل كتب الطبقات التي عرضنا لها (٣) وينفي

(١) هو الأحمر لا الأخفش •

(٢) مراتب النحويين ص ٥ •

(٣) انظر نزعة الالباء ١٢٥ ، ومعجم الادباء ١٣ : ٥ - ١١ ، تاريخ بغداد

١٢ : ١٠٤ ، وانباء الرواة ٢ : ٣١٣ ، بغية الوعاة ٣٣٤ •

لقاء ابن الاعرابى والأصمعى - ولم يقم على ذلك دليلا غير قوله (وابن الاعرابى بازاء غلمان الأصمعى) والحقيقة انهما تعاصرا طويلا ، فابن الاعرابى ولد لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمسين ومائة وتوفى سنة احدى وثلاثين ومائتين عن احدى وثمانين سنة عاصر منها الأصمعى قرابة ست وستين سنة ، والأسباب التى ذكرتها كتب الأخبار والطبقات فى لقاء الرجلين ليس من بينها مطعن وإحد يتصل بالمنطق والعقل بل تؤيدها أخبار ووقائع أخرى •

لقد كانا خصمين نتيجة للخصومة التى قامت بين المفضل الضبى والأصمعى ونحن نعلم أن ابن الاعرابى ربيب المفضل فكان لذلك يزعم أن الأصمعى وأبا عبيدة لا يحسان قليلا ولا كثيرا - والأمر على غير هذا ولا يقر قول ابن الاعرابى افعال فى الخصومة ، بل كان ذلك من أسباب نفور أبى زيد الاقليدسى - قيل له لم لم تأت ابن الاعرابى ولم تقرأ كتبه ؟ قال : بلغنى انه كان ينتقص الشيخين يعنى الأصمعى وأبا عبيدة (١) فهذا من أدلة الخصومة وان لم يقم كدليل قاطع على تقابلهما ولكنه يؤيد الواقعة التى ذكرها كثير من الاخباريين والرواة فى سبب هذه الخصومة بعد التقائهما ونحن ننقلها عن القفطى قال :

(كان ابن الاعرابى يطعن على الأصمعى ، وسببه أن الأصمعى دخل يوما على سعيد بن سلم (٢) وابن الاعرابى يؤدب حيثئذ ولده فقال لبعضهم : أنشد أبا سعيد ، فأنشد الغلام لرجل من بنى كلاب شعرا رواه ابن الاعرابى وهو :

وأت نضو أسفار أميمة قاعدا
على نضو أسفار فجن جنونها

(١) انباء الرواة ٣ : ١٢٩ •

(٢) هو سعيد بن سلم الباهى • من اقارب الاصمعى •

فقلت : من أى الناس أنت ومن تكن
فأنك راعى صرمة لا تزينها
فقلت لها : ليس الشجوب على القتي
بعار ، ولا خير الرجال سمينها
عليك براعى ثلة مسلجة
يروح عليه محضها وحقيقتها
سمين الضواحي لم تؤرقه ليلة
وأنعم أبكار الهموم وعونها

ورفع ليلة فقال الأصمعي : من رواك هذا ؟ فقال : مؤدبي ، فاحضره
واستشده البيت فأنشده ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال :
انما اراد (لم تؤرقه ليلة أبكار الهموم) و (عونها) جمع عوان و (أنعم)
أى زاد على هذه الصفة ، وقوله (سمين الضواحي) يريد ما ظهر منه وبدا
انه سمين ، ثم قال لابن سلم : من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعا
لتأديب ولدك * (١)

ويروى ابن الأنباري عن ابن الأعرابي قوله : (شهدت الأصمعي
وقد أشهد نحو من مائتي بيت ما فيها بيت عرفناه) (٢)
ومما رواه الزبيدي نفهم أن ابن الأعرابي والأصمعي التقيا في
منزل سعيد بن سلم الباهلي ، كما يفهم ان هذا اللقاء كان أكثر من مرة
فأنظر ما يقول الزبيدي :

(ابن الغازي : حدثنا محمد بن الفضل بن سعيد بن سلم ، حدثني
أبي قال : كان ابن الأعرابي يؤدبنا في أيام أبي سعيد بن سلم ، فكان
الأصمعي يأتينا مواصلا فيناظره ابن الأعرابي فيرتجل ذلك وكان أعلم
بالأعراب منه ، وكان الأصمعي يفتر فيه ويغريه بالشعر ويسلكه مسلكه
في جهة المعاني ، فاذا وقع هذا الباب وبرى من الأعراب التهمة فلم
يفترق من بحره) (٣)

(١) انباء الرواة ٣ : ١٣٣ - ١٣٤ ، المزهر ٢ : ٣٢٢

(٢) نزهة الالباء ١٥٣

(٣) طبقات الزبيدي ٢١٣ - ٢١٤

ويبدو ان هذه المناظرات قد تركت أثرا حسنا في نفس ابن الأعرابي بالرغم من وجود الخصومة بين الرجلين جعلته يحرص على آراء الأصمعي ويسعى الى تدوينها • واليك ما يحكيه الزبيدي في ذلك أيضا :

(يقول أبو حاتم : كان الأصمعي يأتي سعيد بن سلم ، وابن الأعرابي مؤدب لولده فيفارق المجلس ويسأله سعيد بن سلم الاملاء على ولده فيفعل فاذا زال الأصمعي خرج ابن الأعرابي فيقول : أعرضوا على ما أفادكم الباهلي - قال : ثم يكتبه) •

واذا كان كل ما ورد مؤكدا لقاء الرجلين لا يقنع أبا الطيب اللغوي فان دعواه التي لم يقدم لها دليلا الا قوله (وابن الأعرابي بازاء غلمان الأصمعي) لا تقنع أحدا • وهل لم يقابل الأصمعي غلمانه ؟!

أما هذه الحملة على علماء عصره فهي محل نظر أيضا اذ أن أهل العربية في القرن الرابع الهجري يعتبرون من أفذاذ العلماء في تاريخ الرواية ويبدو أن الرجل كان تحت تأثير منافسة شديدة بينه وبين ابن خالويه الذي كان يستمد قوته من صحبته لسيف الدولة الحمداني فانطلق لسان أبي الطيب ينال من بعض رجال عصره في كتاب مراتب النحويين على هذا النحو من الشدة والعنف • والكتاب بعد هذا يشتمل على تراجم مفيدة لرجال البصرة والكوفة وبغداد وعلاقات بعضهم البعض والخصومات بينهم ، وأقدارهم وأوزانهم العلمية من وجهة نظر أبي الطيب •

● كتاب الابدال : (١)

وأقدم من ألف في الابدال أبو سعيد عبد الملك الأصمعي ، ثم ألف أبو يوسف يعقوب بن السكيت كتاب القلب والابدال واعتمد فيه اعتمادا واضحا على كتاب الأصمعي - وعمل أبو الطيب كتاب الابدال نحا

(١) نشره الأستاذ عز الدين التنوخي في جزءين •

فيه نحوهما ، واكتفى بتبويب الكتاب على الحروف التى يمكن ان تتعاقب
فى الكلمة الواحدة كقولهم فى ابدال الثاء والفاء : الحثالة والحفالة : الردى
من كل شئ وتلغ رأسه وفلغه : اذا شدخه ، والثوم والفوم الحنطة •
ومن الجيم والكاف : مر يرتج ويرتك : اذا ترجرج ، وأخذ سج فى
بطنه وسك : اذا لان بطنه - الى غير هذا •

ولم يعمل أبو الطيب لظاهرة الابدال إلا فى قوله انها لغات فقال :
(ليس المراد بالابدال ان العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وانما هى
لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد حتى
لا يختلفان الا فى حرف واحد والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة
لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسین
أخرى ، وكذلك ابدال لام التعريف ميماً والهمزة المصدرة عيناً كقولهم
فى نحو ان عن ، لا تشترك العرب فى شئ من ذلك انما يقول هذا قوم ،
وذاك آخرون) •

أما الذى علل لظاهرة الابدال وشقق الحديث فيها فهو أبو الفتح

ابن جنى •

● كتاب الفروق :

ولأبى الطيب كتاب فى الفروق ذكر فيه ما توصف به اليد عند لمسها
أصنافاً من الملموسات كقوله : يده من اللحم غمرة ، وندلة - ومن اللبن
وضرة ومن السمك والحديد أيضاً سهكة ، ومن البيض ولحم الطير زهمة
..... الى غير هذا (١) •

ومن الذين تكلموا فى الفروق على هذا الوصف الفراء ، وثعلب
ونقل الزجاجى فى أماليه بعض هذه الأوصاف أشرنا إليها فى تحليلنا
لآمال الزجاجى •

(١) المزمو ١ : ٤٤٧ •

● شجر الدر :

وهذا ضرب آخر من التأليف سار فيه على نهج أستاذه أبي عمر الزاهد الذي ألف كتاب المداخل وهو لون من المذاكرة اللغوية استند صاحبه على أصل من الأصول ففسره وجعل هذا التفسير سيلا الى الاستطراد فيما تداخل من المعاني وهذا نموذج من كتاب المداخل لأبي عمر الزاهد :

باب القطاج : أخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال :

القطاج : قلنس السفينة •

والقلنس : ما يخرج من حلق الصائم من الطعام والشراب •

والشراب : الخمر •

والخمر : الخير • قال : والعرب تقول : ما عند فلان خل ولا خمر
أى لا شر ولا خير •

والخير : الخيل •

والخيل : الظن •

والظن : القسم • قال وأخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال : من
العرب من يقول : أظن أن زيدا خارج بمعنى والله ان زيدا
لخارج ، قال وأنشدنا ثعلب عن سلمة عن الفراء :

أظن لاتنقضي عنا زيارتكم

حتى تكون بوادينا البساتين (١)

ألف أبو الطيب اللغوي كتابه (شجر الدر فى تداخل الكلام
بالمعاني المختلفة) بناء على أصل معروف من أصول العربية هو الاشتراك

(١) من مقدمة كتاب شجر الدر الذى حققه الاستاذ محمد عبد الجواد سلسلة

دخائر العرب (٢١) ط دار المعارف •

اللفظي ، ولترك صاحبه يتحدث عن خطته في الكتاب وسبب تسميته ، يقول في مقدمة الكتاب : (هذا كتاب مداخل الكلام بالمعاني المختلفة سميناه شجر الدر لأننا ترجمنا كل باب منه بشجرة ، وجعلنا لها فروعاً • فكل شجرة مائة كلمة أصلها كلمة واحدة تتضمن من الشواهد عشرة أبيات من الشعر ، وكل فرع عشر كلمات فيها من الشواهد بيتان الا شجرة ختمنا بها الكتاب لا فروع لها ولا شاهد فيها عدد كلماتها خمسمائة كلمة أصلها كلمة واحدة وفي آخرها بيت واحد من شعر •

وانما سميناه الباب من أبواب هذا الكتاب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض أى تداخله ، وكل شيء تداخل بعضه في بعض فقد تشاجر ، ومنه سميت الشجرة شجرة لتداخل بعض فروعها في بعض ••• الخ) •

وكنتم أرجو أن أثقل عن الكتاب الشجرة الأولى كاملة بفروعها لولا التطويل ، ثم فضلت أن أوجز التعريف الى بيان طريقة التأليف وإبراز المشترك الذى يتمثل في الفروع •

فاصل الشجرة الأولى هو الصحن :

و (الصحن : قدح النيذ ، والنيذ : الشيء المنبوذ ، والمنبوذ : اللقيط ، والمليط : النوى ، والنوى : الشحط ، والشحط : الذبح •• الخ •

أما فروع هذه الشجرة فهي :

الفرع الثانى الصحن : الاحذاء ، والاحذاء أن تهب الرجل نعلا والنعل :

العتب من الأرض أى الغلط ، والعتب ••• الخ •

الفرع الثالث الصحن : الضرب ، يقال : صحتته مئة سوط ، والضرب
سقوط الضريب ، والضريب : النظير ، : النظير : المصاب بالعين ،
والمصاب ... الخ •

الفرع الرابع الصحن : باحة الدار والجمع صحنون وبوح ، والبوح :
النفس ومن أمثالهم : ابنك ابن بوحك يشرب من صبوحك أى ابن
نفسك ، والنفس العين ... الخ •

الفرع الخامس ، ونحن ننقله كاملا لتستطيع تصور ما جاء فى الفروع
السابقة •

الصحن : باطن الحافر ، والحافر الذى ينبت الأرض بمغول أو نحوه ،
والمغول : الرجل الكثير العول ، والعول : القيام بأمر العيلة ، والعيلة :
الخصاصة قال الله تعالى (وان خفتم عيلة) قال الشاعر :

وما يدرى الفقير متى غناه
وما يدرى الغنى متى يعيل

أى متى تلحقه الخصاصة - والخصاصة : الفرجة فى الباب
أو الحائط - والحائط : بستان النخل ، والنخل : الاخلاص - والاخلاص :
الاسلام - والاسلام : ترك الشئ بغير مماثلة قال الراجز :

نجيت نفسى وتركت حزره (١)
نعم الفتى غادرته بشيرة (٢)
هل يسلم الحر الكريم بكرة (٣)

وهكذا كانت طريقة أبى الطيب يجعل الفروع سبيلا لايراد
المشترك ، ثم يفسر اللفظة بثانية ، والثانية بثالثة .. والكتاب ثروة لغوية
وأنابيش معجمية يعين على دراسة المفردات وبيان وجهها المشترك
لفظا ومعنى •

(١) الحزرة : خير مال الرجل •

(٢) ثبرة : واد بديار ضبة •

(٣) شجر الدر ص ٨٨ •

الحسين بن أحمد بن خالويه

ومن الذين برزوا في بلاط سيف الدولة ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ٢٧٠ هـ وهو فارسي المولد من همدان ، دخل بغداد وجلس الى كبار رجالها في عصره كابن دريد ، وأبى عمر الزاهد ، وابن الأنباري ، وأبى سعيد السيرافي ثم انتقل الى الشام حين استقدمه سيف الدولة لتأديب أولاده فتصدر بحلب وحمص (١) وترك آثارا قيمة في اللغة منها : مختصر في شواذ القرآن ، اعراب ثلاثين سورة ، كتاب الشجر ، الاشتقاق ، الآل ، الجمل في النحو ، المقصور والممدود وكتاب ليس في كلام العرب (٢) .

وهذا الكتاب الأخير هو كتاب الفرائد بحق ، ولم يسبقه في هذا النهج نفوى آخر - على ما نعلم - جمع ابن خالويه كل ما شذ عن الأقيسة في العربية على قدر ما أحاط به حفظه فهو يقول : (ليس في كلام العرب (أصرفت) الا في موضع واحد وهو قولك أصرفت القوافي اذا أقوىتها وأشد الجريز :

قصائد غير مصرفة القوافي

فلا عيا بهن ولا اجتلابا (٣)

فاما سائر الكلام فصرفت . قال الله تعالى (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) ، وصرف ناب البعير والجمل يصرف نابه نشاطا والنافه كلالا واعياء (ص ٣) .

(١) انباه الرواة ١ : ٣٢٤ ، بغية الوعاة ٢٣١ .

(٢) ط بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣) رواية ابن جنى للبيت في كتاب الخصائص .

الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا

الخصائص ١ : ٣٦٧ ، ٣ : ٢٩٤ .

(وليس في كلام العرب المصدر للمرة الواحدة الا على فعلة نحو :
سجدت سجدة واحدة ، وقمت قومة واحدة الا حرفين حجبت حجة
واحدة بالكسر ، ورأيت رؤية واحدة بالضم وسائرهما بالفتح) وكان يورد
قضايا لغوية تحت هذا الأصل ويعرض فيها لرأى البصريين والكوفيين
فيقول : (سيويه وأبو زيد يزعمان انه ليس في كلام العرب اسفعل
الا حرفا واحدا وهو استطاع يستطيع بمعنى اطاع يطيع السين زائده سماعا
عن العرب ، والكوفيون يقولون : انه ليس في كلام العرب سين تترادف
وحدها وانما هو استطاع فأسقطوا التاء) (١) •

ولما كانت الناقعة والجمل هما عدة العربى جرت أسماؤها على لسانه
بصيغ عديدة قال ابن خالويه : ليس في كلام العرب اسم جمع ست مرات
الا الجمل فانهم جمعوا الجمل أجملا ثم أجملا ثم جاملا ثم جمالا ثم جمالة
ثم جمالات وأكثر ما يكون الجمع مرتين أو ثلاث وهذا ست مرات (٢)
فهو نادر •

وليس في كلام العرب اسم على ألفاظ مختلفة الا الناقعة فانهم قالوا
ناقعة ثم جمعوها ناقات ، ونوقا ، وناقا ، وأيانق ، ونياقا ، وانيقا ، وأنوقا
سبع مرات وسبعة ألفاظ وعلل لذلك بأنهم يمارسون النوعين كثيرا فينطقون
بهما على ألفاظ مختلفة ، واستدرك ابن خالويه فزاد على أسماء الناقعة
ثلاثة أسماء أخرى حين عرض لهذه المادة في شعر رواه الأصمعي للغنوي :

وحوافر صلب وقين من الوجا
لا بالصغار ولا الكبار الحنب
وتخاله في مشيه مستوجبا
نقبا بحافره وان لم ينقب

(١) كتاب ليس كلام العرب ص ١٦ •

(٢) ص ٣٠ •

يدع الجياد اذا جرين كانها

سبب
انق مشكلة بأعلى

قال ابن خالويه : قوله مشكلة أى مقيدة يريد كأنها نوق - وجائز أن يكون أراد جمع أنوق وهو الرخم الطائر شبهها لسرعتها بذلك الطائر فأنوق وأنق مثل رسول ورسل - وإن كان جمع الناقة فانه غريب ماسمع بمثله فعلى هذا تجمع الناقة : ناقات ، ونوقا ، وأنقا ، وأيانق ، وأينقا وأنيقات ، وأنوقات ، وأونقا ، ونقا ، ونياق (١) •

وذكر ابن خالويه فريدة من الفرائد فقال : ليس فى كلام العرب نسوة بمعنى النسيان الا فى كتاب اللغات قال : نسيت الشئ أنساه نسيانا ، ونسيا ، ونساوة ، ونسوة • وكتبت امرأة الى زوجها :

(فوالله ما أدري أصرمت أو ملت أم نسيت) فكتب اليها :

(فلست بصرام ولا ذى ملالة)

ولا نسوة للعهد يا أم جعفر (٢)

وقال ابن خالويه : ليس فى كلام العرب (بعد) بمعنى (قبل) الا حرفا واحدا فى القرآن • قال الله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) والزبور هاهنا القرآن فالمعنى : ولقد كتبنا فى الزبور من قبل الذكر - والأرض هاهنا الجنة ولا يدخلها الا الصالحون ، فاما أرض الدنيا فيرثها الصالحون والطالحون (٣) •

ولكن ابن خالويه - وقد لاحظنا أنه يحاول حصر الشواذ يتجاوز هذا النهج عندما يتحدث عن ظواهر استقرت فى أذهان الرواة واطردت

(١) كتاب ليس فى كلام العرب ص ٧٥ •

(٢) ص ٤٢ •

(٣) ص ٤٤ •

حتى جرت في أقيستهم • تحدث عن ورود الفاعل بمعنى المفعول فقال :
 ليس في كلام العرب فاعل بمعنى مفعول الا قولهم : تراب ساف وانما
 هو مسفى لأن الريح سفته ، والريح سافية ، والرياح هي السوافى
 والسافى التراب أيضا - ومثله عيشة راضية بمعنى مرضية ، وماء دافق
 بمعنى مدفوق - وسر كاتم بمعنى مكتوم - وليل نائم بمعنى قد ناموا
 فيه وأشد :

فنام ليل وتجلي همى

وقد يجىء مفعول بمعنى فاعل ، قال الله تعالى (حجابا مستورا) أى
 ساترا •

وهاتان مسألتان وردتا في اللغة واطردتا حتى جاز القياس عليهما ولم
 ينكر ابن خالويه ذلك فقال (وهذه كلها مجاز محتمل في الكلام) قال
 تعالى (بل مكر الليل والنهار) وقال تعالى (فما ربحت تجارتهم) والتجارة
 ما تربح وانما يربح فيها ، وقال تعالى (فاذا عزم الأمر) تأويله فاذا عزمتم
 أتمت على الأمر ، ومثله : أدخلت القلنسوة رأسى وانما هو أدخلت رأسى
 القلنسوة • فخرج ابن خالويه بهذا عن التحديد الذى التزمه فى كتابه
 وحدد عنوانه ب (ليس في كلام العرب) •

والحقيقة التى عرفناها عن ابن خالويه واتضحت فيما قرأناه من كتبه
 وما تناثر فى كتب اللغة منسوباً إليه أنه ينزع الى هذا اللون من الدراسة
 ويبحث عن فرائد اللغة وتلك التى تخرج عن القياس ويحاول حصرها
 وهذه قضية كبيرة تكشف عن عالم كبير ، وليس لامرئ أن يتحدث عن
 الشواذ الا اذا أحاط بالمطرّد فما بالناس برجل يحاول حصره والتنبيه على
 الحالات التى يرد فيها ونلاحظ فى مؤلفاته أنه شديد الانتباه للشاذ والنادر
 من كلام العرب •

يقول فى شرح الفصيح (يقال طاف الحيسال يطوف ، وأخبرنا ابن مجاهد عن السمرى عن الفراء قال : سمعت شيخا من التحويين وكان ثقة يقال له الأحمر يقول: طفت بالكسر (أى بكسر الطاء) وهو نادر (١) .
ويقول فى شرح الدرديدية : الرشاء بالمد اسم موضع وهو حرف .
نادر ما قرأته الا فى قول عوف بن عطية :

يقود الجياد بآرسانها

يضعن ببطن الرشاء المهارة (٢) .

وقال : لم يسمع جمع الدجال من أحد الا من مالك بن أنس فقيه المدينة فانه قال : هؤلاء الدجاجة (٣) .

وقال فى شرح الدرديدية أيضا : (لم نجد فى كلام العرب لندمان نظيرا الا فى أربعة أحرف يقال نديم ونادم وندمان وسليم وسالم وسلمان ، ورحيم وراحم ورحمان ، وحמיד وحامد وحمدان وهذا نادر) (٤) .

وكان سيف الدولة يعرف فيه هذه المقدرة وجمعه للنادر والشاذ فسأل جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا فقال : يا بن خالويه ما تقول أنت ؟ قال : أنا أعرف اسمين ... هما صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى ... قال ابن خالويه : فلما كان بعد شهرين أصبت حرفين آخرين ذكرهما الجرمى فى كتاب التنبيه وهما : صلفاء وصلافى وهى الأرض الغليظة ، وخبراء وخبارى وهى أرض فيها ندوة - ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفا خامسا ذكره ابن دريد فى الجُمهرة وهو سبتاء وسباتى وهى الأرض

(١) المزهر ١ : ٢٣٨ .

(٢) المزهر ١ : ٢٥٤ .

(٣) المزهر ١ : ٣٠٢ .

(٤) المزهر ٢ : ٩٠ .

الحُسنَة (١) وربما كان هذا طريقه الى تأليف كتاب « ليس في كلام العرب »
وانه بدأ في تأليفه بعد أن حصل من هذا النادر جزءا كبيرا في سنى حياته
فقد اشتمل هذا الكتاب على اضافات أخرى في هذه المادة مما أتيح له بعد
ذلك من مذاكرة - قال :

(ليس في كلامهم اسم ممدود جمع مقصورا الا ثمانية أحرف
وهي ... فذكر ما قدمناه وأضاف إليها : وجفاء ووجافى أرض فيها
حجارة ، ونبخاء ونباخى ونفخاء ونفاخى) (٢) •

ولا يعنى هذا انه جمع الشاذ كله فاللغة أوسع من أن يحيط امرؤ
بأطرافها ولقد أضاف أبو على بعض شواذ الجموع في كتابه المقصور
والممدود (٣) كما استدرك أحد العلماء على كتاب ابن خالويه فكتب على
حاشيته ما تيسر له من هذه الجموع •

كتاب اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم :

وهذا كتاب آخر لابن خالويه ، لم يخلص للاعراب وحده وانما
كان كتاب لغة أكثر منه كتاب نحو قدم له بقوله : هذا كتاب ذكرت فيه
اعراب ثلاثين سورة من المفصل بشرح أصول كل حرف وتلخيص فروعه ،
وذكرت فيه غريب ما أشكل منه ، وتبين مصادره ، وتثنيته وجمعه ليكون
معونة على جميع ما يرد عليك من اعراب القرآن وكان ينتهز المناسبة ليستقل
من الاعراب الى الخوض في المسائل اللغوية فمن ذلك :

الكلام فى الترادف :

كان ابن خالويه من القائلين بنظرية الترادف ، أشار الى ذلك

(١) الزهر ٢ : ٢٢٥ - ٢٢٦ •

(٢) ليس في كلام العرب ص ٢٠ •

(٣) الزهر ٢ : ٢٢٦ •

أبو على الفارسي فيما يحكيه عنه قال : (كنت بمجلس سيف الدولة
 بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه - فقال
 ابن خالويه أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو على وقال ما أحفظ
 له الا اسما واحدا وهو السيف - قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم
 وكذا وكذا ؟؟ فقال أبو على : هذه صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم
 والصفة (١) ، (٢) •

وابن خالويه يشير الى المترادف من خلال اعرابه لقوله تعالى (خلق
 من ماء دافق) فقال : والماء الدافق فاعل في اللفظ مفعول في المعنى
 ومعناه من ماء مدفوق أى مصبوب ، يقال دفق مأؤه ، وسفحه ، وسكبه
 وصبه بمعنى واحد (٣) ويقول في قوله تعالى (وكأسا دهاقا) ••• تقول
 العرب : أتأفت الاناء ، وربزته ، وحضجرته ، وزعبته ، وافعمته وترعته
 أى ملأته (٤) •

ومن المشترك :

الدين : الجزاء ، والدين : الطاعة كقوله : في دين الملك أى فى
 طاعته ، قال الشاعر :

لئن حلت بجوفى بنى اسد

فى دين عمرو وحالت بيثنا فدك

والدين الملة قال الله تعالى (إن الدين عند الله الاسلام) والدين :

العادة ، قال الشاعر :

تقول اذا درات لها وضيئى

اهذا دينه ابدا ودينى (٥)

(١) المزهر ١ : ٤٠٥ •

(٢) ذكرنا الاراء حول الترادف فى كتابنا (رواية اللغة) الباب الرابع •

(٣) كتاب اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٤٥ •

(٤) المصدر السابق ١٠٦ •

(٥) كتاب اعراب ثلاثين سورة ٢٤ - ٢٥ •

ويقول : الورق (بكسر الراء) ، والورق (يفتح الواو والراء) ،
والورق (بضم الواو) ، والورق (بكسر الواو وسكون الراء) كله
الدرهم والورق بفتح الراء : الصبيان الملاح ، والورق : قدر الدراهم
من الدم على الثوب ، والورق : ورق الشجر ، والورق ورق المصحف (١)
فالأول مترادف والثاني مشترك .

والصدى : ذكر البوم ، وصوت البوم ، وعظام الميت اذا بلى ،
والعطش والصدى أيضا ما يجيئك فى تهو أو صحراء ويسمى ابنة
الجل (٢) ويقول : الحجر أشاوى كثيرة (٣) فالحجر : ديار ثمود ، وحجر
الكعبة والفرس الأثى ، والحجر : الحرام ، والحجر : العقل قال الشاعر :

دنيا دنت من جاهل وتباعدت
عن قرب ذى أدب له حجر (٤)

ومن الأضداد :

البسل : الحرام ، والحلال وأنشد فى معنى الحلال :
أثبت ما زدتم وتمحي زيادتي
ينى ان اسيفت هذه لكم بسل

وفى معنى الحرام يقول :

هبت تلومك بعد وهن فى الندى
يسل عليك ملامتى وعتابى

وقال عدى بن زيد العبادى :

وبسل ان ارى جارات بيتي
يجمن وان ارى أهلى شباعا (٥)

(١) كتاب اعراب ثلاثين سورة ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ٢٩ .

(٣) اشاوى : جمع شىء كاشياء .

(٤) كتاب اعراب ثلاثين سورة ٧٥ .

(٥) المصدر السابق ٣٦ .

ويقول : الين فى اللغة : الوصل قال الله تعالى (لقد تقطع بينكم)
والين الفراق يقال : بأن بينه بينا ، وبأن يبنونه بونا ويقال بين الرجل
بين بعيد ، وبون بعيد (١) •

ومن الفروق

(الحمد لله ، والشكر لله بينهما فصل ، وذلك ان الشكر لا يكون
الا مكافأة ... والحمد الثناء ... فالشكر يوضع وضع الحمد • والحمد
لا يوضع موضع الشكر) (٢) •

ومن اللغات

ما هو فصيح وأفصح ، يقول فى (مالك يوم الدين) ... فى ملك
لغات أحسنها ملك ومالك وقد روينا جميعا عن النبى صلى الله عليه وسلم
وذلك أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا اليه أمر
امراته فقال :

**اليك أشكو ذربة من الذرب
يا مالك الملك وديان العرب**

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ذلك الله) ، وقال أهل النحو ان
ملكا أمدح من مالك وذلك أن المالك قد يكون غير ملك ولا يكون الملك
الا مالكا - واللغة الثالثة مليك ولم يقرأ به أحد لأنه يخالف المصحف
ولا امام له (٣) ... واللغة الرابعة ملك (مسكنة اللام) تخفيفا كما يقال
فى فخذ فخذ (بسكون الحاء) •

ويروى عن الفراء : يقال : شكرت لك ، وشكرتك ، وشكرت بك -

(١) كتاب اعراب ثلاثين سورة ص ٢٦ •

(٢) المصدر السابق ص ٢٠ •

(٣) زاد فى احدى النسخ وقد جاء فى موضع آخر (عند مليك مقتدر) ٢٢-٢٣ •

كما يقال كفرت بك ، وهذا الأخير نادر والأولى هي اللغة الفصحى (١) .

ومن العبارات والصيغ والنوادر التي كان يجلى ما غمض منها قوله مستطردا بعد اعراب قوله تعالى (وأنتك لا تظلماً فيها ولا تضحي)
الحصر البرد ، والحرص : البرد والجوع جميعا ، ويقال لشهرى البرد
يعنى الجمادين : شهرا قماح لأن الابل اذا ارادت شرب الماء قمحت رؤوسها
واقمحت ، قال الله تعالى (فهم مقمحون) - ويقال لهما الهرازان ويقال
جئتكم فى عنبرة الشتاء ، وصبارة الشتاء أى فى أشد ما يكون البرد (٢) .

وبعد ان اعرب قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) قال : ويقال : شتان
زيد وعمرو - وشتان ما زيد وعمرو ، ولا يقال شتان ما بينهما فاما قول
الشاعر :

**لشتان ما بين اليزيدلين فى الندى
يزيد اسيد والأغر بن حاتم**

فان الأصمعى كان لا يحتج بهذا . قال : والجيد قول الآخر :

**شتان ما يومى على كورها
ويوم حيان أخى جابر (٣)**

هذه أنماط لم تقصد حصرها، وانما أتينا بها لنعرف بالكتاب، وان
صاحبه لم يقصر عنايته على الاعراب فحسب ، وانما كانت طبيعة ابن خالويه
اللغوية تدفعه الى الاستطرداد فى اللغة ما وسعته المناسبة .

ابو الفتح عثمان بن جنى :

يحتل أبو الفتح مكان الذروة فى الرواية اللغوية ، وله مكان فى

(١) المصدر نفسه ص ١٠ .

(٢) كتاب اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٩٦ .

(٣) المصدر السابق ١٠٨ .

الموصل ، والشام وفي قصر سيف الدولة الا أنه قضى معظم حياته الفعالة في بغداد وظل يعلم بها الى أن مات •

وبالرغم من أنه لا ينسب نفسه مع البغداديين في أماكن كثيرة من كتبه الا أنه - فيما أرى - لا يعنى انه من الشاميين وربما اراد بذلك ان البغداديين زاوجوا بين المذهب البصرى والمذهب الكوفى على حين هو يغلو في البصريين وينسب نفسه معهم (١) •

وعلى كل حال فقد رأينا أن نعرف به في بغداد حيث تعلم وعلم (٢) •

(١) يقول في كتاب سر صناعة الاعراب في حرف الحاء : فاما قول من قال

في قول تأبط شرا :

كانما حشثوا حصا قواده
أو أم خشف يئذي شت وطباق
انه أراد حشثوا فابدل من الشاء الوسطى جاء فمردود عندنا وإنما ذهب
الى هذا البغداديون • سر صناعة الاعراب ج ١ ص ١٩٧ •
ويقول في حرف الثون من الكتاب نفسه :

ان تهبطين بلاد قو م يرتعون من الطلاح

فهذا على تشبيهه (ان) ب (ما) التي في معنى المصدر في قول الكوفيين فاهل

على قولنا نحن فانه أراد (ان) الثقيلة وخففها ضرورة •

(٢) انظر الباب الثالث (الرواية في بغداد) في كتابنا (رواية اللغة) •

الباب الثالث

الرواية في مصر

اللسان في مصر قبل الفتح الإسلامي

العلاقة بين العرب ومصر :

علاقة العرب بمصر وثيقة بحكم الجوار وتبادل المنفعة ، وتعتبر سيناء رابطا بين مصر وشبه الجزيرة العربية كما كان البحر الأحمر وسيلة اتصال أيضا فكانت السفن تسير في النيل الى قفط ثم تحمل منها التجارة الى قوافل تتجه شرقا صوب البحر الأحمر في طريق وادي الحمامات الى عيذاب والقصير ومنها الى الموانئ العربية •

يشير التاريخ القديم الى هذه العلاقة ويبين صلات مصر بالعرب فقد ذكر ان احمس مؤسس الدولة الثامنة عشرة قد أوغل شرقا في سيناء وتوغل تحتل المسالك أكثر منه ، أما رمسيس الثالث من الأسرة العشرين فكان أكثر الفراعنة إغلا في بلاد العرب حيث تعقب الساميين في الشرق ، وبنى اسطولا كبيرا انزله البحر الأحمر بغرض تسهيل سبل التجارة البحرية بين مصر وأقصى الشرق ، ووطد العلاقات بين مصر وشواطئ ذلك البحر ، واليمن في جملتها •

وفي العصور القريبة أشار التاريخ الى هجرات عربية اتجهت الى

مصر ، فكان الاعراب ، قبائل وآفرادا يتجمعون فى المنطقة الواقعة شمال صحراء النفود أو بادية الشام ثم يتجهون غربا الى سيناء ، منها بطون من بلى كانت تنزل سيناء وامتدت أرضها الى برزخ السويس ثم الى الفرما فى حدود مصر • وذكر ابن خلدون انه قد اجتاز منهم الى العدو الغربى من البحر الأحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ••• وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم (١) •

وأشار استرابو (٦٦ - ٢٤ ق • م) وبلينوس (٧٠ م) وهما مؤرخان يونانيان - ان العرب تكاثروا فى أيامهما على العدو الغربى من البحر الأحمر حتى شغلوا ما بينه وبين النيل فى أعلى الصعيد وأصبح نصف سكان قفط منهم - وكانت لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل •

وفى الجاهلية القريبة خرج بعض بطون من خزاعة الى مصر والشام لأن بلادهم أجذبت (٢) ثم تفرق عرب غسان ، وجذام وعاملة وكنوا قد اعتنقوا النصرانية فنزل فريق منهم أرض الجفار فى شمال سيناء وأقطعهم حاكم مصر الرومانى ولاية تيس (صالحجر) وكانوا برياسة رجل من بنى عامر بن صعصعة يقال له أبو ثور من العرب المنتصرة - فلما فتحت دمياط سار اليها المسلمون فبرز اليهم نحو عشرين ألفا من العرب المنتصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب آلت الى وقوع أبى ثور فى أيدي المسلمين وانهزام أصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيسة جامع (٣) •

وكان عمرو بن العاص يأتى متاجرا أيام الجاهلية فى الادم والعطر

(١) العرب قبل الاسلام • جورجى زيدان ١ : ١٧٢ •

(٢) أدبنا العربى فى عصر الولاة • دكتور محمد كامل حسين ٢٢ ط القاهرة

• ١٩٦١

(٣) خطط المقرئى ١ : ٢٨٦ ط النيل سنة ١٣٢٤ هـ •

ويصل في تجارته الى الاسكندرية (١) فهل لهذا الاتصال أثر لغوى
فى مصر ؟؟

يرى بعض رجال اللغة أن اللغة المصرية القديمة ترجع الى اصل
قديم يشمل اللغات السامية التى أتت اليها من الشرق والجنوب ولغات
شرق افريقية ثم لغات البربر فى الغرب ... ذكر هذا الأستاذ الدكتور
أحمد بدوى عضو مجمع اللغة العربية (٢) فى بحث له بعنوان (اللغة
المصرية القديمة وصلتها باللغات السامية) ومما قاله : ان التفكير فى بحث
الصلات بين اللغة المصرية واللغات السامية بدأ منذ أواسط القرن التاسع
عشر أى بعد أن بعثت هذه اللغة من مرقدها أثر الكشف عن حجر رشيد
بوقت قصير وتحمس العلماء لذلك حتى بدا لبعضهم ان نصيب الأصل
السامى فى بناء اللغة المصرية لا يقل ١٠ ٪ بحال - وأشار الأستاذ
أحمد بدوى الى صعوبة البحث فى اللهجات المصرية القديمة التى تكلم
بها المصريون فى زمان الفراغة لأننا لانكاد نستطيع فى لغتهم المكتوبة
بالحروف الساكنة الحالية من الحركات .

أما القبطية وهى لغة المصريين التى كتبت باليونانية حيث دخلت
الحركات فى بناء الألفاظ فقد أمكن التعرف على بعض لهجاتها ... ونقل
فيما يلي ألفاظا تتضح فيها القرابة بين اللغة المصرية واللغة العربية :

٣ - اب (٣) :

جزء من النبات ، هو طرفه - ويقابلها فى اللغات السامية الاب

(١) الولاة والقضاة للكندى ص ٧ ط بيروت سنة ١٩٠٨ .

(٢) 'لقى البحث فى مؤتمر مجمع اللغة العربية ونشر فى مجلد بحوث سنة
١٩٦٠ .

(٣) الأرقام التى تسبق الكلمات هى أرقام المواد كما ذكرها صاحب البحث
وقد اخترنا ماله قرابة مع العربية وحدها ، واضفنا لها بعض الشروح .

أى الزهر أو ماليس ثمرًا - وفى اللسان الاب : الكلا وعبر
بعضهم عنه بأنه المرعى ، وقال الزجاج : الاب : جميع الكلا
الذى تعتلفه الماشية ويقول ثعلب : الاب : كل ما اخرجت
الأرض من النبات •

١١ - ان :

بمعنى ان العربية التى تسبق المبتدأ •

١٦ - اجرة :

حفائر الموتى ، ويقابلها فى العربية (وجرة) والوجرة حفرة
تجعل للوحش ، والوجر ما كان كالكهف فى الجبل •

١٩ - عين :

كسبيلتها فى العربية •

٢١ - عبا :

أى النور والضوء ، وهى نفس الكلمة فى العربية ، وعب
الشمس فى العربية ضوءها - جاء فى اللسان : (وعب الشمس
ضوءها بالتخفيف ، ومنهم من يقول : عب الشمس فيشدد الياء ،
وعب الشمس ضوء الصبح •

٢٦ - عقى :

فعل ثلاثى معتل الآخر بمعنى رفع وارتفع أى يجيء لازما
ومتعديا ، ويقابله فى العربية (عقى) بقلب الحاء المصرية فاذا سامية
كما نفعل اليوم فى صعيد مصر فنقول : الوخت للوقت ، وعقى
الرجل بسهمه اذا رمى به فى الهواء فارتفع ، وعقى الطائر اذا
ارتفع فى طيرانه •

٢٧ - عنن :

بمعنى أنشد ، يقابلها فى العربية غنى بقلب العين المصرية غينا فى
العربية .

٣٠ - بتك :

بمعنى صرع وذبح فى المصرية ، وفى العربية بتك بمعنى قطع .
٣٢ - برق :

فعل دخيل من اللغات السامية وهو فى العربية بنفس المبنى
والمعنى .

٣٦ - برج :

أضاء ولمع - يقابلها برق ، وبرج ، وبلج فى العربية
الى غير ذلك من الكلمات التى وردت فى البحث الذى أشرنا اليه ،
وهذه المشابهة لم تتفرد بها العربية وحدها ، وإنما جاءت بعض الكلمات
كمثيلاتها فى العربية والسريانية والاكادية ، والكلمات التى وردت فى
البحث كلمات عديدة بحيث نستبعد معها عنصر المصادفة لاسيما وان كثيرا
من العلماء يرون فى الشعب المصرى القديم شعبا ساميا بل يرونه شعبا عربيا
على التغليب ولقد علق الأمير مصطفى الشهابى على هذا البحث بقوله
(عندى عشرة قرارات لعشرة من أكابر العلماء فى أوروبا وأمريكا وكلهم
يقولون ان ما يسمى السامية ليس سوى لغة كانت موجودة فى جزيرة
العرب لا تعرف بالضبط الآن ما هى على وجه التحديد ولكننا نعرف انه
اشتق منها جميع اللغات التى تسمى اليوم اللغات السامية ، ويقولون ان
البربر ، وقدماء المصريين والكلدانين وغيرهم ليسوا جميعا سوى عرب
أقدمين أطلق عليهم اسم الساميين وهم فى الحقيقة أتوا جميعا وانتشروا
فى موجات قديمة موهلة فى القدم فى البلاد العربية ، ولهذا اذا نظر

اليهم من جهة العرق أو العنصر فعرقهم سامى وهو فى الحقيقة عرق عربى
قديم (١) •

ليس ببعيد أن تكون هذه القرابة واحدا من الأسباب التى ساعدت
على انتشار العربية حين جاءت غازية مع الفتح العربى ، وبعض هذه الأسباب
تكمن فى هذا الصراع الذى كان يجاذب اللسان المصرى قبيل هذا الفتح •
كانت اللغة فى مصر قبيل الفتح تتنازعها القبطية واليونانية واللاتينية -
فأما القبطية فكانت تتوزعها اللهجات المختلفة التى أمكن التعرف على
خمس منها :

اللهجات البحرية : التى تكلم بها أهل الشمال ، وكانت اللغة الرسمية فى
العصر المسيحى لوجود الكنيسة فى الشمال ، وما زالت هذه
اللهجة من لهجات الصلاة فى الكنيسة المصرية حتى اليوم •

اللهجات الصعيدية : وكانت لهجة معظم أقاليم الصعيد وقد ظلت حية بين
سكان قوص ، ونقادة حتى أوائل القرن الثامن عشر المسيحى •

اللهجة الاخميمية : وقد سميت كذلك لوجود أكثر مخلفاتها فى اخميم
ولا تعرف على وجه التحديد الاقاليم التى تكلمت بها •

اللهجة الفيومية : استمرت هذه اللهجة حتى القرن الخامس عشر الميلادى ،
ومن خصائصها ابدال الراء فى ألفاظها باللام •

لهجة منف : وكانت لهجة الاقاليم الوسطى ولم تعمر طويلا بعد ان طغت
عليها لهجة البحيرة من الشمال ، ولهجة الصعيد من الجنوب (٢) •

(١) اشار الاستاذ محمد فريد ابو حديد الى حديث للاستاذ احمد باءا كمال
كان يحاول فيه اثبات عروبة المصريين - انظر ص ٢٨٩ من مجلد بحوث ومحاضرات
مؤتمر مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ •
(٢) من مقال الدكتور احمد بدوى فى مؤتمر المجمع اللغوى انظر ٢٦٨ - ٢٦٩
مجلد المؤتمر لسنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ •

وكان للكنيسة فضل كبير على بقاء اللغة القبطية فقد ترجم العهد الجديد كما ترجمت جميع الطقوس الدينية اليها وكان في كل كنيسة كتاب باللغة القبطية في حياة الابرار يقرؤه القسيس كل صباح (١) وكان الرهبان والزهاد في صوامعهم في الصحارى والجبال بعيدين عن العاصمة وما فيها من حياة العلم يكتبون باللغة القبطية رسائل في خلافاتهم وتراجع لحياة بطرقتهم ولكنهم لم يكتبوا من حوادث التاريخ الا قليلا (٢) وظلت اللغة القبطية محصورة في هذا النطاق الدينى وعبر الدكتور بتلر عن ذلك بقوله (لا تستطيع اللغة القبطية أن تفخر بشعراء مجيدين أو مؤرخين ممتازين أو فلاسفة أو أحد من رجال العلم الفحول فكل الآداب القبطية دينية لقله ما كان لدى الأقباط من علم وفصاحة مما سبب اهمال لغتهم وعدم انتشارها (٣)) •

أما لغة العلم والفلسفة والتاريخ فكانت اليونانية التي ازدهرت في مصر وخاصة في الاسكندرية منذ عهد البطلمة ، وكان من أثر اضطهاد الرومان المسيحيين لعلماء الاسكندرية على أنهم وثنيون ان هؤلاء الوثنيين هالهم سرعة انتشار المسيحية فوجهوا عنايتهم الى الكتب والمؤلفات يكتبونها باليونانية كرد فعل لهذا الاضطهاد وانتشار المسيحية ، وتقول السيدة ا • ل • بتشر الانكليزية في كتابها (تاريخ الأمة القبطية وكنيستها) :

(ولقد هال المدرسة الوثنية ما رأته من سرعة انتشار الديانة المسيحية في ذلك العهد فدبت الغيرة في عروقها وجدد ذلك روح النشاط عندها فكانت خزائن مكتبة الاسكندرية في ذلك الوقت تحتوى على نسخ من جميع مؤلفات اليونانيين والمصريين ومع ذلك كان السعى على قدم وساق في تكثير

(١) أدب مصر الاسلامية ص ٨ للدكتور محمد كامل حسين •

(٢) فتح العرب لمصر ٨٥ بتلر تمريب محمد فريد ابو حديد ط دار الكتب سنة ١٩٣٣ •

(٣) أدب مصر الاسلامية ص ٦ •

مجلداتها وزيادة التأليف الجديدة فيها فخصص قسم من النسخ للكتابة ما يمليه عليهم المؤلفون ، واشتغل قسم آخر بنسخ ما أمكن العثور عليه من كتب المؤلفين والفلاسفة الوثنيين الذين درجوا (١) •

ولقد استطاعت اللغة اليونانية ان تحيا بجانب اللغة المصرية وان تكون لغة العلم والمتعلمين وان يظهر أثرها جليا في اللغة المصرية ممثلا في هذه الألفاظ الكثيرة التى نقلت إليها من اليونانية •^٢

أما اللاتينية - وهى لغة الحكام الرومانيين فلم يتيسر لها ان تعيش بين اللغة القبطية واليونانية ، وقد اضطر بعض هؤلاء الحكام أن يذيعوا نشراتهم الادارية باللغة اليونانية وأن يصطنع بعضهم كتابا يحذقون القبطية (٢) • كان هذا شأن اللغة فى مصر قبيل الفتح العربى - لغة مصرية تكاد تنحصر فى المحيط الدينى وان تناولت التاريخ والسير فتاريخ رجال الكنيسة وسيرهم - ولغة يونانية ملكت زمام العلم وشد من أزرها مدرسة الاسكندرية فجرت على ألسنة العلماء والمتعلمين وكتبت بها مؤلفاتهم - ولغة لاتينية يؤازرها الحكم الرومانى عاشت بعض الوقت فى محيط الادارة الضيق ثم فقدت مكانتها ولم تستطع أن تعيش بين اللغة القبطية واللغة اليونانية •

وجاء الفتح العربى - وجاءت العربية لتغزو هذه اللغات وتحتل امكنتها وتصبح لغة الادارة ولغة الدين ولغة الشعب ، ولم يكد يأتى القرن الرابع الهجرى حتى كانت القبطية واليونانية فى مصر فى عالم النسيان ، فلقد كتب الأسقف القبطى للاشمونين وهو ساويرس بن المقفع وكان يعيش فى القرن العاشر الميلادى كتابا فى تاريخ حياة البطارقة يقول فى مقدمته انه كان يلجأ الى بعض القبط ليرجموا له الوثائق القبطية واليونانية الى

(١) تاريخ الامة القبطية وكنيستها ٥٨ - ٥٩ للسيدة آ ل بشر ط مصر

سنة ١٩٠٠ •

(٢) أدب عصر الاسلامية ٤ •

العربية اذ ان اللغتين المذكورتين كانتا حتى عند ذلك غير معروفتين لأكثر
المسيحيين (١) وعلق على ذلك الدكتور بتلر فى كتاب فتح العرب لمصر
بقوله :

(وهذا عظيم الدلالة اذ يظهر الحال من الاضمحلال التى هوت اليها
لغة القبط ولغة الرومان كما انه يظهر جهل ساويرس بهاتين اللغتين ، والحق
ان ذلك الدليل على جهل اللغة القبطية عجيب مدهش حتى ليلوح لنا انه
لايكاد يصدق) (١) •

ولكن العربية التى غلبت على اللغات التى كانت فى مصر قيل
الفتح العربى كان يؤازرها عوامل كثيرة منها انتصار العرب وانتشارهم
فى الريف المصرى وتغلغلهم فيه ، ودخول كثير من المصريين فى دين الله
ورغبتهم فى التعرف على لغته يقيمون بها صلاتهم ويفهمون بها تعاليم
الدولة الجديدة •

وفى الصفحات القادمة نحاول تجلية هذه الظروف والملابسات ونرى
الى أى حد عاشت العربية فى حاضرها هذا شديدة الصلة بماضيها عن
طرق الدراسة والرواية •

(١) فتح العرب لمصر • بتلر • ٢٩ - ٢٠ •

نشأة الرواية وتطورها

منازل العرب في مصر :

قد لا نكون بحاجة الى التعرف على تفاصيل الغزو بقدر حاجتنا الى معرفة القبائل الغازية ومدى انتشارها في البلاد ، وأثر هذا الانتشار على اللسان العربى •

تقدم عمرو بن العاص لفتح مصر وصحبه عدد من القبائل والبطون والأفراد ، وناس من الصحابة والتابعين فأقامت هذه القبائل فى القسطنطينية واختطوا الخطط وبنوا الدور والمساجد (١) وسكنت بعضها الجيزة وكانت لهم بها خطط كما فى القسطنطينية فبنى عمرو حصن الجيزة فى الجانب الغربى من النيل وجعله مسلحة للمسلمين (٢) وفى أقصى الصعيد نزل عشرون ألفا فى صحبة عبد الله بن سعد بن أبى سرح (٣) وبلغت حامية الاسكندرية فى سنة ٤٣ اثنى عشر ألفا وكتب قائدها الى والى مصر يشكو قلة العدد وزاد

(١) انظر فى هذه الخطط الجزء الرابع من كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقمان ط مصر سنة ١٣٠٩ وصبح الاعشى ٣ : ٣٣١ ط دار الكتب .

(٢) البلدان لليقوبى ١١٨ ط اوربا وفتوح مصر لابن عبد الحكم ١٢ .

(٣) خطط المقرئى ١ : ٣٢٣ .

عددها فى خلافة معاوية فكان فيها سبعة وعشرون ألفا (١) وهكذا لم ينته ورود العرب بانتهاء الغزو بل كانت الحاجة اليهم فى تأمين الفتح واستقراره لا تقل عن مهمتهم الأولى •

كان أغلب هذه الجماعات من القحطانيين ، أما الجماعات القيسية فقد كانوا أول الأمر من القلة بحيث لم يتوفر لكل منهم من العدد ما يجعلهم وحدة بذاتهم فاسكنوا مع فئات أخرى فى خطة سميت (أهل الراية) (٢) ولاحظ ذلك عبد العزيز بن مروان فقال لوالده حين جعل اليه صلاتها وخراجها : يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى ؟ فقال له مروان : يا بنى • عمهم باحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك (٣) فلما تولى الخراج عبيد الله بن الحبحاب السلولى وهو قيسى كتب الى هشام ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم ، وانى قدمت مصر فلم ار لهم حظا الا أبياتا من فهم وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهى (بليس) فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس ... فوفد اليها مائة أهل بيت من هوازن بن منصور من قيس عيلان ، ومائة أهل بيت من سليم ... الى غير ذلك - فلما تولى الحوثره بن سهل الباهلى مصر انتالت اليه قيس (٤) •

ومنذ جاءت هذه القبائل لم يقف نشاطها عند حد الحرب ، بل كانوا يحاربون أحيانا وينصرفون الى معاشهم أحيانا أخرى وان كانوا مقيدى فى هذا بتعاليم الوالى ونصحه • كان عمرو يقول للناس اذا قفلوا من غزوهم

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ١ : ٨٠ ط الموسوعات •

(٢) صبح الاعشى ٣ : ٣٣١ وخطط المقرئى ٢ : ٧٦ •

(٣) الولاة والقضاة للكندى ٤٧ ط بيروت سنة ١٩٠٨ •

(٤) البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب ٦٧ - ٦٨ ط مصر سنة

(انه قد حضر الربيع فمن أحب منكم ان يخرج بفرسه يربعه فليفعل ولا اعلمن ما جاء أحد قد اسمن نفسه وأهزل فرسه ، فإذا حمض اللبن وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا الى قيروانكم) (١) ومن وصية عمرو بن العاص وتوجيهاته لجنوده بالسعى قوله (يامعشر الناس انه قد تدلت الجوزاء ، وذكت الشعرى ، وأقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقل الندى وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر فحى لكم على بركة الله الى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده وأربعوا خيلكم واسمنوها وصونوها وأكرموها فانها جنتكم من عدوكم وفيها مغانمكم وأثقالكم - واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا ، واياى والمشمومات والمسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم (٢) .

ولا يذهب بنا الظن ان انتشار العرب كان محصورا حول الفسطاط بل شمل البلاد من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب (وكانت القرى التى يأخذ فيها عظمهم منوف ، ودسبنس ، واهناس ، وطلخا وكان أهل الراية متفرقين فكان آل عمرو بن العاص ، وآل عبد الله بن سعد يأخذون فى منف ، ووسيم وكانت هذيل تأخذ فى بنا وبوصير وكانت عدوان تأخذ فى بوصير) (٣) وكانت بلى تنزل فى منف وطرايه وتنزل فهم فى أثريب ، وعين شمس ، ومنوف - ومهرة فى تناء ، وتمى والصدف فى الفيوم - وتحيب فى تميم ، وبسطة ، ووسيم - ولخم فى الفيوم ، وطرايه ، وقربيط - وجذام فى طرايه وقربيط . . . (٤) .

وكان لهذا الانتشار أثره فى ثورة الأقباط بادية الأمر الى أن جاء

(١) خطط المقرئى ٤ : ٢٧ وفتوح مصر واخبارها ١٣٩ .

(٢) فتوح مصر واخبارها ١٤٠ .

(٣) فتوح مصر واخبارها ١٤١ .

(٤) المصدر السابق ١٤٢ .

المأمون فأسرف فى تأديبهم حتى أخضعهم له وغلب العرب على أماكن المصريين فى القرى وحولوا بعض الكنائس الى مساجد فاضطر المصريون الى أن يتعلموا لغة الفاتحين والى ان يعتنق أكثرهم دين الاسلام (١) وزاد هذا المزج أن المعتصم أمر بأسقاط العرب من الديوان فكان عليهم أن يزرعوا ويتاجروا وان يكونوا كالمصريين سواء بسواء •

النشاط اللغوى فى مجالس العلم

كانت الرواية حميلة على غيرها من العلوم الاسلامية وتجربى على ألسنة الأشياخ فى مسجد الفسطاط ، وكان جامع عمرو منذ انشئ سنة ٢١هـ على شاكلة المسجد الجامع بالبصرة تعقد فيه مجالس القضاء ومجالس الفقه والأدب وتعمر فيه حلقات عصر أيام الجمع فيخص بالفقهاء والأدباء والقراء والنظارة وتجربى فيها البحوث الأدبية والدينية •

كانت رواية اللغة تأخذ مكانا فى هذه المجالس ، لا على أنها علم قائم بذاته وضعت له الأصول والمناهج ، ولكنها تبرز حين تدعو الحاجة الى بيان وجوه التفسير فى القرآن والحديث أو الى حسم خلاف فقهى فيعودون فى ذلك الى اللغة - وقد يستريح العلماء من مجالس الفقه والحديث الى الأدب واللغة وقد يحن اليها العربى لأنها شئ أصيل فى دمه لا تكاد تستثيره المناسبة حتى يأخذ بأطراف المناشدة والمحاوراة والمذاكرة - واذا كنا رأينا صورا كهذه فى البصرة يوم أن كانت الرواية اللغوية فى مثل عمر الرواية هنا فى مصر ورأينا شعبة بن الحجاج يستريح من املاء الحديث الى مذاكرة أبى زيد فلدينا الليث بن سعد فقيه أهل مصر يوصف بأنه عربى اللسان يحسن القراءة والنحو ، ومن العلماء الذين نزلوا مصر وزاولوا نشاطهم بها محمد بن ادريس الشافعى وكان علمه باللغة لا يقل عن علمه بالفقه

(١) أدب مصر الاسلامية ٢٦ •

وان اشتهر بالوجه الأخير ، ولقد نشأ فى أول أمره محبا للغة طالبا لفصيحتها وهو يحكى ذلك فيقول :

(خرجت عن مكة فلزمت هذيل في البادية أتعلم كلامها وأخذ طبعها وكانت أفصح العرب فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلما رجعت الى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب فمر بي رجل من الزبيريين من بنى عمى فقال لى : يا أبا عبد الله عز على الا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه) (١) •

ويحكى الخطيب البغدادي عن الشافعي قوله (أقمت في بطون العرب عشرين سنة أخذ أشعارها ولغاتها وحفظت القرآن فما علمت أنه مر بي حرف الا وقد علمت المعنى فيه والمراد ما خلا حرفين) (٢) وكان أهل الحديث يضيقون بطلاب الشعر واللغة في مجلس الشافعي ، يقول مصعب الزبيري (كان أبى والشافعي يتناشدان الأشعار فاتى الشافعي على شعر هذيل حفظا وقال : لاتعلم بهذا أحدا من أهل الحديث فانهم لايحتملون هذا ، وقال : ما رأيت أحدا أعلم بهذا الشيء منى وقد كنت أحب أن أرى الخليل بن أحمد (٣)) ويعبر الحسن بن محمد الزعفراني عن ضيقه برجال اللغة في مجلس الشافعي بقوله (كان قوم من أهل العربية يختلفون الى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية فقلت لرجل من رؤسائهم انكم لاتعاطون العلم فلم تختلفون معنا ؟ قالوا : نسمع لغة الشافعي) (٤) •

هذه صور من حياة الشافعي ومن طريقة تكوينه جئنا بها وهي تعبر

(١) معجم الادباء ١٧ : ٢٨٥ •

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ٦٣ •

(٣) معجم الادباء ١٧ : ٣٠٠ •

(٤) معجم الادباء ١٧ : ٢٩٩ •

عن ماضيه خارج مصر لنرسي عليها أخباره اللغوية في سحر ولو ان حياة الشافعي في مصر لا تتجاوز خمس سنوات اذ وفد اليها في سنة تسع وتسعين ومائة ومات سنة أربع ومائتين الا أن مجالسه فيها لم تخل من علم غزير في الأدب واللغة ، ذكر ذلك تلميذه في مصر يونس بن عبد الأعلى بن موسى ابن مسرة فقال : (كان الشافعي اذا أخذ في العربية قلت هو بهذا أعلم ، واذا تكلم في الشعر وانشاده قلت هو بهذا أعلم ، واذا تكلم في الفقه قلت هو بهذا أعلم) وقال محمود المصري : سمعت ابن هشام وما رأيت بعيني ممن فهمت عنه مثل ابن هشام ، ورأيت الشافعي وأنا صغير وسمعت ابن هشام يقول : جالست الشافعي زمانا فما سمعته تكلم بكلمة الا اعتبرها المعبر لا يجد كلمة في العربية أحسن منها ، وقال سمعت ابن هشام يقول : الشافعي كلامه لغة يحتاج بها •

وحدث الربيع بن سليمان قال : كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقة اذا صلى الصبح فيحييه أهل القرآن فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه ، فاذا ارتفعت الشمس استوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فاذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون الى قرب انتصاف النهار (١) •

لم يشتهر أمر الشافعي باللغة وروايتها كما اشتهر بالفقه ولو ان الرواية بدأت في مصر على النحو الذي بدأت به في البصرة استجابة لطلب أهلها لظهرت الرواية في مجلس الشافعي وعنده من عدتها ما يمكنه من الرياسة فيها يدلك على ذلك قوله (ما رأيت أحدا أعلم بهذا الشأن مني ، وقد كنت أحب أن أرى الحليل بن أحمد) (٢) وكان يتمتع بنفسه المتطلعة الى الكلام في اللغة وآدابها بتلمس العالمين بها ومناقشتهم - كان يبحث في

(١) معجم الادباء ١٧ : ٣٠٤ •

(٢) معجم الادباء ١٧ : ٣٠٠ •

مصر عن يمالاً مجلسه لغة وشعرا ، ويروى انه كان بمصر رجل يسمى سرج الغول عالم باللغة يعرف بلقبه قال فيه الربع بن سليمان صاحب الشافعى (... كان لايقول أحد شيئا من الشعر الا عرضه عليه - كان الشافعى يقول : يا ربع • ادع لنا سرجا فيأتى به فيذاكره وينظره ثم يقوم سرج الغول فيقول يا ربع : نحتاج أن نستأنف طلب العلم) (١) ولما نزل عبد الملك بن هشام صاحب السيرة مصر وهو ذو علم باللغة والنحو والأخبار والانساب اجتمع به الشافعى وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة (٢) •

وكان من علماء الفقه الذين يجيدون اللغة ولها فى مجالسهم نصيب - أبو جعفر أحمد بن صالح المصرى ٢٤٨ هـ (٣) ورحل أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الى مصر مرتين الأولى فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وكان بمصر وقت دخوله اليها أبو الحسن على بن سراج المصرى وكان متأدبا فاضلا وكان من دخل الفسطاط من أهل العلم اذا ورد لقيه وتعرض له فوافى أبو جعفر الى مصر وبان فضله عند وروده اليها فى القرآن ، والفقه ، والحديث واللغة ، والنحو ، والشعر - فلقبه أبو الحسن ابن سراج فوجده فاضلا فى كل ما يذاكره به من العلم ويوجب فى كل ما يسأله عنه حتى سأله عن الشعر فرآه فاضلا بارعا فيه ، فسأله عن شعر الطرماح وكان من يقوم به مفقودا فى البلد فاذا هو يحفظه فسئل ان يمليه حفظا بغريبه - ففعل (٤) •

وفى سنة ست وخمسين ومائتين جاء الى مصر مرة أخرى ونزل على الربع بن سليمان فأكرم وفادته ، وانهال عليه علماؤها وطلابها يسألونه

(١) بغية الوعاة ٣٥٣ •

(٢) حسن المحاضرة ١ : ٢٥٤ •

(٣) حسن المحاضرة ١ : ١٣٧ •

(٤) معجم الادباء ١٨ : ٥٣ •

فى شتى المعارف الاسلاميه واللغويه - والطبرى يشير الى هذا فيما يحكيه
فيقول :

(لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم الا لقينى وامتحانى فى
العلم الذى يتحقق به فجاءني يوما رجل فسألني عن شيء من العروض ولم
أكن نشطت له قبل ذلك فقلت له : على قول الا اتكلم اليوم فى شيء من
العروض فاذا كان فيه غد فص الى وطلبت من صديق لى العروض للخليل
ابن أحمد فجاء به فنظرت ليلتي فأمسيت غير عروضا وأصبحت
عروضا) (١) •

وكان أبو جعفر الطحاوى امام الحنفية ينقد الحديث نقد معنى كما
ألف كتابا فى معانى القرآن (٢) وكان محمد بن أحمد بن جعفر الكناني
المعروف بأبى بكر بن الحداد عالما بالقرآن والحديث والأسماء والكنى والنحو
واللغة وسير الجاهلية والشعر والنسب (٣) وكان لابن الحداد ليلة فى كل
جمعة يتكلم فيها عنده فى مسائل الفقه على طريق النحو فكان ابن النحاس
وهو من أبرز علماء اللغة فى عصره يحرص على حضور مجلسه تلك
الليلة (٤) •

هذه الاشارات واللمحات أتينا بها لنصور مجالس العلم وقد عقدت
لمدارسة الحديث ، والفقه فيكتنفها الشعر والعروض واللغة وتفسير الغريب
الى غير ذلك ، وقد يخيل اليك ان هذه خطوة أولى تسبق رواية اللغة عندما
تستقل وتخصص ، ولكن الحقيقة ان مجالس العلم والمجالس الدينية
بخاصة لم تستغن يوما عن الدراسة اللغوية - وفى الصفحات القادمة نتكلم
عن نشأة الرواية وآثار اللغويين •

(١) معجم الادباء ١٨ : ٥٦ •

(٢) ظهر الاسلام ١ : ١٦٢ •

(٣) الولاة والقضاة ٥٥٢ ، تهذيب الاسماء واللغات للتنوي ٦٧٠ ط. اوزبا.

(٤) انباء الرواة ١ : ١٠٢ •

علماء مصر

كنت أتصور أن مجلس الشافعى وقد عنى فى جانب منه بالعربية قد أنجب تلامذة فى مصر يحملون علم الشافعى فى اللغة ولكن يبدو أن شهرته فى الفقه قد غطت أوجه النشاط الأخرى فلم أعثر الا على رجل ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة (١) هو أبو زيد عبد الحميد بن الوليد ابن المغيرة المصرى المعروف بكبد ٢٢١ هـ ولو لم ينص السيوطى فى سياق تعريفه بالرجل بأنه نحوى لغلبت الظن بأنه فقيه ، وعلى كل حال لم أجد من أخبار عبد الحميد بن الوليد ما يشجع تطلعى الى آثار الشافعى فى العربية •

من أوائل رجال مصر الوليد بن محمد التميمى المصرى ، يقال ان أصله من البصرة ، ونشأ بمصر ثم رحل الى العراق فى طلب العلم فأدركه الخليل بن أحمد وأخذ عنه وأكثر ، ثم عاد الى مصر فتصدر بها (٢) توفى فى رجب سنة ثلاث وستين ومائتين (٣) •

وجاء من بعده ابنه محمد بن الوليد فأخذ بمصر عن أبى على الدينورى ومحمد بن حسان وغيرهما ثم دخل العراق فأقام بها ثمانية أعوام ولقى المبرد وثعلباً فقرأ على المبرد كتاب سيبويه بعد أن احتال على ذلك بقصة رواها القفطى ، ولما عاد ابن ولاد الى مصر وتصدر لاقراء العلم أوصى أن يدفن معه كتاب سيبويه ولكنه آل الى ابنه أبى العباس (٤) الذى سنفرد له

(١) حسن المحاضرة ١ : ١٨٥ •

(٢) انباء الرواة ٣ : ٣٥٤ وطبقات الزبيدى ٢٣٣ •

(٣) بغية الوعاة ٤٠٥ •

(٤) انباء الرواة ٣ : ٢٢٤ •

حديثاً خاصاً وتوفى أبو الحسن محمد بن الوليد سنة ثمان وتسعين ومائتين بمصر وكان قد بلغ الخمسين .

ومن قدامى الرواة محمود بن حسان النحوى وصفه القفطى بأنه قديم العهد فى طريقة أصحاب الخليل وتوفى سنة اثنتين وسبعين ومائتين (١) .
ونشأ بمصر على بن الحسن الهنائى المعروف بكراع النمل ، خلط المذهبين فأخذ عن البصريين والكوفيين وبينما يصفه صاحب الفهرست بأنه كوفى المذهب يقول القفطى انه كان الى مذهب البصريين أميل ، وذكر أنه جلس الى أبى يوسف الأصفهاني ، وأخذ عن أبى عبيد القاسم بن سلام وصحاح ابن مكتوم هذا الخبر فقال انما جلس الى يعقوب بن اسحق فروى عن على بن عبد العزيز عن أبى عبيد - كتب المنصد فى سنة سبع وثلاثمائة وهو معجم أورد فيه لغة كثيرة مستعملة وحوشية ، ورتبه على الحروف الهجائية وفرغ منه سنة تسع وثلاثمائة - ثم عاد فاختصره وحذف منه الشواهد وسماه (المجرد) ، وله كتاب (المنجد) فيما اتفق لفظه واختلف معناه (وأمثلة الغريب) أورد فيه غريب اللغة على أوزان الأفعال - ذكره ابن النديم باسم (مجرد الغريب) وقال انه على مثال (العين) وعلى غير ترتيبه وأوله : (هذا كتاب أولفه فى غريب كلام العرب ولغاتها على عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين التى هى (ا . ب . ت . ث) ثم على تلاوة الحروف . وله كتاب (المصحف) وكتاب (المنظم) (٢) .

وأقام بمصر بعد الثلاثمائة من الهجرة أحمد بن محمد أبو العباس المهلبى وكان نحويًا ترك كتابين هما (المختصر فى النحو) و (شرح علل النحو) (٣) .

(١) انباه الرواة ٣ : ٢٦٤ وبغية الوعاة ٣٨٧ .

(٢) الفهرست ١٢٤ ط الرحمانية ومعجم الادباء ١٣ : ١٣ وانباه الرواة ٣ : ٢٤٠ .

(٣) الفهرست ١٢٥ ومعجم الادباء ٤ : ١٨٩ وانباه الرواة ١ : ١٢٩ وبغية الوعاة ١٧٠ .

وأخذ عن الزجاج رجل يقال له محمد بن اسحق بن أسباط
وله كتاب فى النحو سمى (كتاب العيون والنكت) ذهب فيه الى حد الاسم
والفعل والحرف وتلا ذلك بذكر شئ من أبواب الياء والواو (١) .

وذكر الزبيدى رجلا اسمه علان - هو على بن الحسن قال : كان
علان من ذوى النظر فى المعانى وكان قليل الحفظ لأصول النحو فاذا حفظ
الأصل تكلم عليه بكلام حسن وجود فى التعليل ودقق القول ماشاء - توفى
بمصر فى شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (١) .

ثم حمل لواء العلم باللغة وروايتها عالمان من رجال مصر هما :
أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد بن محمد التميمى (من بيت ولاد)
وأبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس - رحلا الى العراق وجلسا
الى كبار علماء اللغة فى هذا العصر كالبرد والأخفش ونفطويه والزجاج
كما سمع ابن ولاد ديوان رؤبة عن أبيه عن جده وروى كتاب العين (٢)
ولأبى العباس كتاب الانتصار لسيبويه ، وكتاب المقصور والمدود كما أملى
كتابا فى معانى القرآن ولم يخرج منه الا بعض سورة البقرة (٣) .

وكان أبو أسحق الزجاج يفضل أبا العباس بن ولاد ويقدمه على
أبى جعفر النحاس ويقول لمن قدم عليه من المصريين (لى عندكم تلميذ من
حاله وشأنه ...) فيقال له أبو جعفر النحاس فيقول : لا هو أبو العباس
ابن ولاد (٤) ولما مات ابن ولاد كان الناس يقرأون الكتاب على أخيه
عبد الله وكان دون أخيه فى العلم (٥) .

(١-١) طبقات الزبيدى ٢٤١ .

(٢) انباه الرواة ٣ : ٣٥٤ فى ترجمة منذر بن سعيد .

(٣) انباه الرواة ١ : ٩٩ .

(٤) طبقات الزبيدى ٢٣٨ .

(٥) المصدر السابق ٣٣٩ .

أما ابن النحاس فقد كثرت تآليفه ومصنفاته ذكر منها ياقوت كتاب الأنوار وكتاب الاشتقاق لأسماء الله عز وجل ، ومعاني القرآن وعمل كتابا في اختلاف الكوفيين والبصريين سماه (المقنع) ، وكتاب أخبار الشعراء ، وأدب الكاتب ، والناسخ والمنسوخ ، والكافي في النحو ، وصناعة الكتاب ، وأعراب القرآن وشرح السبع الطوال ، وشرح أبيات كتاب سيويه ، ومعاني الشعر ، والاشتقاق ، وكتاب التفاحة في النحو وأدب الملوك - وقيل ان مصنفاته زادت عن ذلك فبلغت الخمسين (١) رواها عنه تلميذه أبو بكر محمد بن علي الادفوى ٣٨٨ هـ (٢) •

وكان من شهرة هذين الرجلين ابن ولاد وابن النحاس أن طلاب الأندلس ربما وجدوا في الجلوس اليهما كفاية عن الذهاب الى بغداد فقد حضر المنذر بن سعيد البلوطي قاضي قضاة الأندلس ليتسخر كتاب العين من نسخة أبي جعفر النحاس فلما ساء ما بينهما بسبب محاوراة علمية ذكرها ياقوت - ذهب المنذر الى ولاد فانسخر كتاب العين من نسخته (٣) •

وكما كان الخلفاء والأمراء في العراق يجمعون بين الأنداد من العلماء ويثيرون أسباب المنافسة بينهم - جمع بعض ملوك مصر بين أبي العباس بن ولاد وبين أبي جعفر النحاس وأمرهما بالمناظرة على النحو الذي يشير اليه الزبيدي في ترجمة ابن ولاد (٣) •

كتاب المقصور والممدود لابن ولاد :

قدم ابن ولاد لكتابه بمنهج يقول فيه : (هذا كتاب نذكر فيه المقصور

(١) معجم الأدباء ٤ : ٢٢٨ •

(٢) انباه الرواة ٣ : ١٨٦ •

(٣-٣) طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م •

والممدود ما كان منه مقيسا وغير مقيس مؤلفا على حروف المعجم ليقرب وجود الحرف على طالبه ويسهل استخراجها من موضعه) •

ولما كانت طريقته هذه تختلف عن طريقة الحليل في ترتيب العين افترض من ينكر عليه ابتداء بالألف مع أنها حرف معتل ، فين اختلاف القصد عنده وعند الحليل ، فكتاب الحليل يحاول حصر الكلمات عن طريق ابنتها مرتبا بحسب مخارج الحروف ولذلك كان على الباحث فيه أن يلم بالتصريف ، والمعرفة بالزائد والأصل والمعتل والصحيح والوجه في كتاب المقصور والممدود غير هذا • ولذلك كانت بغيته أن يقرب على طالب الحرف ما يطلبه وان يستوى في العلم بموضعه العالم والمتعلم • فبدأ بالألف ورتب الكتاب على حروف المعجم •

وعرف الممدود بأنه كل اسم كانت في آخره همزة بعد ألف زائدة كقولك قراء ، وقراء ، ورداء • • • والمقصود كل اسم كانت في آخره ألف في اللفظ زائدة كانت أو غير زائدة كقولك ملهى ومرمى وبشرى وتقى ، وتقوى فأما المقصور الذي يسمى منقوصا فهو ما كانت ألفه التي في آخره مبدلة من ياء - أو - واو وانفتح ما قبلهما وكانت في موضع حركة فأبدل منها الف نحو ملهى - ألفه مبدلة من واو لأنه من اللهو ، ومرمى - ألفه مبدلة من الياء لأنه من الرمي ، والأصل فيها ملهو ومرمى - ووجه نقصانها ان الألف أبدلت مكان الياء والواو المتحركتين فلم يدخلها رفع ولا نصب ولا جر (١) •

وجعل ابن ولاد كتاب المقصور والممدود في قسمين - الأول - ما اعتمد فيه على السماع (لأن المسألة عنه أكثر والعناية به من السائل أشد) وقد أشار في مقدمة القسم الثاني أن ما دونه في القسم الأول هو

(١) المقصور والممدود ص ٢ •

ما انتهى الى سماعه من أفواه الثقات من أهل اللغة ، وترك من وراء هذا نوعين : اما شاذ لم ير للتكثير به وجهها - أو صحيح غير شاذ لم يحط به علما - أما القسم الثانى فقد جعله فيما يطرد قياسه فاستغنى فيه عن السماع •

وهو لم يعقد للمقصور بابا ، والممدود آخر - بل رتب أبواب الكتاب على حروف المعجم وذكر فى كل حرف ما فيه من مقصور وممدود فمن ذلك ما تراه فى باب الباء اذ يقول :

(البرى على وجهين فالبرى : التراب - مقصور يكتب بالياء ...
والبراء من قول الله تعالى (اننى براء مما تعبدون) ممدود (١) •

والكتاب وان حمل اسم (المقصور والممدود) فهو كتاب لغة تناول الكثير من خصائصها وروايتها وان اتخذ المقصور والممدود سببا للكلام •
فمن ذلك :

الفرائد التى جمعت أحيانا تحت اسم النوادر :

يقول : (يقال ما زال ذاك أجرياه ، واهجيره جميعا أى عادته ويقال ما زال ذلك هجيره أيضا) (٢) •

والبراء من قول الله تعالى (اننى براء مما تعبدون) ممدود - والواحد والاثتان والجمع والمذكر والمؤنث فيه سواء يقول الرجل : انا البراء منك ، والجماعة نحن البراء منك ، وكذلك النساء (٣) •

(١) المصدر ص ١٣ •

(٢) ص ١١ •

(٣) ص ١٣ •

ومن المشترك :

الانى : واحد انا الليل وهى ساعاته •

وانى الشيء : بلوغه وادراكه •• قال الله تعالى (الى طعام غير ناظرين اناه)
وانى الشيء : يأنى انى شديدا اذا انتهى الى نضج أو حرارة أو ما شاكل
ذلك • قال الله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) (١) •

والبرى : التراب قال الشاعر :

بفيك من سار الى القوم البرى •

والبرى : الخلق يقال : ما أدرى أى البرى هو أى الخلق هو (٢) •
والبهاء : من الجمال •

وكذلك ناقة بهاء وهى التى تستأنس الى الحالب •

والبهاء : تخرق البيت يقال منه بهى البيت بهاء شديدا اذا تخرق ومنه قولهم
المعزى تبهى ولا تبنى يقال ان المعزى تصعد فوق البيت فتخرقه وليس
يتخذ منها ابنية انما الأبنية من الوبر والصوف (٣) •

ومن الابدال

يقول فى باب الحاء (يقال للرجل ••• حفيصاً وحفيتاً كلاهما مهموز
غير ممدود) (٤) فهل جاء بهما للاشارة الى الابدال بين السين والتاء ؟
افترض هذا اذ ليس فيهما قصر ولا مد •

ومن الأضداد

قال (والرجاء من الأمل • ممدود - والرجاء : الخوف أيضا ممدود ،

(١) ص ٧ •

(٢) ص ١٣ •

(٣) ص ١٧ •

(٤) ص ٣١ •

ومنه قول الله عز وجل (ما لكم لا ترجون لله وقارا) أى لاتخافون •
قال الهذلى :

إذا تسعته الدبر لم يرج لسعها
وحالفها فى بيت نوب عواسل(١)

التعريف بأسماء الأماكن

وكانت عناية الرواة تتجه أحيانا الى التعريف بأسماء الأماكن فى شبه الجزيرة لتعين المتعلم على فهم ما يرد منها فى سياق الشعر واللغة وقد أوضحنا دور الأصمعى وأبى زياد الكلابى فى كتاب البلدان لياقوت فى كتابنا (رواية اللغة) ونجد هذا الاتجاه فى كتاب المقصور والممدود لابن ولاد فمن ذلك :

- يقول فى اجا وسلمى (واجا مقصور وهو أحد جبلى طيء وأصله الهمز يقولون : هذا اجا فاعلم - ويقال للآخر سلمى) (٢) •
- وذو بهدى : اسم موضع ، مقصور ، قال الشاعر :

عرفت بنى بهدى لاسماء منزلا
قدىما كسحق المربائى محولا (٣)

- والجواء - بكسر أوله ممدود اسم أرض قال عنترة :

يادار عبلة بالجواء تكلمى
وعمى صباحا دار عبلة واسلمى (٤)

ويقال هو جمع جو ، والجو : البطن من الأرض ، والجواء أيضا

(١) ص ٤٥ •

(٢) ص ١٠ •

(٣) ص ١٦ المربائى ضرب من ثياب الصوف ويقال انه من وبر الأرنب •

(٤) ص ٢٦ •

فى غير هذا المعنى خياطة حياء الناقة (١) •

ومن أسماء النبات :

- الحزاء - مفتوح الأول ممدود - نبت بالبادية ••• والحرباء

نبت (٢) •

ولابن ولاد استطرادات مفيدة لا تبعد بك طويلا عن مجال الرواية

فالى جانب التعريف بالأماكن والنباتات ، بعض غادات العرب وظروفها الاجتماعية التى لا يستطيع أن يتركها رجل أعد نفسه للتعريف بلغتهم فمن ذلك ما تجده فى مثل تعريفه بالارحاء اذ يقول :

والرحى ••• واحد ارحاء العرب • من مضر تميم بن مر ، وأسد ابن خزيمه ، ومن ربيعة بكر بن وائل ، وعبد القيس بن اقصى ، ومن التمر كلب بن وبرة • طيء بن ادد ، وانما سميت الارحاء لفضل قوتها على العرب وانها حمت دورا فدارت فى دورها كدور الرحى لاستغنائها بها على النجعة ولهى تتردد فيها وتدور شتاء وصيفا ، ولم يكن غيرها من العرب كذلك فلهذا سميت ارحاء (٣) •

وأخرج كتاب ابن ولاد الذى أسس بناءه على المقصور والممدود شاملا لكثيرا من خصائص العربية مروية عن رجال المصريين - البصرة والكوفة - ومزودة برأية أحيانا فى ترجيح رواية عن أختها (٤) - ومن ملاحظنا فى هذا الكتاب مجاوله صاحبه توثيق الرواية كما يتضح فى مثل قوله (ومن المقصور المكسور أوله الزمكى والزمجى - لغتان - أصل ذنب الطائر وقتل

(١) ص ٢٦

(٢) ص ٣١

(٣) ٤٦ - ٤٧ المقصور والممدود •

(٤) ص ٢٩

روى سيبويه هذا مقصورا وممدودا ، ولا أحفظه ممدودا الا عنه فأما غيره فلم يذكر فيه الا القصر (١) •

شرح المعلقات :

وكتب أبو جعفر النحاس شرحا على المعلقات قال فيه ان أول من جمعها حماد الراوية وانها كانت قبل مغمورة في الشعر العربي الجاهلي وقال في افتتاح شرحه للقصاصد السبع وكأنه يحدد منهاجه فيها (الذى جرى عليه أمر أكثر أهل اللغة الأكابر فى تفسير غريب الشعر اغفال لطيف مافيه من النحو ، فاختصرت غريب القصاصد السبع المشهورة ، وأتبع ذلك ما فيها من النحو ولم أكثر الشواهد ولا الانساب ليخف حفظ ذلك ان شاء الله) (٢) •

وأتى أبو جعفر فى شرحه هذا بفرائد لغوية كذلك التى رأيناها لابن خالويه فى كتاب (ليس فى كلام العرب) والذى عرفنا به عند حديثنا عن الرواية فى الشام ، ولقد استوقفتنى المشابهة فى التأليف حتى ظننت أن أحدهما قد تأثر بالآخر فكلاهما نزع الى ايراد الغريب النادر •
ومما جاء فى شرح المعلقات لابن النحاس ما يلى :

– ليس فى كلام العرب اسم على تفعال (بكسر التاء) الا أربعة أسماء ، وخامس مختلف فيه – يقال : تبيان ، ويقال لقلادة المرأة تقصار – وتعشار وتبراك موضعان – والخامس تمساح ، وتمسح أكثر وأفصح (٣) •
– فعل (بفتح الفاء وضم العين) فى كلام العرب قليل فى الأسماء قالوا : خذر ، وفطن ، وندس ، وقرىء (وعبد الطاغوت) بضم الباء ،

(١) ص ٥٢ •

(٢) الرسالة – العدد ٦٧ فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ مقال للاستاذ عبد المتعال

الصعيدى •

(٣) المزهر ٢ : ٩٢ •

وقرأ سليمان التيمي (قالت نملة) بضم الميم (١) .

- من الأشياء ما يسمى بالمذكر والمؤنث نحو خوان ، ومائدة ،
ومثله السنان ، والعالية ، والصواع ، والسقاية (٢) .

- الفرد (بفتح الراء) لغة فى الفرد (بتسكين الراء) وأنشد
للنابغة :

طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

وقال بعض أهل اللغة : لم يسمع بفرد الا فى هذا البيت (٣) .

ولابن النحاس فى شرح المعلقات آراء هى فى نظرى مجرد اجتهد
كان يقول مثلاً : انما سميت الخمر مدامة لدوامها فى الدن ، وقيل لأنه
يغلى عليها حتى تسكن لأنه يقال : دام : سكن وثبت (٤) .

وعرض ابن النحاس لقضايا التصحيف وما أثارته من مناقشات بين
قدامى الرواة كذلك التى كانت بين الأصمعى وأبى عمرو الشيبانى (٥)
وأخرى بين الشيبانى وأبى عبيدة (٦) .

أبو اسامة جنادة بن محمد بن الحسين الهروى

ومن معدودى الرواة فى مصر أبو أسامة الهروى ٣٩٩ هـ - وهو
رجل عظيم القدر عارف باللغة ، أخذ عن أبى منصور الأزهري . روى عن
أبى أحمد العسكري ثم قدم مصر فأقام بها حياته الى أن قتله الحاكم

(١) المزهري ٢ : ٩٣ .

(٢) المزهري ٢ : ٢٢٥ .

(٣) المزهري ١ : ٢٥٣ .

(٤) المزهري ١ : ٤٣٣ .

(٥) المزهري ٢ : ٣٥٩ .

(٦) المزهري ٢ : ٣٥٧ .

بأمر الله (١) ويروى أنه قرئ عليه كتاب الصحاح للجوهري فكان له رأى
 فى تصويب بعض كلماته وكان يدعم رأيه بدلائل اللغويين القدامى •
 ففى الصحاح : زبق شعره يزبقه زبقا يعنى تتفه - قال أبو زكريا التبريزى
 عن أبى سهل : هكذا رواه أبو عبيد فى الغريب المصنف عن أبى زيد
 بالباء - فأخبر أبو اسامة - أى جنادة هذا - عن أبى منصور الأزهرى
 بسنده عن ابن حمدويه قال : الصواب زنقه بالنون يزنقه - ومنه زنق
 ما تحت ابطه من الشعر اذا تتفه - قال - واما زبقه بالباء فمعناه حسسه
 والزابوقاء : الحبس • وخرج قول الأصمعى (زلق رأسه اذا حلقه)
 بقوله والنون تبدل من اللام فى مواضع كثيرة فكان زنقه بالنون بمنى
 زلقه باللام (٢) •

ولأبى اسامة كتب رواها عنه أبو سهل الهروى (٣) •

أبو الحسن على بن محمد الهروى

ووفد الى مصر من هراة أبو الحسن على بن محمد الهروى ، وهو
 عالم بالنحو ، جيد القياس تلمذ للأزهرى صاحب التهذيب ، ويقال انه
 أول من أدخل نسخة من كتاب الصحاح للجوهري فى مصر ، ووجد فيه
 خلا وتقصا فهذه وأصلحه - وله كتاب الذخائر فى النحو وعمل كتابا فى
 معانى العوامل سماه الأزهية رآه القفطى بخط ولده أبى سهل (٤) •

وسلك أبو سهل محمد بن على الهروى ٤٣٣ هـ مسلك أبيه وأخذ
 عن أبى عبيد الهروى صاحب الغريبين ، وعن أبى يعقوب النجرمى ،
 وأبى اسامة جنادة بن محمد المصرى • وعمل كتابا فى أسماء الأسد ،

(١) معجم الأدباء ٧ : ٢٠٩ •

(٢) المزه ١ : ١١١ •

(٣) بنية الوعاة ٢١٣ •

(٤) انباء الرواة ٢ : ٣١١ ، بنية الوعاة ٣٥٥ ، معجم الأدباء ١٤ : ٢٤٩ •

وآخر فى أسماء السيف كما شرح كتاب الفصيح ثعلب واختصره • وكان
لوالده نشاط حول صحاح الجوهري كان لأبى سهل تعليقات على هذا
الكتاب منها : قال الجوهري : (نكت المنح أنقته نقتا لغة فى نقوته اذا
استخرجته • كأنهم أبدلوا الواو تاء) •

قال أبو سهل : الذى أحفظه نقت العظم انقته نقتا اذا استخرجت
مخه وانتفته انتقانا بالشاء المعجمة ، ويقال أيضا نقيته أنقيه وانتقيته انتقاء
مثله (١) •

وقال الجوهري (تنجيج لحم الرجل كثر واسترخى)

قال أبو سهل : هذا تصحيف والصواب تبجيج بباءين ووافق رأى
أبى سهل رأى ابن السكيت وابن خالويه • يقول الأول : اذا كن الرجل
سمينا ثم اضطرب لحمه قيل : رجل بججاج وأنشد لنقادة الأسدي :

حتى نرى البجاجة الضياط
يمسح - لما حالف الاغباط
بالخرف من ساعده المخاطا

الاغباط : ملازمة الغبيط وهو الرجل •

وقل ابن خالويه : البججاج : الضخم وأنشد للراعى •

كأن منطقها ليشت معاقده

بواضح من ذرى الانقاء بججاج

منطقها : ازارها ، يقول كأن ازارها دير على كتيب ضخم من الرمل (٢) •
وقال الجوهري : رجل شرداخ القدم أى عظيمها عريضها •

(١) المزمع ٢ : ٣٩١ •

(٢) لسان العرب مادة ب. ج. ج. •

قال أبو سهل : هذا تصحيف وإنما هو شرداح (بحاء غير معجمة) وانقسم
الناس في هذه المادة فالتبريزي يقول الصحيح بالمعجمة كما قال
الجوهري ، وقالها ابن الاعرابي بالحاء كما قال أبو سهل وجمع
ابن منظور الروايتين •

وقال الجوهري : رجل قترد ، وقنارد ، ومقترد إذا كان كثير الغنم
والسخال •

قال أبو سهل : الذي أحفظه قترد . (بضم القاف وفتح الثاء المثلثة وكسر
الراء) •

الى غير ذلك من التعليقات التي نكتفى منها بهذا القدر ونحيل على
بعضها في كتاب المزهري (١) وقد أشار أبو سهل الى أنه قرأ بعض هذا على
جنادة كما وجد بعضه بخط الحامض •

الباب الرابع

الرواية في شمال إفريقيا والأندلس

الرواية في شمال إفريقيا

صلة العرب بشمال إفريقية :

ترجع صلة العرب بشمال إفريقية الى سنة ست - أو سبع وعشرين من الهجرة (١) حين نزلها جيش عبد الله بن أبي سرح القرشي العامري في خلافة عثمان بن عفان ، ثم توالى عليها الغزوات الى أن ولى أمرها عقبة بن نافع فاخترت القيروان سنة خمسين وأصبحت عاصمة البلاد الغربية من إفريقية .

وفى أخبار هذا الفتح استرعى انتباهنا أسماء بعض الصحابة والتابعين والعلماء ممن تعودنا سماع العلم واللغة في مجالسهم منهم عبد الله ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب (٢) وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ، وأبو عبد الله عثمان بن عوف المزني ، وأبو زمعة عبيد الله بن آدم البلوي وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن جعفر ، والحسن ، والحسين ، وابن الزبير وعديد غير هؤلاء

(١) وقيل هذا وصلها عمرو بن العاص بعد ان فرغ من فتح مصر .
الاستقصا ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) معالم الايمان في معرفة أهل القيروان لابن الدباغ ط تونس سنة ١٣٢٠ هـ .

ذكرهم صاحب الاستقصا (١) •

وكنا نأمل ان نرى فى مجالس هؤلاء العلماء - كما هى العادة - بعض ما يتصل ببحثنا من رواية اللغة حين يجلسون الى الناس يفقهونهم فى الدين ويبصرونهم بتعاليمه ، ولكننا لم نعر فيها وقع الينا من أخبار على شئ من هذا ، ولعل من الأسباب - ان أهل هذه البلاد من البربر لم يخلدوا الى الهدوء ولم يرضوا عن هذه الفتوح ، ويكاد يمضى القرن الأول وبعض الثانى والأرض يتنازعها العرب تارة ، والبربر تارة أخرى •• فبعد أن فتحها عقبة واختط القيروان عزله الى مصر مسلمة بن مخلد وولى مكانه أبا المهاجر الأنصارى ، وفى سنة ٦٣ عزل أبو المهاجر وأعيد عقبة فوطد الحكم برهة من الزمن وتقلب على التأثيرين من البربر ووصل هذه المرة الى ساحل المحيط. (٢) •

ولم يمض وقت طويل حتى تجمع البربر تحت قيادة رجل منهم اسمه كسيلة وكان قد اعتنق الاسلام فارتد عنه وانقض على جيش عقبة وزحف كسيلة على القيروان واستولى عليها بعد أن قتل عقبة فى سنة ثلاث وستين •

وفى عهد عبد الملك بن مروان ارسلت حملة عربية أخرى قادها زهير بن قيس البلوى سنة تسع وستين فقتل كسيلة ولكنه لم يتشبث بهذا الفتح ورأى ملكا كبيرا خشى معه الفتنة فقال : انما قدمت للجهاد فأخاف أن أميل الى الدنيا فأهلك فترك القيروان (٣) ولكن البربر أدركوه وقتلوه بمساعدة الروم •

هكذا استعصى على المسلمين ترويض أهل المغرب وقد قيل انهم ارتدوا اثنتى عشرة مرة وانه لم تستقر كلمة الاسلام فيهم واضطر عمر

(١) ص ٣٩ •

(٢) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم •

(٣) تاريخ ابن الاثير ٤ : ٤٧

ابن عبد العزيز أن يرسل اليهم عشرة من التابعين يفقهونهم في دينهم ويحملونهم على مذاهب أهل السلف من الأئمة ، فاهتدوا برهة ثم مالبتوا أن رأوا رأى الخوارج حين تلقوا دعوتهم وحسن موقعها من نفوسهم لاسيما وان الخوارج لا يشترطون القرشية في الخلافة بل ولا العربية ، وقد رسخت هذه الأفكار عند البربر زمنا طويلا كان يخفف من حدتها محاولة بنى العباس حين انتهى الأمر اليهم أن يحملوا أهل المغرب على الأخذ بمذاهب أهل العراق في الأصول والفروع (١) .

ويمضى عصر الولاة مضطربا تتنازعه الردة تارة والمذاهب تارة أخرى ويتغير فيه الولاة ولا يكاد يستقر الأمر الا على أيدي الأغلبة - ولكننا لا نعدم من وراء القلب المذهبي الذي عرف عن البربر نشاطا عقليا ربما كان من أسبابه طفرة العلم وظهور الرواية في هذا العهد التالى .

دولة الاغلبة واثرها في النشاط العقلي :

أسس دولة الأغلبة - وهى دولة عربية اسلامية - ابراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ وأراد أن يضمن الاستقرار لدولته فاشترط شروطا أقرها الرشيد منها أن يستقل بادارة شئون افريقية الداخلية عن الخلافة ، وأن يتولى هذه الامارة ذريته من بعده ، وألا يدفع الاعانة التى كانت تحصل عليها مصر ، وان يدفع للخليفة أربعين ألف دينار (٢) .

وكان ابراهيم بن الأغلب فقيها أديبا شاعرا خطيبا ، ولم يل افريقية أحسن سيرة منه ، ولا أحسن سياسة ، ولا أرأف برعية ، ولا أوفى بعهد ولا أرعى لحزمة منه فطاعت له قبائل البربر وتمهدت افريقية في أيامه واستقامت الأحوال بها (٣) .

(١) الاستقصا ١ : ٦٠ - ٦١ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٣ : ٢٢٨ .

(٣) البيان المغرب ١ : ٩٣ .

فى هذه البيئة الهادئة نشطت الحركة العلمية ونجم فيها كثير من علماء اللغة كأبى مالك الطرماح وهو حفيد الطرماح بن حكيم الشاعر وراوى شعره - وعياض بن عوانة بن الحكم الكلبى ، وأبى الوليد عبد الملك ابن قطن المهرى ، وكانوا فى سبيل تعرفهم على غريب اللغة يعنون عناية ملحوظة برواية الشعر وشرحه • تلمح هذا فى أخبار الوليد عبد الملك ابن قطن المهرى فقد أخذ عن الطرماح ، وعياض ، والذين ترجموا له حرصوا على إبراز هذه الصفة فيه فقالوا (كان من أحفظ الناس لكلام العرب وأشعارها ووقائعها وأيامها ، وكانت الأشعار تقرأ عليه مجردة من الشرح فيشرحها ويفسر معانيها فلما دخلت المشروحات نظر طلبة العربية والنحو فيها وفيما كانوا يرووا عنه منها فلم يجدوا فى شرحه خلافا لما قال أصحاب الشرح ، ولا وجدوا عليه فى روايته وتفسيره شيئا من الخطأ (١) •

ويعتبر عبد الملك بن قطن المهرى (شيخ أهل العربية والنحو والرواية ، ورئيسهم ، وعميدهم ، والمقدم فى عهده وزمانه عليهم) (٢) تلمذ لابن الطرماح ، وعياض بن عوانة ، وأبى عبد الرحمن المقرئ الكوفى ، وقتيبة النحوى ، ولقى بعض الأعراب • ومن كتبه : تفسير مغازى الواقدى ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب فى اشتقاق الأسماء مما لم يأت به قطرب - ولم نثر على كتاب منها ، وكنا نأمل أن نرى كتاب اشتقاق الأسماء لنضعه فى مقارنة مع كتاب الاشتقاق لابن دريد •

وعمر طويلا وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين •

وإذا كانت دولة بنى الأغلب قد انتهت فى نهاية القرن الثالث تقريبا فان النشاط الفكرى الذى لاحظناه فى فترة حكمها أخذ فى النمو والانتشار

(١) طبقات الزبيدى ٢٤٩ ، انباء الرواة ٢ : ٢٠٩ •

(٢) ط الزبيدى ٢٤٧ •

ولم يعكر على القيروان صفوها الا هذه الفتنة التي أثارها عرب الصعيد في منتصف القرن الخامس •

كان من علماء المغرب ، ومن المتقدمين بعد المهري أبو عبد الله حمدون بن اسماعيل يصفه الزبيدي بقوله (كان في العربية والغريب والنحو الغاية التي لا بعدها) (١) حفظ كتاب سيويه وانفرد بأوضاع في اللغة •

وتلمذ للمهري ، وحمدون أبو محمد عبد الله بن محمود المكفوف وكان من أعلم خلق الله بالعربية والغريب والشعر وتفسير المشروحات وأيام العرب واخبارها ووقائعها وبرز في ذلك حتى فاق أستاذه عبد الله ابن حمدون - وله كتب كثيرة أملاها في العربية والغريب • وتوفي سنة ثمان وثلاثمائة (٢) •

ومن علماء العربية بالقيروان أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني النحوى - ذكره الزبيدي باسم (ابن الحداد) يوصف بأنه كان دقيق النظر ثابت الحجة ، شديد العارضة ، حاضر الجواب صحيح الخاطر ، له كتاب توضيح المشكل في القرآن ، والمقالات ، والاستيعاب ، والأمالى الى جملة كتب أخرى أكثرها في الاحتجاج على الملحدين • وله مع أبي عبد الله المعلم مسائل برز فيها ثم أملاها سعيد على أصحابه وسماها المجالس • واشتهر أمره بالجدل وكان العراقيون يرسلون اليه من يتلمس سقطه (٣) •

ومن علماء المغرب أبو القاسم ابراهيم بن عثمان المعروف بابن الوزان سعى الى التعرف على علم البصريين ، وقرأ لرجال الكوفة واستخرج من مسائل النحو والعربية أمورا لم يتقدمه فيها أحد ، قال فيه أبو علي بن أبي

(١) ط الزبيدي ٢٥٦ •

(٢) ط الزبيدي ٢٥٧ •

(٣) انباه الرواة ٢ : ٥٣ ، وطبقات الزبيدي ٢٦١ •

سعيد (ولو أن قائلاً قال : انه أعلم من المبرد وتعلب لصدقه من وقف على علمه ونفاذه) (١) ، وكان ابن الوزان (يحفظ كتاب الحليل بن أحمد في العين وكتاب أبي عبيد في الغريب المصنف وكتاب ابن السكيت وغيرها من الكتب في اللغة - وحفظ قبل ذلك كتاب سيبويه ثم كتب الفراء وكان يميل الى قول أهل البصرة مع علمه بقول الكوفيين وكان يفضل المازني في النحو وابن السكيت في اللغة) (٢) •

ونجم في القيروان محمد بن جعفر القزاز القيرواني التميمي نسب اليه كتاب الجامع في اللغة يصفه ابن خلكان بأنه من الكتب الكبار الممتازة وقيل في سبب وضعه ان العزيز بن المعز العيديد طلب منه أن يؤلف كتابا يجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحويون أن الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، وأن يجرى ما ألفه من ذلك على حروف المعجم •

سارع أبو عبد الله القزاز الى ما أمره العزيز ، وجمع المقترق من الكتب النفيسة في هذا المعنى ••• فبلغ جملة الكتاب ألف ورقة (٣) وقال عنه القفطى (هو أكبر كتاب صنف في هذا النوع) (٣) وشبهه الحسن بن رشيق بكتاب التهذيب للأزهري (٤) •

ومن تصانيف أبي عبد الله أيضا : كتاب أدب السلطان والتأديب له (عشر مجلدات) ، كتاب التعريض والتصريح ، كتاب اعراب الدريدية ، كتاب شرح رسالة البلاغة في عدة مجلدات ، كتاب أبيات معان في شعر المتنبى وكتاب ما أخذ على المتنبى من اللحن والغلط ، وكتاب الضاد والظاء (٥) •

(١) طبقات الزبيدي ٢٦٩ •

(٢) طبقات الزبيدي ٢٦٩ •

(٣-٣) وفيات الأعيان ز : ٩ ط السعادة سنة ١٩٤٨ ، وانباء الرواة ٨٦:٣ •

(٤) معجم الأدباء ١٨ : ١٠٥ •

(٥) معجم الادباء ١٨ : ١٠٩ •

وقع إلينا من كتب القزاز (كتاب فيه ذكر شيء من الحلى) رأى أن
يجمع فيه بعض الصفات ليعين الكتاب على صناعتهم ، أشار الى ذلك في
مقدمته الموجزة فقال (الذى جرى عليه عادة الكتاب فى الحلية فى الرقيق
أن يكتبوا اشترى بالمدينة الفلانية فلان ، ثم ينعته وينسبوه الى صنعة
وموضع سكنه من المدينة ...

وضع نموذجا عاما فى وصف الغلام ليقاس عليه سائر الصفات من
التبايعين وغيرهم من الجند فهو (غلام رومى افرنجى فصيح اللسان
أبيض اللون كهل ربعة معتدل القامة اقزاع رسله أسود الشعر أثيبه ، مؤلل
الأذنين عريض الجبهة أبلج ما بين الحاجبين أدعج العينين ... وعقد فصولا
فى ذكر الألوان ، والقنود ، والرؤوس ، والآذان ، والجباه ، والعيون
والأنوف الى غير ذلك - ومما قاله فى ذكر الآذان :

(مؤلل الأذنين : هى الرقيقة المنتصبة ، فان كانت لطيفة فذلك
الصمم ، يقال غلام أصمع وجارية صمعاء فان انكسرت واسترخت باقبال
على الوجه فذلك الحذا • تقول رجل اخذى وامرأة خذواء ، وان كانت
صغيرة ملتصقة فذلك السكك - تقول غلام اسك ، وامرأة سكاء فان
استرخت وأدبرت الى أعلى الرأس فذلك الغضف تقول غلام أغضف
والأثنى غضفاء ، وان كانت الأذن عظيمة مقبلة على الوجه فذلك القنف
تقول غلام اقتنف وامرأة قنفاء فان كان لا يسمع فذلك الصمم تقول غلام
أصم وامرأة صماء وتوصف شدة الصمم بالصمخ تقول رجل أصم
أصلخ (١) •

وتلمذ لأبى عبد الله القزاز محمد بن أبى سعيد المعروف بابن شرف
القيروانى وكان ابن شرف وابن رشيق صاحب العمدة متقدمين عند الأمير

(١) كتاب فيه ذكر شيء من الحلى ص ١٠ مطبعة العرفان صيدا سنة ١٣٤١ هـ

المعز بن باديس أمير إفريقية - وظلت القيروان وجهة العلماء والأدباء تشد إليها الرحال لما يروونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته بهم (١) إلى أن هاجم عرب الصعيد القيروان واضطر المعز إلى الخروج منها إلى المهدي فتنبعه بعض العلماء وهاجر البعض إلى صقلية •

(١) معجم الأدباء ١٩ : ٣٧ •

صقلية

فى سنة ٢١٢ هـ فتحت صقلية على يد عالم جليل هو القاضى أسد ابن الفرات ، وهو فقيه سمع من مالك بن أنس ، ومحمد بن الحسن فى العراق ، وحينما توجه لغزو صقلية خرج معه أشراف افريقية من العرب والجنـد والبربر وأهل العلم والبصائر (١) وهكذا كان الغزو العلمى الى جانب الغزو العسكرى . وكذلك كان الأمر حين وليها أبو الأغلب وكان بدوره يميل الى مصاحبة العلماء ، أرسل الى أبى الوليد المهرى وهو شيخ أهل اللغة العربية والنحو والرواية (٢) فاعتذر لحوفه من البحر فاستبدله بأبى سعيد بن حرب بن غورك ولم يمض على الفتح وقت طويل حتى صار أكثر أهلها مسلمين .

ورجال الطبقات يضعون المهرى ، وابن غورك فى مرتبة متقاربة ويقارنون بينهما فيقول الحسن بن أبى سعيد البصرى ان ابن غورك أعلم من المهرى بالقرآن ويحدود النحو ، وكان المهرى أوسع منه رواية وأعلم باللغة والشعر (٣) .

ونسب الى هذه الجزيرة نفر من العلماء منهم محمد بن خراسان الصقلى مولى بنى الأغلب الذى رحل الى مصر فى طلب العلم فتلمذ لأبى جعفر النحاس ، وعاد الى صقلية ودرس النحو بها الى أن مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة (٤) .

(١) البيان المغرب ١ : ١٠٢ ط ليدن سنة ١٩٤٨ .

(٢) ط الزبيدى ٢٤٩ .

(٣) ط الزبيدى ٢٥٤ .

(٤) بغية الوعاة ٤٠ ، المكتبة الصقلية ٦٧٠ .

ومن علمائها محمد بن علي بن الحسن بن البر التيمي ، ولد في صقلية ورحل عنها في طلب العلم وروى كثيرا من اللغة ثم عاد الى صقلية فأخذ عنه ولازمه علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي ويقال ان كتاب الصحاح للجوهري روى بمصر عن طريق ابن البر (١) ومن أصحاب ابن القطاع المنتسبين اليه المشتهرين به نصرون ابن فتوح بن حسين الصقلي (٢) واسماعيل بن علي بن مقشر النحوي (٣) .

وممن رحل الى المشرق في طلب اللغة الحسن بن علي الصقلي حيث لقي أبا القاسم الزجاجي وغيره (٤) .

وخرج الى صقلية قادما من الأندلس أبو العلا صاعد الأندلسي وهو من علماء المشاركة وظل بها الى أن مات سنة عشر وأربعمائة كما خرج اليها الحسن بن رشيق قادما من القيروان وظل بها الى أن مات سنة ست وخمسين وأربعمائة وهو صاحب كتاب العمدة ، وله من كتب اللغة كتاب الشنوذ يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها مما وصل الى علمه (٥) .

ومن علماء صقلية عمر بن خلف بن مكى اللغوي صنف في اللغة كتابا سماه تلقيح الجنان وتهييف اللسان (٦) وظاهر بن محمد الرقباني اللغوي قيل في التعريف به انه (لم يكن في زمانه أعلم منه بلغة العرب وكلامها وقصدته العلماء من كل مكان) (٧) .

(١) انباء الرواة ٣ : ١٩٠ ، المكتبة الصقلية ٦٤٨ .

(٢) المكتبة الصقلية ٦٤٨ .

(٣) المكتبة الصقلية ٦٧٤ .

(٤) المكتبة الصقلية ٦٧٤ .

(٥) وفيات الاعيان ١ : ١٨٦ - ١٨٧ .

(٦) انباء الرواة ٢ : ٣٢٩ ، المكتبة الصقلية ٥٩٧ و ٦٤٦ .

(٧) انباء الرواة ٢ : ٩٤ .

وكان على بن حبيب اللغوى أحد رجال صقلية المعدودين (وكان
مضطلعا بنقد الشعر ومعانيه ناهضا بأعباء الغريب ومبانيه) (١) •

ومن أبناء هذه الجزيرة ممن اشتغلوا بالعربية محمد الصقلى النحوى
يعرف بالدمعة ، واسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران أبو طاهر الصقلى
وكان اماما فى علوم الأدب متقنا لفن القراءات ، صنف كتاب العنوان فى
القراءات ، واختصر الحجة لأبى على الفارسى (٢) •

(١) أنباء الرواة ٢ : ٢٥٥ •

(٢) المكتبة الصقلية ٦٧٣ •

ملاحظ في غرب افريقية

الاعراب الرواة

طالت بنا الشقة ، وبعدت المسافة ، وكدنا نسي هذا المصدر الوثيق من مصادر الرواية وهو (الأعراب الرواة) ولقد رأينا آثارهم في البصرة والكوفة وبغداد وبسطنا الكلام عنهم في كتابنا (رواية اللغة) وحين عرفنا بشرق العراق في الباب الأول من الكتاب الذي بين يديك تحدثنا عن نيسابور - وهناك - وقعت لنا طائفة من أخبار الأعراب الرواة الذين استقدمهم عبد الله بن طاهر ، وبينا آثارهم فيها •

وهنا - في غرب افريقية - نعود فنجد من أخبارهم شيئا مجملا ومع ذلك فقد كان طريقا ملفتا بعد ان كدنا نسي دورهم •

وجدنا الزبيدي يترجم لأبي الوليد عبد الملك بن قطن المهري فيقول (لقي جماعة من العلماء بالعربية ... وكثير من الأعراب منهم أبو المنيع الاعرابي) (١) - وأبو المنيع أعرابي سبق أن رأيناه في البصرة يروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى شيئا من شعر جرير (٢) ، ولا يمنع تاريخنا ان يكون هو ، كما لا يمنع أيضا أن يكون شخصا آخر ، كل ما يهمنا أنه أعرابي راوية •

وهناك أعرابي آخر يشير اليه المهري فيقول : (دخل لنا أعرابي من اليمن يقال له أبو هلال ثم خرج الى تاهرت ثم الى بلد السودان فاتى عليه

(١) ط الزبيدي ٢٥٠ •

(٢) النقاظ ٣٠ •

يوم له وهج وحر شديد وسموم فى تلك الرمال فنظر الى الشمس مصحرة
راكدة على قمم الرؤوس وقد صمحت (صهرت) الناس فقال : أما والله
لئن غرزت فى هذه الرمال لظالما رأيتك ذليلة بتاهرت (١) •

ومن هؤلاء الأعراب أمان بن الصمصامة بن الطرماح بن حكيم وهو
اعرابى من طيء كان يروى شعر جده كما تؤخذ عنه اللغة فى غرب
افريقية القيروان (٢)

وهكذا نرى عنصرا من عناصر الرواية كنا نظن أن بعد المسافة بيننا
وبين البادية الفصيحة حال بيننا وبينه •

رواية الأشعار :

وثمة ملحظ آخر هو العناية برواية الشعر وشرحه والاغراق فى
هذا على أنه سمة يمتاز بها عالم عن عالم ، سبق ان أشرنا الى ذلك ونحن
نعرف بأبى الوليد عبد الملك بن قطن المهرى - وجاء فى التعريف بأبى محمد
المكفوف وهو من رواة القيروان أنه (كان من أعلم خلق الله تعالى بالعربية
والغريب والشعر وتفسير المشروحات) (٣) (وعليه قرأ الناس المشروحات
واليه كانت الرحلة من جميع افريقية والمغرب) (٤) ويروون فى مقدرة
حفظه أنه (كان يجلس مع حمدون فى مكتبه فربما استعار من بعض
الصبيان كتابا فيه شعر أو غريب أو شئ من أخبار العرب فيقتضيه صاحبه
اياه ، فاذا ألح عليه أعلم أبا محمد المكفوف بذلك فيقول (اقرأه على ، فاذا
فعل قال : أعدته ثانية ، ثم يقول : رده على صاحبه ومتى شئت تعال حتم
أمليه عليك) •

وكان فيهم من يرى المعرفة بالشعر ومعانيه غاية يجسبها عن الناس

(١) ط الزبيدى ٢٥١ ومعجم البلدان ٢ : ٣٥٥ (تاهرت) •

(٢) ط الزبيدى ٢٤٥ •

(٣) انباه الرواة ٢ : ١٤٧ •

(٤) انباه الرواة ٢ : ١٤٨ ، نكت الهميان ١٨٤ - ١٨٥ •

أو يلغز في روايتها ليمتحن بها غيره جاء هذا في سيرة خلف بن مختار
الطرابلسي وكان صاحب نحو ولغة • قال أبو عثمان سعيد بن اسحق
الشمخي سألت خلف بن مختار أن اقرأ عليه قصيدة النابغة •

يا دار مية بالعلياء فالسند

فقال : أفل ، فأنشدته حتى انتهت الى قوله :

فظل يعجم أعلى الروق منقبضا في حالك اللون صدق غير ذي اود

فقال ليخبرني - وقد علمت ما المراد - ما الصدق ؟ فقلت :
لا أعلم قال : فما الصدق بالكسر ؟ قلت : الصدق من القول • قال لي :
فيجب عليك ان تروى ما تعرف وتدع ما لاتعرف ، فأشدها بالكسر
لأعلم ما يكون منه فرأيتيه يتسم وكان انشادها ليلا في المسجد الجامع
وكنت أحفظها فقلت له : لم تبسمت ؟ الصدق : الصلب وكذلك الرواية
ولكن تجاهلت لك لأعلم ما يكون منك فخبجل من ذلك وقال : أشد
ما أحبيت فاني لا أخفي عنك شيئا فكان بعد تلك الليلة كما وعد (١)

ولا يقف دليلنا على حرصهم هذا عند حد الاخبار بموقف خلف
وحبسه العلم عن سائله - بل يدلنا موقف هذا السائل وتصنعه الخطأ
ليعرف ماذا يكون من أمر أستاذه على أن رواية الشعر عندهم والعلم
بغريبه ومعانيه أصل هام من أصول الرواية اللغوية ، يبخلون بها تارة
كشيء ثمين ، ويعلنونها تارة كشيء يتزيدون به • ، وقد عرف عن
ابن أبي عاصم اللؤلؤي أنه كان يقوم بأكثر دواوين العرب (٢) وأن
أبا محمد حسن بن محمد التميمي الداروني - وهو امام في اللغة كان
مشغوقا بدويان ذي الرمة وكان أعلم الناس به وبغيره من دواوين
الشعر (٣) •

(١) طبقات الزبيدي ٢٥٩ - ٢٦٠ •

(٢) طبقات الزبيدي ٢٦٥ •

(٣) طبقات الزبيدي ٢٦٧ •

الأندلس

المجتمع الاسباني قبيل الفتح العربي :

كان المجتمع الأسباني قبيل الفتح يتكون من طبقات متباينة ، ويمزقه الظلم الاجتماعي اذ كان الأشراف ، ورجال الدين يمتلكون ثروة البلاد وينعمون بخيراتها بينما سواد الشعب يعاني مغارم الضرائب والمكوس ويسخر الزراع في ضياع الأشراف والقسس - وهناك فئة أخرى كانت تعاني من البغض والابتذال والكراهية مبلغا كبيرا وهي فئة اليهود (وكانت الكنيسة منذ اشد ساعدها ونفوذها تحاول تنصير اليهود وتتوسل الى تحقيق غايتها بالعنف والمطاردة ، ولقد اضطر كثير منهم الى اعتناق النصرانية كرها ورياء) (١) فكانوا مع سواد الشعب يتوقون الى الخلاص من هذا الظلم الجائر .

بدأ فتح البلاد الأسبانية في سنة اثنتين وتسعين من الهجرة وكانت الشريعة السمحاء تقضى بالرفق والرحمة ولاسيما مع الكتابيين الذين

(١) دولة الاسلام في الاندلس ٢٩٩ محمد عبد الله عنان ط لجنة التأليف والترجمة
وانشر سنة ١٩٤٣ .

تركت لهم الحرية بعد دفع الجزية ، تلمح هذا في كتاب الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى بن نصير للتدمير بن غبدوش سنة ٩٤ هـ •

(بسم الله الرحمن الرحيم • كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير التدمير بن غبدوش انه نزل على الصلح وان له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه وأنهم لا يقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا تحرق كنائسهم ولا ينزع عن ملكه ما تعبد ونصح وأدى الذي اشترطنا عليه - وانه صالح على سبع مدائن ••••• وانه لا يؤدى لنا أبقا ، ولا يؤوى لنا عدوا ، ولا يخيف لنا آمنا ، ولا يكتم خبر عدو علمه ، وأن عليه وعلى أصحابه دينارا كل سنة ، وأربعة امداد قمح ، وأربعة امداد شعير وأربعة أقساط طلا (شراب من العنب غير مخمر) وأربعة أقساط خلا ، وقسطى عسل ، وقسطى زيت وعلى العبد نصف ذلك - شهد على ذلك عثمان بن أبي عبدة القرشى ، وحبيب بن أبي عبيدة بن ميسرة الفهمى ، وأبو قائم الهذلي وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة) (١) •

اقبال الأندلسيين على تعليم العربية :

ومن أثر هذا التسامح شاعت العربية في كل مكان نزله العرب (بل لم يمض نصف قرن حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا صلواتهم الى العربية ليفهمها المسيحيون لأن هؤلاء زهدوا في اللغة اللاتينية ونشأ لهم غرام بالعربية فأخذوا يتقنون آدابها ويتغنون بأشعارها ويكتبون فيها كآبائنا ويعجبون ببلاغتها اعجاب أهلها بها) (٢) •

(١) مجلة المجمع العلمى العربى عدد حزيران (يونية سنة ١٩٢٢ ص ١٦٧ ج ٦

مقال للأستاذ محمد كرد على ، دولة الاسلام فى الأندلس ٥٣ •

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى يونية سنة ١٩٢٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ •

ونحن لا نستطيع أن نفترض سهولة الطريق أمام العربية وإنها جرت على السنة أهل البلاد وغزت لغتهم مع الفتح العربي إلا أن المعاملة الحسنة والتسامح الديني الذي حظى به أهل البلاد على أثر الاضطهاد الذي كانوا يلقونه من طبقة الأشراف ورجال الدين قبل الفتح جعلهم يلتصقون هذا الدين الجديد عن رغبة ، ويقبلون على لغته من تلقاء أنفسهم في كثير من الأحيان •

كان على الذين دخلوا في دين الله أن يعرفوا العربية يقيمون بها صلاتهم ويقرأون بها تعاليم الاسلام ويفهمون ما يلقي اليهم على السنة الفقهاء وما لبث أن تعددت شكاوى القسيسين من أن الأسبانيين ينسون لغتهم ودينهم ويقبلون على الاسلام ولغته (١) وكان على الذين يرغبون في التقرب الى السلطان والعمل في دولته ان يتعلم لغته وكان الأسبان في أوائل الفتح يتكلمون بالأسبانية والبرتغالية والعربية ، وأخذوا بعد حين لا يتعاقدون بينهم الا باللغة العربية لأن لسان القائمين بالأمر هو اللسان العربي فصار ذلك من شعائر الاسلام وطاعة العرب (٢) •

ولقد نشط علم الفقه والحديث في الأندلس بشكل ملحوظ ، والمناقشة في المسائل الفقهية ، ومذاكرة الأصول ورواية الحديث والاتجاه الى تفسيره كل أولئك كان من العوامل القوية في احياء العربية في هذه البيئة ومدتها بأسباب الانتشار والسعة •

نشأة العربية وروايتها في مجالس الحديث والفقه :

وربما يستقيم لنا الأمر اذا نحن عولنا في نشأة العربية وروايتها في الأندلس على ما كانت تحظى به من عناية في مجالس الحديث والفقه

(١) ظهر الاسلام ٣ : ٨ •

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي يونية ١٩٢٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ مقال للاسناذ محمد

القرط على •

وما حصله العلماء فى رحلاتهم الى المشرق وكتب المشرقين التى ظهرت فى الأندلس فى عصر مبكر • ولكن لم نستطع أن نحيط بأخبار هذه المجالس الأولى ، والتى نفترض أن علماء المسلمين الذين صاحبوا الجيش الفاتح أو الذين قدموا على أثر الفتح كان لهم دور فيها لتفقيه الناس وتبصيرهم بالدين الا ما ذكره صاحب (المعجب) من انه دخل الأندلس من التابعين للجهاد والرباط : محمد بن أوس بن ثابت الأنصارى يروى عن أبى هريرة - وحش بن عبد الله الصنعائى يروى عن على بن أبى طالب - وفضالة بن عبيد - ومنهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى يروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - ومنهم يزيد بن قاصط وقيل ابن قسيط الكسكى المصرى يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومنهم موسى ابن نصير يروى عن تميم الدارى •• (١) ونعتقد أن هؤلاء كانوا نواة التعريف بالحديث وروايته وأنهم نجحوا فى شحذ همم الأندلسيين الى هذا العلم فجدوا فى طلبه وراحوا يلتمسونه فى المشرق •

لقد كلف كثير من نزلاء الأندلس بالرحلة الى المشرق حتى أصبحت الرحلة فى ذاتها شيئا يشهد بتمام العالم ، وأصبح من المألوف أن تقرأ فى كتب التراجم التى تحدثت عن علماء الأندلس عبارة (له رحلة الى المشرق) أو (لم تعرف له رحلة الى المشرق) •

واذا كان جمهور العلماء يذهبون فى طلب الحديث فلقد عاد أكثرهم ومعه علم من الفقه والتاريخ والأنساب والسير واللغة بالاضافة الى أن اللغة قاسم مشترك بين كل هذا ، بل منهم من أدرك أوائل الرواة فحمل عنهم من اللغة قدرا كبيرا واليك ما تيسر من أخبارهم •

(١) تاريخ الأندلس المسمى بالمعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ٦ - ١٠ ط
الطبعة سنة ١٣٢٤ هـ •

الرحلة الى المشرق واثرها :

رحل أبو عبد الملك عثمان بن المشي ٢٧٣ هـ الى الشرق فلقى ابن الأعرابي ٢٣١ هـ وهو كما نعلم من كبار رواة الكوفة - وقرأ على أبي تمام حبيب بن أوس ٢٣١ هـ ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه واختير لهذا مؤدبا لأولاد الامام عبد الرحمن بن الحكم (١) .

وذهب بقى بن مخلد ٢٧٦ هـ الى المشرق وهو رجل استطاع بما حقق من معرفة باللغة أن يضع كتابا في تفسير القرآن الكريم يعجب به ابن حزم ويقول فيه (أقطع أنه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره - لاتفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره) (٢) .

ثم تبرز رواية اللغة شيئا فشيئا وتلقى اهتماما كبيرا من الداهيين الى المشرق في طلب الحديث وربما عاد بعضهم وقد حمل من اللغة ما يربو على ما حصله من الحديث - وكان من أثر الجمع بين الحديث واللغة أن أهل الأندلس كانوا يحفظون دواوين الشعراء بالرواية والاسناد على النحو المتبع في الحديث النبوي (٣) ولقد بلغ من تشدهم في الرواية اللغوية أن أبا علي القالي جاء الى الأندلس ومعه كتاب سماع في اللغة فاستعاره الخليفة وأبقاه عنده زمانا فلما أرجعه أبطل القالي العمل به في الرواية لأن الكتاب خرج من يده زمنا طويلا - يقول الشيخ الخالدي الذي ذكر هذا الخبر (قرأت هذه الحكاية في كتاب الاماع في أصول السماع للقاضي عياض) (٣) .

وعرف صاحب جذوة المقتبس بأبي عبد الله محمد بن عبد السلام

(١) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٢٤٩ .

(٢) بغية الملتبس ٢٣٠ .

(٣-٢) مجلة الرسالة العدد ٨٤ في ١١ فبراير سنة ١٩٣٥ - من حديث الشيخ الخالدي مقال للدكتور عبد الوهاب عزام ، والشيخ الخالدي عالم سوري كبير شغل منصب رئيس محكمة الاستئناف العليا الشرعية في دمشق .

الحُشْنَى ٢٨٦ هـ فأشار الى رحلة له بالمشرق بلغت خمسا وعشرين سنة متجولا فى طلب الحديث وذكر نبأ طويلا باسماء المحدثين الذين روى عنهم الحُشْنَى (١) ولم يفت أبو عبد الله أن يروى اللغة فى العراق عن كبار رجالها فالتقى بالمازنى ، وأبى حاتم السجستاني ، والرياشى وهم كما نعلم أصحاب الرواية اللغوية فى البصرة وفى المرتبة الثانية من الرواة عامة بعد الأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة معمر بن المثنى وأضرابهم - وعاد الى الأندلس فألف شرحا فى الحديث فيه من الغريب علم كثير (٢) .

وكذلك نهج محمد بن عبد الله الغازى ٢٩٦ هـ فسمع الرياشى ، وأبا حاتم السجستاني . . . وجلب الى الأندلس علما كثيرا من الشعر ، والغريب والعربية ، والأخبار - وعنه روى المشايخ الأشعار المشروحات كلها (٣) .

ومن هؤلاء العلماء محمد بن عبد الله بن سوار القرطبى ٣٠٢ هـ أخذ عن أبيه ورحل الى المشرق فلقى أبا حاتم السجستاني ، والرياشى وغيرهما (٤) .

ومما قيل فى ثابت بن عبد العزيز ٣١٣ هـ وولده قاسم ٣٠٢ هـ (٥) انهما كانا من أهل العلم بالعربية والحفظ للغة والتفنن فى ضروب العلم رجلا الى المشرق فلقيا رجال الحديث ورجال اللغة - وهما أول من أدخل كتاب العين الى الأندلس - وألف قاسم بن ثابت كتابا فى شرح الحديث سماه كتاب (الدلائل) ذكره ابن خير فى الفهرسة (٦) وقال فيه أبو على

(١) جدوة المقتبس ٦٣ .

(٢) طبقات الزبيدى ٢٩٠ .

(٣) طبقات الزبيدى ٢٨٩ .

(٤) تاريخ ابن الفرضى المترجمة رقم ١١٥٨ ، بغية الوعاة ٥٢ .

(٥) توفى الأب قبل الابن انظر فهرست ابن خير ص ١٩٣ .

(٦) فهرست ابن خير ١٩١ .

القالى (لم يؤلف فى الأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت فى شرح الحديث وقد طالعت كتباً ألفت فى الأندلس ، ورأيت كتاب الحشنى فى شرح الحديث وطلعته فما رأيتُه صنع شيئاً وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب) (١) وأضاف الزبيدى عن محمد بن حسن (ولو قل اسماعيل انه لم ير بالشرق كتاباً أكمل من كتاب قاسم فى معناه لما رددت مقالته على أن لأبى عبيد فى هذا الفن فضل السبق عليه) (٢) فإذا كانت مقارنة هذا الكتاب مع كتاب أبى عبيد - وقد سبق أن عرفنا به فى كتابنا (رواية اللغة) لم تترك لأبى عبيد القاسم بن سلام الا فضل السبق فان العلم بغريب الحديث فى الأندلس قد ذهب به قاسم وأبوه ثابت ، وينسب الكتاب أحياناً الى قاسم وأحياناً الى ثابت ولكن يبدو أنهما اشتركا فى وضعه استناداً الى ما يقوله القفطى (وكان ثابت ، وقاسم ولده من أهل الفضل والورع والعبادة ، ومن جمعهما كتاب غريب الحديث مما لم يذكر أبو عبيد ولا ابن قتيبة) (٣) .

وذهب قاسم بن أصبغ بن محمد القرطبى الى بغداد لسمع من المبرد وتعلب وابن قتيبة (٤) ورحل عبد الله بن حمود الزبيدى فصحب أبا سعيد السيرافى الى أن مات ، وصحب أبا على الفارسى فى مقامه وسفره الى فارس وغيرها وأخذ عنه وأكثر وبرع وكان أبو على الفارسى يذكره فى تصانيفه فيقول « سألتى الأندلسى » « وقال الأندلسى » « ومن خبره مع أبى على أن أبا على غلس يوماً الى الصلاة فى المسجد فقام اليه عبد الله بن حمود هذا من منزود - وكان لدابة أبى على خارج داره - وكان عبد الله قد بات فيه ليدلج اليه قبل الطلبة طلباً للسبق والأخذ من علمه فارتاع منه

(١) انباء الرواة ١ : ٢٦٢ .

(٢) طبقات الزبيدى ٣٠٩ .

(٣) انباء الرواة ١ : ٢٦٢ .

(٤) طبقات الزبيدى ٣٠٩ .

أبو علي وقال له : ويحك من تكون ؟ قال : أنا عبد الله الأندلسي فقال :
إلى كم تبغني ؟ والله إن علي وجه الأرض إنجي منك (١)

وسافر منذ بن سعيد البلوطي وكان قاضيا عالما بالقرآن حافظا لما
قالت العلماء في تفسيره الى مصر ليتنسخ كتاب العين عن نسخة أبي العباس
ابن ولاد (٢) كما كان من تصانيفه كتاب في الغريب (٣) •

هذه هي رواية اللغة حميلة على غيرها من علوم الفقه والحديث أما
الذين اشتهرت عنهم اللغة فسنزيدهم ايضا •

رواية العربية

رأينا كيف كانت الرواية اللغوية تتخلل مجالس الفقه والحديث
ونحن نفترض وجود مجالس خاصة بها لسيين :

أولهما : طبيعة الأمويين وتمصّبهم لعروبتهم ، وللفتهم خاصة ،
ولقد كان تقدير عبد الرحمن بن معاوية لولديه وتفضيل أحدهما على
الآخر تعود الى هذا الأصل - قال لهشام يوما - لمن هذا الشعر ؟

وتعرف فيه من أبيه شمائل

ومن خاله، أو من يزيد ومن حجر

سماحة ذا ، مع بر ذا ، ووفاء ذا

ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فقال ياسيدي ، لامرئ القيس ••••• فزاد في عينه ، ثم قال
لسليمان على انفراد : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لعلهما لأحد أجلاف العرب
أما لي شغل غير حفظ أقوال بعض الأعراب ؟ فعلم قدر ما بين الاثنين
من المزية (٤) •

(١) انباه الرواة ٢ : ١١٩ •

(٢) انباه الرواة ٣ : ٣٢٥ •

(٣) طبقات الزبيدي ٣١٩ •

(٤) نفح الطيب ١ : ١٥٨ - ١٥٩ •

وهذه العبارة الحادة الغاضبة التي صدرت عن سليمان وقوله (اما لي شغل غير حفظ أقوال بعض الاعراب ..) ربما كانت تعبر عن ضيقه باتجاه كاد يكون عاما في مجالس الأمويين وهو العناية بكلام العرب - أو - تبرمه بأمر قد فرض عليه ولم تستجب له همته .

وثانيهما : كانت العربية منذ استتب الفتح لغة الدولة والخروج عنها الى غيرها يعتبر خروجاً على طاعة العرب .

ولكن الذين أرخوا للحياة العقلية في الأندلس وجهوا عناية فائقة للتعريف برجال الحديث والفقه وتمكنوا من تتبعهم منذ النشأة الأولى لهذه الدولة - أما رجال اللغة فكانوا في المرتبة الثانية بحيث غمضت هذه النشأة الا من تنف قليلة الا تكن كافية لابرازها والتعريف بها فهي كافية لتقريب هذا الفرض الذي افترضناه من وجود مجالس تطلب فيها اللغة لذاتها والغريب الذي يستحق أن ينوه به ويشار اليه أن هذه الرغبة في طلب اللغة وروايتها بدأت من عصر مبكر بحيث لا يتجاوز جيلا أو جيلين بعد الفتح وبحيث تلتقي مع باكورة الرواية في العراق - لقد رحل في خلافة عبد الرحمن بن معاوية - أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الهواري فلقى الأصمعي وأبا زيد الأنصاري وغيرهما - وداخل العرب وتردد في محالها ، ولما قدم الأندلس صادرا من سفره وكان قد احضر بعض الكتب من المشرق تعرض لحادث أفقده كتبه فكان يتعزى عنها بما حفظه في صدره منها ، وضع كتابا في تفسير القرآن الكريم رواه عنه محمد بن أحمد العتبي (١) .

وكذلك رحل الى المشرق الغازي بن قيس فادرك الأصمعي ونظراء وعقد مجلسه في قرطبة الا أننا لانعلم الكثير عن حلقة بها وما كان يدور

(١) ترجمة رقم ٧٧٦ ص ٢١٥ تاريخ ابن الفرضي .

فيها وكان الخليفة الأموي عبد الرحمن بن معاوية يجله ويحترمه ويزوره
في منزله (١) •

ومر أبو العلاء العباس بن ناصح بصور التلقي التي عرفت لرواة
العراق ، ويحكي ذلك ابن الفرضي فيقول : رحل به أبوه صغيراً فنشأ
بمصر وتردد بالحجاز طالبا للغة العرب ثم رحل به أبوه الى العراق فلقى
الأصمعي وغيره من علماء البصريين والكوفيين وانصرف الى الأندلس
فكان لا يزال يستفهم عن نجم بالمشرق من الشعراء بعد ابراهيم بن هرمة
فأخبر عن الحسن بن هانئ وأتشد بعض شعره فقال : لاجهدن في ان ألقى
هذا الرجل ثم رحل الى العراق فلقيه واستشده ... وكان عباس من
أهل العلم باللغة وكان جزل الشعر وكان يسلك فيه مسالك العرب
القديمة ، وكان له حظ من الفقه والرواية ولم تشهر عنه لغلبة الشعر
عليه (٢) له كتاب في القراءات وكتاب في تفسير القرآن (٣) •

وفي مسلك العباس صورة واضحة من صور الرواية اللغوية التي
نشأت وتطورت واكتملت في العراق ولا تكاد تختلف طريقته في التحصيل
عن طريقة كبار الرواة الذين وضعوا أسس هذا العلم وحددوا سمته ،
فقد أخذ من العلم في مصر ما أخذ ثم راح يلتمس اللغة عند أصحابها
في البادية - ثم عاد الى العراق فسمع من الأصمعي ، ومن الكوفيين ويبدو
أنه أفاد من طريقة الأصمعي في الاكثار من حفظ الشعر والتعرف على
اللغة من خلاله الا أن العباس قد ربت في نفسه ملكة الشعر فعرف به
أكثر مما عرف باللغة •

لم أستطع أن أتعرف على الكثير من أخبار هذا الرواية الا ما سأذكره

(١) جذوة المقتبس ٣٠٥ ، وبغية الوعاة ٣٧١ •

(٢) ترجمة رقم ٨٧٩ ص ٢٤٥ تاريخ ابن الفرضي •

(٣) ط الزبيدي ٢٧٦ •

فى سياق الكلام عن لغوى آخر بدأ فى عصر مبكر أيضا وهو جودى ابن عثمان وهو مولى لآل يزيد بن طلحة ، رحل الى العراق فأخذ عن الكسائى والفراء (١) والرياشى (٢) وقيل انه أول من أدخل كتاب الكسائى الى الأندلس (٣) وفى حلقته أنكر على عباس بن ناصح قوله :

**يشهد بالاخلاص نوتما
لله فيها وهو نصرانى**

فلحن حيث لم يشدد ياء النسب ، وكان بالحضرة رجل من أصحاب عباس بن ناصح فسأه ذلك فقصد عباسا وكان مسكنه بالجزيرة فلما طلع على عباس قال له : ما أقدمك أعزك الله فى هذا الأوان ؟ قال : أقدمنى لحنك قال له عباس : وأى لحن ؟ فأعلمه ، فقال له أنشدكم قول عمران ابن حطان .

**يوما يمان اذا لاقيت ذا يمين
وان لقيت معديا فعدنانى**

ثم قدم قرطبة واجتمع بجودى وأصحابه فأعلمهم ما قال ، ووافقوه (١) .

ولم نسق هذا الخبر لتخبر عن رأى صدر فى مجلس جودى بن عثمان وجاء مخالفا لما ذهب اليه عباس بن ناصح ، ولكن العناية بهذه المسألة وذهاب أحد الجالسين الى بيت عباس ومناقشته الخبر معه والعودة بحجة صاحبه وطرح المسألة مرة أخرى فى مجلس جودى ، واقتناع جودى وأصحابه - كل هذا يشير الى أن رواية العربية قد اجتازت خطواتها الأولى .

(١-١) معجم الأدباء ٧ : ٢١٣ .

(٢) بنية الوعاة ٢١٣ .

(٣) طبقات الزبيدى ٢٨١ ، ولم أعرف أى كتب الكسائى يقصد الزبيدى .

ومجلس جودى بن عثمان من أوائل المجالس اللغوية التى نعرف
بعض أخبارها وان من تلامذته رجلاً اسمه أبو الحرشن بلغ حداً من
الفصاحة وضرب به المثل فكان الناس اذا استفتحوا رجلاً قالوا: ما هذا
الا أبو حرشن (١) وكان مجلس أبى حرشن أيضاً فى قرطبة وتلمذ له
فيها عبد الملك بن مختار (٢) .

وتكاد تختفى نشأة ابن القوطية ، وليس لدينا ما يفيد أنه رحل الى
المشرق ولكن اتناجه الغزير من اللغة يؤكد وجود المجلس التى تلقى
بها وأشار الى بعضها ابن خلكان (٣) - عمل كتاب الأفعال تناوله من بعده
تلميذه عبد الملك بن طريف بالدراسة ، ثم جاء ابن القطاع الصقلى فبوه
ورثه على النحو الذى سنشير اليه بعد ، وعمل ابن القوطية كتاب المقصور
والمدود يقول فيه ياقوت (جمع فيه فأوعى فأعجز من بعده عن أن يأتوا
بمثله ، وفاق به من تقدمه) (٤) وله شرح على كتاب أدب الكاتب
لابن قتيبة (٤) ووصلنا كتاب الكامل للمبرد مروياً عن ابن القوطية عن
أبى عثمان سعيد بن جابر - فمن هو سعيد بن جابر والذى نفترض أن
له مجلساً من مجالس الرواية اللغوية فى الأندلس ؟ ليس لدينا من أخباره
الا أنه من أهل اشبيلية ، سمع بها من محمد بن جنادة ، وسمع بقرطبة
من عبيد الله بن يحيى ، وظاهر بن عبد العزيز وأنه رحل الى المشرق
فسمع من المحدثين وسمع من على بن سليمان الأخفش ويموت
ابن المزرع (٥) .

(١) طبقات الزبيدي ٢٨١ م .

(٢) طبقات الزبيدي ٢٨٧ م .

(٣) سمع باشبيلية من محمد بن عبد الله بن القوق ، وحسن بن عبد الله الزبيدي ،
وسعيد بن جابر وغيرهم - وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز وابن أبى الوليد
الانرج ومحمد بن عبد الوهاب بن مغيث . وفيات الأميان ٤ : ٤ ط السعادة سنة
٨ ١٩٤٩ .

(٤-٤) معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ م .

(٥) ترجمة رقم ٤٩٢ ص ١٤٢ تاريخ ابن الفرضى ، بغية اللتمس ٢٩٤ م .

وهكذا نجد ابن القوطية وهو فى عداد رواة اللغة يتلقى عن علماء الحديث ويعتمد على الجانب اللغوى فى مجالسهم ويعمق هذا الجانب حتى يعرف بالرواية اللغوية أكثر مما عرف بالحديث ويتبين ذلك فيما تركه من آثار •

كتاب الأفعال لابن القوطية(*) :

كان من رأى ابن القوطية أن الأفعال هى أصول مباني أكثر الكلام وبذلك سميتها العلماء (الأبنية) - والأسماء غير الجامدة (١) والأصول كلها مشتقات منها • وهى أقدم منها بالزمان - وإن جاء ذلك مخالفا لرأى البصريين الذين يقولون يقدم الأسماء وأن الأفعال مشتقة منها •

قدم للكتاب بمقال عن أبنية الأفعال ، وقصر عنايته على الثلاثى فقسمه الى ضربين - ضرب دخل التضعيف ثانياه فصار ثلاثيا ، منه ما جاء على فعل (بفتح الفاء والعين) مثل رد فإن أصله ردد ، ومنه ما جاء على فعل (بفتح الفاء وكسر العين) مثل عض ، ومس فإن أصلهما عضض ، مسس ليس فيه غيرهما الا فعل شاذ رواه يونس : لبيت (بضم الباء الأولى وتسكين الثانية) تلب لبابة ولبا ، والأعم لبيت (بكسر الباء الأولى) والضم يستقل فى المضاعف - ثم بين أوزان المستقبل (المضارع) وبين اختلاف الروايات فيه •

وثلاثى صحيح يأتى على ثلاثة أضرب فعل (بفتح العين وضمها وكسرها) وقال : ليس لمصادر المضاعف ولا للثلاثى كله قياس يحمل عليه انما ينتهى فيه الى السماع أو الاستحسان ، ومما قاله الفراء (كل ما كان متعديا من الأفعال الثلاثية فإن الفعل (بفتح الفاء وسكون العين) والفعل

(*) ط بمطبعة مصر سنة ١٩٥٢ •

(١) الأسماء الجامدة التى لا يشتق منها مثل حجر وباب وما أشبهها فانك لا تقول حجر يحجر ولا باب يبوب •

(بضم الفاء والعين) جائزان فى مصدره مثل ضرب يضرب ضربا وضروبا •

وعرض ابن القوطية للمصادر وأوزانها ثم بدأ الأفعال مرتبة على هذه
الحروف : • هـ - ع - غ - خ - ح - ج - ق - ك - س - ش -
ص - ض - ل - ر - ن - ط - ظ - ذ - د - ب - ت - ث - ز -
ف - م - و - ي •

سردها أولا بحسب فعل وأفعال بمعنى واحد - وباختلاف معنى - ثم
جاء بها وهو يعرض لما دخل الثلاثى من الهمز تحت اسم الرباعى فذكر
الصحيح والمضعف ومرة ثالثة للثلاثى على فعل باختلاف النطق •

ولم يرق هذا التقسيم لبعض العلماء فعقب عليه ورتبه على بن جعفر
ابن على السعدى المعروف بابن القطاع دون أن ينتقص من قدر صاحبه ،
ورأى فى الكتاب أمثل ما ألف فى هذا النوع من اللغة ووصفه بغاية الجودة
والإتقان وقال : (قد أربى فيه مؤلفه على كل من ألف فى معانيه) أما المآخذ
التي عدها على المؤلف فهي أنه (لم يذكر فيه سوى الأفعال الثلاثية وما دخل
عليها من الهمزة ولم يستوعب ذلك ، وترك نحو ما ذكر ، وخلط فى
التبويب وقدم وآخر فى الترتيب ، وجعل الثلاثى باتفاق معنى فى أبواب
وباختلاف معنى فى أبواب ، والمزيد بالهمزة فى أبواب ، والثنائى
المضاعف فى أبواب ، والمتفق والمختلف منه فى أبواب) فأتعب الناظر
وأنصب الحائط وصار الطالب للحرف يجده متفرقا فى الكتاب فى عدة
أبواب ولم يذكر فيه الأفعال الرباعية الصحيحة ولا الحماسية والسداسية
المزيدة (•••) (١) •

وحدد ابن القطاع (*) دوره فى تلخيص ما انغلق وتلخيص ما عسر

(١) كتاب الأفعال لأبى القاسم على بن جعفر السعدى المعروف بابن القطاع طبع

دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٦٠ هـ •

(*) هناك أيضا كتاب الأفعال لابن الحداد السرقطى وهو أيضا تلميذ لابن القوطية

ولعله سبق ابن القطاع الى تهذيب كتاب أستاذه •

وانعقد من الكتاب وحدد منهجه بقوله (...) انى احتاج ان أعرض الكتاب لكل حرف عرضه والحق به ما ترك من عدة دواوين ... فرددت كل فعل الى مثله ، وقرنت كل شكل بشكله ، ورتبته خلاف ترتيبه وهذبتة خلاف تهذيبه ، وذكرت ما أغفله من الأفعال الثلاثية ، والمزيدة بالهمزة ، والثنائية المكررة ، وأوردت الأفعال الرباعية الصحيحة ، والأفعال الخماسية والسداسية المزيدة وأثبتها على حروف المعجم حتى لا يحتاج الناظر أن يخرج من باب الا وقد استوعب جميع الأفعال على التمام والكمال ... وجمعت فيه ما اختلف فى مصنفات العلماء ... ولم أورد فيه سوى المعروف المستحسن وعديت عن الحوشى المستهجن (١) .

وقد ميز ابن القطاع ما أورده ابن القوطية بحرف القاف ، وما أضافه هو بحرف العين فبلغ الكتاب ١٢٦٣ صفحة فى ثلاثة أجزاء .

الأمويون ورعايتهم للعلم وآثر ذلك فى الميدان اللغوى :

وفى عهد عبد الرحمن الناصر الذى بلغت مدة خلافته خمسين سنة (من سنة ٣٠٠ الى سنة ٣٥٠) نعمت البلاد بالاستقرار ، وشجع علماء المشرق على زيارة الأندلس (وكان يبعث فى شراء الكتب الى الأقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الأموال لشراؤها حتى جلب منها الى الأندلس ما لم يعهدوه وبعث فى كتاب الأغاني الى مصنفه أبى الفرج الأصفهاني وكان نسبه فى بنى أمية - وأرسل اليه فيه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرج الى العراق) (٢) .

وكان ابنه الحكم المستنصر عالما لا يكتفى بجمع الكتب لتكون فى طلب المتعلمين فحسب ولكن قلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة أو نظر

(١) ص ٥ .

(٢) نفح الطيب ١ : ١٨٢ ، معجم الأدباء ١٣ : ١٠٠ .

فى أى فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتى من بعد ذلك
بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن (١) •

ومما جاء فى وصف خزائن الكتب فى عهد بنى مروان أن عدد
الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة - وفى كل فهرسة
عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين لا غير (١) وان محتويات
المكتبة فى عهد الحكم المستنصر كانت أربعمائة ألف مجلد (٢) فصارت
قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتباً ، واعتنى أهلها بجمع الكتب وصار ذلك من
آلات التعيين والرياسة (٣) •

وأستطيع القول - نتيجة لجهود عبد الرحمن وخلفائه من الأمويين -
أن الوجدادة فى الأندلس ثابت مناب السماع فى المشرق ، وحقت للذين
لم يتيسر لهم الرواية بالسماع تحصيل العلم بها عن طريق الكتب - كان
محمد بن سليمان النحوى المعروف بابن أخت غانم شديد التعلق بكتب
أبى زيد والأصمعى (٤) ، وكلفوا أشد الكلف بكتب ابن قتيبة فقال
ابن كثير فى تاريخه ان أهل المغرب كانوا يهتمون من لم يكن فى بيته من
مؤلفات ابن قتيبة شئ (٥) وجاء فى ترجمة محمد بن موسى بن هشام انه
أخذ كتب ابن قتيبة من ابراهيم بن موسى بن جميل الأندلسى (٦) وكذلك
رواها محمد بن أبى الأسود (٦) ومن الكتب التى نالت عناية الأندلسيين
كتاب الكامل للمبرد وقد أشرنا الى أن النسخة التى بأيدينا منه رواها
ابن القوطية (٧) •

(١-١) نفح الطيب ١ : ١٨٧ •

(٢) ١ : ١٨٦ المصدر السابق •

(٣) ١ : ٢٨١ نفس المصدر •

(٤) بغية الوعاة ٤٧ •

(٥) مقدمة العقد الفريد للأستاذ محمد سعيد العريان ص ١١ •

(٦-٦) ترجمة رقم ١١٧١ تاريخ ابن الفرضى ص ٣٢٩ ، بغية الوعاة ٢٢ •

(٧) سمعه من محمد بن أحمد بن سعيد المعافرى عن سعيد بن جابر - بغية الوعاة

ص ١٠ وتاريخ ابن الفرضى ترجمة رقم ١٣٥٤ •

وكان الأمويون كرؤساء المشرقين يستندون العلماء ويوفرون لهم سبب المذاكرة ، وقد يوقعون بينهم بغية المحاوراة العلمية ، ويدلك على ذلك ما جاء فى ترجمة محمد بن أرقم النحوى - وكان من علماء العربية واللغة والكلام - أن عبد الرحمن الأموى لما أمر بانشاد شعر حبيب أحضره وأحضر جماعة من الأدباء . . . فشاورهم أى القصائد تقدم فى أول الكتاب فقال له ابن أرقم : انما يفضل الشعر ويقدم لغرابة معناه ، وشعره الذى وصف به القلم له معنى لم يتقدمه اليه متقدم ولا لحقه فيه متأخر فوقعوا جميعا عليه وقالوا : الوضع يتعصب للموضع - يعنون ابن الزيات فأخجلوه - وبينما هم كذلك اذ استؤذن لأبى عبيد الله الغسانى فاذن له فلما استوى فى الجلوس سئل عما جرى من القول فقال : أخبرنى أبو الحسن المغنى أن أهل بغداد لا يفضلون على شعره الامى الذى ذكر فيه القلم شيئا لغرابة معناه ، ولم يكن الغسانى يعلم شيئا من اختلافهم فى ذلك وانما سئل عما يجب تقديمه - فاستطال ابن أرقم وقال : مثلى مع هؤلاء كما قال حبيب ابن أوس :

كلاب اغارت فى فريسة ضيغم

طروقا وهاما أطعمت صيد اجدلا

وانما يعنى أن أكون ببلد يتحكم على فيه من لا يعرف ما أقول (١) وكان أبو الحكم المنذر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المنذر ابن عبد الرحمن بن معاوية يعرف بالذاكرة لأنه اذا لقي رجلا من أخوانه قال له : هل لك فى مذاكرة باب من النحو ؟ فلهج بهذه الكلمة وأكثر منها حتى نبز بها ، وكان له مع هذا حظ وافر من العربية . قال له ابن أبى عبيدة يوما : ياسيدى يا أبا الحكم ان ذكرت فى هذا السيف ما ذكرته العرب من أسرار أجزائه من رأسه الى أسفله فهو لك . . . فأجابه الى ذلك

(١) انباه الرواة ٣ : ٦٩ .

كله حتى عجب الحاضرون من سعة علمه (١) وأبو الحكم رجل من أصحاب
الرياسة يذهب هذا المذهب في طلب المذاكرة لا تشنيه عنها أعباء السياسة •
وكان محمد بن أبي الحسين رئيساً جليلاً عالماً باللغة والأدب
استدناه الحكم المستنصر وأمره يوماً بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد
مع أبي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي وابن سبيد (٢) في دار الملك
التي بقصر قرطبة واحضر من الكتاب نسخاً كثيرة في جملتها نسخة القاضي
منذر بن سعيد البلوطي التي رواها بمصر عن ابن ولاد - وسألهم الحكم
عن النسخ فقالوا : ان نسخة القاضي أشد النسخ تصحيحاً وخطاً وتبديلاً ••
فسأل أبا علي القالي عن حقيقتها فأخبره على قول الجماعة واتصل المجلس
بالقاضي منذر فكتب الى الحكم المستنصر رقعة وفيها :

جزى الله الخليل الخير عنا

بأفضل ما جزى فهو المجازى

وما خطأ الخليل سوى المغيلي

وعضروطين في ربض الطراز (٣)

فصار القوم زرية كل زاد

وسخريا وهزاة كل هازى

فقال لهم المستنصر ان القاضي قد هجاكم - فقالوا : نجل القاضي عن
ذكره في مجلس مولانا فقال : قد بدأكم والبادئ أظلم • فقالوا : ان رام
المحافقة بحضور الشيخ أبي علي القالي حاققناه على وهمه - ومد محمد
ابن أبي الحسين يده الى الدواة فكتب :

هلم فقد دعوت الى البراز وقد فاخرت قرنا ذا نجاز

(١) انباه الرواة ٣ : ٣٢٣ •

(٢) هما أحمد بن إبان بن سيد الخمي واخوه محمد - وكلاهما من علماء اللغة
ومن تلامذة أبي علي القالي •

(٣) المغيلي هو أبو بكر المغيلي - والمعرض هو التابع الذي يخدم من أجل بطنه
وهو المعرض أيضا -

ولا تمش الضراء فقد أثرت الـ
واصجر للقاء تكن صريعا
رويت عن الخليل الوهم جهلا
دعوت له بخير ثم انحت
تهدمها وتجعل ما علاها
جزى الله الامام العدل عدا
به وريت زناد العلم قدما
وجل عن كتاب العين دجنا
بأستاذ اللغات أبى على
بهم صبح الكتاب وصيروه
أسود الغلب تخطر باحتفاز
بماضى الحد مصقول الجراز
بجهلك بالكلام وبالمجاز
يداك على مفاخر بالعزاز
أسافلها ستجزيك الجوازي
جزا، الخير فهو له مجازي
وشرف طالبيه باعتزاز
واظلاما بنور ذى امتياز
واحداث بناحية الطراز
من التصحيف فى ظل احتراز

وعرضت على المستنصر فرآها وضحك وقال : قد انتصرت وأمر بها
فختمت ثم وجه بها الى القاضى - يقول الخبر - فلم يسمع له بعد
ذلك كلمة (١) .

والخبر على هذه الصورة يمدنا بهذه الخصومة العلمية التى كان يثيرها
رجال الدولة - وقد يسترعى انتباهك وجود هذه النسخ العديدة من كتاب
العين فى بلد كالأندلس قد تحمل أصحابها مشقة انتساخها من العراق
ومصر ووضعت بعد ذلك تحت الاختبار والدرس والتصحيح .

(١) انباه الرواة ٣ : ٧١ ، جنوة المقتبس ٤٨ .

مدد من الشرق

ثم شد من أزر الرواية اللغوية مدد أتى من الشرق ، كان في طليعته أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادى القالى الذى أدرك من علماء اللغة بالعراق أبا بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى ، وأبا محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه ، وابن دريد ، والأخفش الصغير وأبا عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه ، وأبا اسحق ابراهيم بن السرى الزجاج ، وأبا بكر محمد بن السرى المعروف بابن السراج ومحمد بن مزيد بن محمود بن منصور المعروف بأبى الأزهر الى غير هؤلاء.

سمع بشهرة أبى على - الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر فكتب اليه ورغبه فى الوفود عليه لنشر علمه ، ويصف صاحب كتاب (نفح الطيب) استقبال أبى على فيقول :

(وفد على الأندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن فأمر ابنه الحكم) وكان يتصرف من أمر أبيه كالوزير ، عاملهم ابن رماحس إن يجيئ مع أبى على الى قرطبة ، ويتلقاه فى وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض أهل الكورة تكرامة لأبى على ففعل ، وسار معه نحو قرطبة فى موكب نيل (١) .

ومن آثار أبى على المشهورة : كتاب الأمالى ، والمقصود والممدود ، والابل وفعلت وافعلت ، والبارع فى اللغة ، وحلى الانسان ، والحيل وشياتها .

(١) نفح الطيب ٢ : ٤٨ ط ليدن .

أما كتاب الأملی - فقد أملاه من حفظه فی الخمسة بقرطة فی المسجد الجامع ، وأودعه فنونا من الأخبار وضروبا من الأشعار ، وغرائب من اللغات •

ورواية اللغة بما تتطلب من استظهار للمتن ، واستدكار للسند ، ووعی لمختلف الأقوال والاحتجاج لها ، علم جاف لا يكاد الانسان يمضى فی قراءة كتبه حتى يدركه الملل - ولكن كتاب الأملی لأبى على وهو من أكثر الكتب تناولا للغة وأغناها بغريبها وذكرها لرواتها يكاد يختلف عما عرفناه من كتب اللغة ، واليك طريقة أبى على ، وصورة من كتابه •

كان أبو على يتخير نصا من النصوص اللغوية - غالبا ما يكون شيقا - يرضى تطلع السامع ويحملة على المتابعة كان يكون قصة أو حديثا من أحاديث الأعراب فيه غرابة أو طلاوة ، ويجعل ذلك محور دراسته للغة - ذكر قصة أعرابي أصيب بموت سبعة من أولاده انهارت عليهم صخرة فأشأ شعرا فی هذه الكارثة - ثم يأتي دور أبى على فيشرح غريب هذا الشعر (١) وفي حديث آخر يروى قصة أعرابي يفتخر ببنه (٢) ويروى ذلك عن أبى بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه ، وليس بغريب أن يروى أكثر هذه المرويات بسندها عن الأصمعي فقد كان الأصمعي معروفا بحسن الاختيار وطلاوة الأخبار انظر الى أبى على يحكى بسنده عن الأصمعي ما وقع بين رجل من العرب وزوجته فقال :

(سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهى تقول :

والله ان شربك لاشتفاف ، وان ضجعتك لانجماف ، وان شملتك لالتفاف ، وانك لتشبع ليلة تضاف ، وتنام ليلة تخاف • فقال لها :

(١) الأملی ١ : ٦١ •

(٢) الأملی ١ : ٥٢ •

والله انك لكرواء الساقين ، قعواء الفخذين ، مقاء الرفعين ، نعاضة
الكسحين ، ضيفك جائع ، وشرك شائع (١) •

وهكذا يحتال أبو علي في ايراده للغريب بمثل هذا الجبر الطلي
ويستهوى به السامع ليعرف بمفرداته ومما قاله أبو علي في أعقاب الجبر
السابق :

(الانجفاف - الانصراع ويقال : ضربه فجافه ، وجعفه ، وجفاه ،
وكوره ، وجوره ، وجعفله ، وقطره اذا ألقاه على أحد قطريه قال
طفيل :

وراكضة ما تستجن بجنة بعير حلال غادرته مجعفل

(حلال بكسر الحاء : مركب من مراكب النساء) •

وانكأ اذا ألقاه على هيئة المتكئ ، وقال أبو زيد ضربه فقحزنه ،
وجحدله اذا صراعه - وقال الأصمعي وابن الأعرابي : بركه : صرعه
وأشد بيتا لرؤبة ••• وقال غيرهما البركة : القيام على أربع ويقال :
تبركت الحمامة لذكرها أى بركت ، والكرواء : الدقيقة الساقين ،
والكرا دقة الساق • والكرى : النوم : والكرا بمعنى الكروان • وكراء
ممدودا : موضع وقال أبو بكر القعواء : المتباعدة ما بين الفخذين ولم اسمع
هذا من غيره والذي ذكره اللغويون في كتبهم فيما قرأته الفجواء المتباعدة
ما بين الفخذين ، وقوله : مقاء قال أبو زيد المقاء : الدقيقة الفخذين وكذلك
الرففاء ، وقال الأصمعي : المقاء : الطويلة ، والمقق الطول ، ورجل
أفق : طويل ••• (٢) •

(١) الامالي ١ : ١٠٤ .

(٢) الامالي ١ : ١٠٤ - ١٠٥ .

تري هل كانت قصة الأعرابي وزوجته من صنع أبي على اتخذها
سبباً لمذاكرة الغريب • كدت أذهب الى هذا الظن لولا ما جاء به
من السند •

ثم ذيل أبو على كتاب الأملى بكتاب في النوادر لا يكاد يختلف في
طريقة تصنيفه عن كتاب الأملى •

ويعد كتاب الأملى من كتب اللغة الهامة ، وقد أثار اهتمام الكثير من
علماء اللغة فألف أبو عبيد البكري الأندلسي كتاب التنبيه على اغلاط أبي على
في أماليه - ثم عمل كتاباً شاملاً في شرح الأملى سماه (كتاب اللآلى في
شرح أمالى القالى) ضمنه هذه التنبيهات وعقب على ذلك الأستاذ عبد العزيز
الميمنى فقال : (وهذه التنبيهات توجد فى اللآلى أوفى وأوعب مما فى
التنبيه وكأنه رحمه الله التقطها من اللآلى وأفردها فى كتاب مفرز ليقدمه
الى المعتمد ويسمه باسمه فانى لم أجد فيه شيئاً زائداً على ما فى اللآلى
اللهم الا أسطراً نقلتها فى تعليقاتى) (١) •

حدد البكري منهجه فى كتاب اللآلى فى مقدمة يقول فيها (هذا
كتاب شرحت فيه من النوادر التى أملها أبو على اسماعيل بن القاسم القالى
ما أغفل ، وبينت من معانى منظومها ومنثورها ما أشكل ، ووصلت من
شواهد وسائر أشعارها ما قطع ، ونسبت من ذلك الى قائله ما أهمل ...
وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله ذكر مرجع ناقد ، ونبته على ما وهم
فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند محتج على جميع ذلك بالدليل
والشاهد) (٢) •

(١) مقدمة سمط اللآلى بقلم الأستاذ عبد العزيز الميمنى •

(٢) سمط اللآلى ١ : ص ٣ ويحتوى على النصف الأول من اللآلى فى شرح أمالى •

القالى لأبى عبيد البكري بمنظرة الميمنى - وانظر العدد ١٣٥ من مجلة الرسالة ص ١٩٨
٣ فبراير سنة ١٩٣٦ - مقال للأستاذ أحمد أمين •

وفى العصر المتأخر أخرج الأستاذ عبد العزيز الميمنى أستاذ اللغة العربية بجامعة عليكرة كتاب سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى (ووقف فى كثير من المواضع موقف الحكم بين أبى على وأبى عبيد ينتصر لهذا حيناً ، وذاك حيناً بالدليل والبرهان ورأى ان أبا عبيد البكرى اقتصر فى شرحه ونقده على كتاب الأمالى دون الذيل فوقف الميمنى موقف البكرى فى ذلك وشرح الذيل ونقده (١) •

أما كتاب البارع فهو أول معجم يظهر فى المغرب - يصفه الزبيدى وكان تلميذا لأبى على بأنه فاق كتاب العين بأربعمئة ورقة لأن القالى ذكر بعض الأصول التى كان يراها صاحب العين مهملة ورتبها كترتيب العين الا من اختلاف فى ترتيب الأبجدية - وقد أخبر ولده أن أباه بدأ كتاب البارع فى رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة ثم قطعته علل وأشغال ثم عاود النظر اليه بأمر أمير المؤمنين وتأكيده عليه فبدأ فيه ثانية فى سنة تسع وأربعين وثلاثمئة حتى أكمله ، وبدأ بنقله حتى أتم كتاب الهمز والهاء والعين ثم مرض وتوفى قبل ان يتمه (٢) فشارك فى اتمامه محمد بن الحسين الفهرى البراق ومحمد بن معمر الجيانى •

ويبدو ان أبا على وقد استشعر أهمية كتاب العين ، وحرص ابن دريد على اخراج معجم الجمهرة رأى من الفائدة أن يعمل كتابا على هذه الشاكلة فعمل البارع الذى يقول فيه السيوطى (وأصح كتاب وضع فى اللغة على الحروف بارع أبى على البغدادى وموعب ابن التيانى) (٣) •

وقد عثر على قطعتين من معجم القالى أحدهما فى المتحف البريطانى وأخرى فى المكتبة الأهلية بباريس نشرهما وقدم لهما الأستاذ ا • س •

(١) انظر مقال الاستاذ أحمد أمين فى الرسالة العدد ١٣٥ فى ٣ فبراير سنة ١٩٦٦

(٢) انباه الرواة ١ : ٢٠٩ •

(٣) المزهر ١ : ٨٩ •

فلتن الذى يقول : (من بين الوثائق التى عثر عليها أمناء المتحف البريطانى وثيقة ترجع أقدميتها الى هذا النموذج من الخطوط القديمة فهى مكتوبة بخط أندلسى يرجع الى القرن الحادى عشر الميلادى تقريبا يتضمن جذاذات من معجم عربى كبير اسمه الكتاب البارع فى اللغة ٠٠٠ وعندما عثر على هذه الوثيقة كانت الأوراق مربوطة بعضها الى بعض فى غير عناية وكان الترتيب الأبجدى يقودنا الى الترتيب الصحيح ٠٠٠) •

والمخطوط الآخر وجد بمحض الصدفة فى مكتبة يحتمل أن تكون فى شمال افريقية أو الشرق الأدنى ٠٠٠ وهو أيضا بخط أندلسى يرجع الى نفس العصر الذى كتبت به النسخة الأولى ولكن بخط ناسخ آخر ، وتبلغ المجموعة الأولى ثلاثة أمثال ونصف القطعة الثانية ولا تشترك القطعتان الا فى ثمان صفحات فقط •

ولم تقف الفائدة التى غنمتها الأندلس عند شخص أبى على . وما استوعبه ونقله من علم المشرق بل حمل معه من الكتب ما يعتبر ثروة لغوية وأدبية أشار الى بعضها ابن خير فى فهرسته ومنها دواوين ذى الرمة ، وعمرو بن قميئة وعلقمة بن عبدة ، ونقائض جرير والفرزدق ، ودواوين النابغة الجعدي ، وأوس ابن حجر ، والأخطل ، وعمر بن أبى ربيعة ، وجرير بعد ان قرأها على نفطويه - وكذلك أحضر دواوين الحنساء ، والحطيئة وجميل وأبى النجم العجلي والنابغة الذبياني ، والشماخ بن ضرار ، والأعشى ميمون بن قيس ، والمثقب العبدى ، وكثير بن عبد الرحمن ، والقطامي ، وعدى بن زيد ، وعبد بن الطيب ، والافوه الازدى - وطفيل ، وعبيد بن الأبرص ، والمرقش الأكبر والأصغر ، وسلامة ابن جندل ، وقيس بن الحطيم ، والطرماح بن حكيم ، وامرئ القيس ابن حجر ، ودريد بن الصمة ، وأبى خلدة ، وخمسة أجزاء من شعر رؤبة ، وأربعة عشر جزءا من شعر الهذليين بعد أن قرأها على ابن دريد

وأحضر معه ديوان معين بن أوس المزني ، واستملى المفضليات من الأخفش وسمعها من ابن الأنباري الى منتصف الجزء الثالث منها - أما الدواوين التي أحضرها - وقد سمع بعضها على شيوخه ولم يتيسر له سماع بعضها الآخر فمنها شعر مالك بن الريب ، وعروة ، وشعر المغيرة بن حنبل وأخيه صحن ، وجزء من شعر عمر بن شأس ، وزهير بن أبي سلمى ، وجزء من شعر أبي تمام ، وديوان أبي نواس وشعر طرفة الى غير ذلك مما فصله ابن خير في فهرسته - وقد رتبت ما اقتبسته منه بحسب السماع (١) .

وكان أبو علي صاحب مدرسة في الأندلس كان من أهم رجالها :

● ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي :

يصفه ابن خلكان بأنه كان أوحيد عصره في علم النحو ، وحفظ اللغة ، وأخبر أهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر (٢) واختاره الحكم المستنصر لتأديب ولده ، وروى عنه ابنه الوليد محمد ، وإبراهيم بن محمد الأقبلي النحوي (٣) ومن مؤلفاته التي تتصل باللغة :

- استدراك على كتاب العين نشره الأستاذ جويدي سنة ١٨٠٠ م
- الواضح في النحو ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية .
- أبنية الأسماء يصفه صاحب كشف الظنون بأنه من نوادر الدهر .
- لحن العوام .
- مختصر العين ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٦ نوه به أبو الحسن الشاربي فقال « كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات

(١) انظر فهرست ابن خير ١ : ٣٩٦ .

(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٧ .

(٣) معجم الادباء ١٨ : ١٨٠ .

التي فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدي و . . . ،
وقال الشاربي : لهج الناس كثيرا بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه
وفضلوه على كتاب العين لكونه حذف ما أورده كتاب العين من الشواهد
المختلفة والحروف المصحفة والأبنية المختلفة (١) وقد نقل السيوطي
بعض ما جاء في كتاب الزبيدي وبين التصحيحات التي وجدت في كتاب
العين وكيف عالجها أبو بكر ونكتفي بالاحالة إليها لكثرتها (٢) .

● أبو عبد الله محمد بن عاصم النحوي :

وهذا عالم آخر تلمذ لأبي علي ، وصفه كتاب التراجم بأنه كان
لا يقصر عن أصحاب المبرد (٣) .

● أحمد بن إبان بن السيد :

أخذ عن أبي علي القالي ، وصنف كتاب العالم في اللغة في نحو مائة
مجلد مرتب على الأجناس (٤) وحدث بكتاب الكامل للمبرد عن سعيد
ابن جابر ، وأخذ عن أبي علي كتاب النوادر ، وروى أنه شرح كتابا
للكسائي - أو الأخفش (٥) لم أتبين ما هو .

● هارون بن موسى بن صالح :

يقول هارون (استكثرت من الاختلاف إليه - أي إلى أبي علي - ولم
أفارقه حتى مات) (٦) وسمع منه كتاب النوادر وله تصنيف في تفسير
عيون كتاب سيويه (٧) .

(١) الزهر ١ : ٨٧ .

(٢) ٢ : ١١٠ و ٢٧٤ و ٢٨١ الزهر .

(٣) انباه الرواة ٣ : ١٩٧ وتاريخ ابن الغرضي ٢ : ٧٦ وبغية الوعاء ٥٠ .

(٤) معجم الأدباء ٢ : ٢٠٣ .

(٥) انباه الرواة ١ : ٣١ .

(٦) الصلة ٢ : ٥٩٦ وانباه الرواة ٣ : ٣٦٢ .

(٧) انباه الرواة ٣ : ٣٦٢ .

● محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي :

صحب أبا علي وأكثر الملازمة له (١) كما كان يورق له .

ومن علماء المشرق الذين وفدوا على الأندلس أبو العلاء صاعد ابن الحسن الربعي اللغوي البغدادي - ورد على المنصور بن أبي عامر فعظمت منزلته عنده وكان يجيب في كثير من غريب اللغة حتى ظن أنه يخلق الاجابة ودارت القصص حول هذه الظاهرة فيحكى أنه دخل على المنصور وفي يد المنصور كتاب ورد عليه - قال له عامل في بعض البلاد اسمه ميدمان بن يزيد يذكر فيه القلب ، والتزويل - وهذه عندهم أسماء لمعانة الأرض قبل الزرع فقال له : أبا العلاء ؟ قال : ليك مولانا . قال : هل رأيت فيما وقع اليك من الكتب كتاب القوالب والزوالب لميدمان بن يزيد ؟ قال : أي والله يا مولانا رأيته ببغداد في نسخة لأبي بكر بن دريد بخط كأكرع النمل في جوانبها علامات الوضاع هكذا هكذا . فقال له : أما تستحي أبا العلاء . هذا كتاب عاملي ببلد كذا وكذا ، واسمه كذا يذكر فيه كذا وانما صنعت لك هذه الترجمة مولدة من هذه الألفاظ لاختبرك فجعل يحلف له انه ما كذب وانه أمر وافق (٢) .

ويبدو ان صاعدا كان على درجة من العلم وسرعة البديهة وأن ما أشيع حوله قد يصدر عن خصومة معاصريه - ولو كان الخبر السابق صحيحا لكان وحده كافيا لقلّة الثقة فيه ، وعدم الاعتماد عليه وحرمانه من مجلس المنصور أبي عامر ومما يشدني الى هذا الرأي بيان الصنعة في خبر آخر رواه صاحب كتاب جذوة المقتبس (٣) وفيه من الألفاظ مالا يجوز الإفصاح بها في مجلس الأمير مجاهد بن عبد الله العامري ، وقد تركناه

(١) انباه الرواة ٣ : ٦٣ .

(٢) المعجب ٢١ ، جذوة المقتبس ٢٢٥ .

(٣) جذوة المقتبس ١٧١ .

وذكر صاحب جذوة المقتبس حديثاً آخر يكشف في صراحة موقف بعض العلماء من صاعد وحسدهم له .

كان مجلس المنصور أبى عامر مجعاً للعلماء ، وفيه أبو القاسم الحسين ابن الوليد المعروف بابن العريف النحوى وهو امام فى العربية - لم يستطع هذا الرجل أن يخفى حسده لصاعد حين جيئ الى المنصور بوردة فى مجلس من مجالس أنسه أول ظهور الورد فقال أبو العلاء لوقته .

اتتك أبا عامر وردة
يحكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصر مبصر
فغطت بأكمامها رأسها

فاستحسن المنصور ما جاء به وتابعه الحاضرون فحسده أبو القاسم ابن العريف فقال : هى لعباس بن الأخف ، فناكره صاعد فقام ابن العريف الى منزله ووضع أبياتا وأثبتها فى دفتر وأتى بها قبل افتراق المجلس وهى :

عشوت الى قصر عباسه
وقد جدل النوم حراسها
قالفتها وهى فى خدرها
وقد صرع السكر أناسها
فقال أسار على هجة
فقلت بلى ، فرمت كأسها
ومدت الى وردة كفها
يحاكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها رأسها
وقالت خف الله لا تفضح

ن فى ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على غفلة
وما خنت ناسى ولا ناسها

فخجل صاعد وحلف ، فلم يقبل ، وافترق المجلس على أنه
سرقها (١) .

ويعزو صاحب جذوة المقتبس هذه المحاولات فى النيل من صاعد الى
كثرة مزاحه فقال (ولولا أن أبا العلاء كان كثير المزاح لما حمل الا على
التصديق - وقد ظهر صدقه فى بعض ما قال) (٢) .

(١) جذوة المقتبس ١٧١ .

(٢) جذوة المقتبس ٢٢٤ .

من أهم مجالس قرطبة

كانت قرطبة حاضرة الأندلس ، ومسجدها الجامع يغص بالمحدثين خاصة حتى طغت مجالسهم على مجالس اللغويين وان لم تخل من دراسات لغوية والذين اشتهر أمرهم باللغة كان لهم سبب يتصل بالحديث والفقه - وإذا كان مقصدنا استخلاص رجال اللغة فاننا لانستطيع ترك هذا التفرد الذي جمع بين الفقه ، والحديث ، واللغة - فمن أوائل علماء الأندلس أبو موسى الهواري وبالرغم من أنه لقي الأصمعي وأبا زيد الأنصاري في رحلته الى المشرق ، وداخل الأعراب في محالها ، فانه لما قدم من المشرق وذهب الناس يهنئونه بقدومه ويعزونه عن فقد كتبه قال لهم: (ذهب الخرج وبقي ما في الدرج ، انا شعبي زمانى فليسانى من شاء منكم عما شاء) ، وهذه عبارة يفهم منها أنه بلغ في الحديث والفقه والأدب مبلغ الشعبى ولم ينسب نفسه لرجل لغة كالأصمعي ، بل كانت شهرته في الفتيا هي السمة الدالة عليه ، يدل ذلك قول العتبي : (كان أبو موسى اذا قدم قرطبة لم يفت عيسى (١) ولا سعيد بن حسان (٢) حتى يرحل عنهما) (٣) .

وكانت هذه أيضا صورة الغازي بن قيس وهو ممن لقي الأصمعي ونظراءه - وكان جودى بن عثمان قد رحل الى المشرق وأخذ عن الرياشي والكسائي والفراء الا أنه لم يشتهر مجلسه في قرطبة لأنه أعطى جزءا من عنايته لتأديب أولاد الخلفاء (٤) .

(١) هو عيسى بن دينار الفافقي وكان اماما في الفقه على مذهب مالك .

(٢) هو أبو عثمان سعيد بن حسان الصائغ فقيه مالكي محدث .

(٣) طبقات الزبيدي ٢٧٦ .

(٤) انباه الرواة ١ : ٢٧١ ومعجم الادباء ٧ : ٢١٣ وبغية الوعاة ٢١٣ .

ثم أخذت اللغة شكل تفسير الغامض والغريب من الألفاظ في مجلس محمد بن عبد الله الغازي وكان قد جلب الى الأندلس علما كثيرا من الشعر والغريب والعربية والأخبار وتلمذ له في الأندلس من يرغب في هذه الشروح (١) .

مجلس الحشني :

وفي مجلس محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الحشني احتلت العربية مكانا بارزا بالرغم من معرفة الحشني بالحديث ، ويبدو أنه عمل على اعداد نفسه لهذه المهمة وتلمذ لرجال اللغة في المشرق فلقى أبا حاتم السجستاني ، والعباس بن الفرغ الرياشي ، ونصر بن علي الجهمي وأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية عن الأصمعي ، وحمل الى الأندلس كثيرا من اللغة والشعر الجاهلي رواية - وقال فيه ابن الفرضي (لم يكن عند الحشني كبير علم بالفقه ، انما كان الغالب عليه حفظ اللغة ورواية الحديث) (٢) .

وعمر مجلس الحشني بالتأديبين فتلمذ له أبو خالد يزيد بن طلحة الذي يعرف بيزيد الفصيح وكان بصيرا باللغة والنحو والشعر (٣) وأبو الحزم عفير بن مسعود بن عفير الغساني وكان حافظا للغة وأخبار العرب وأيامها وراوية للشعر (٤) .

ويروى عفير قصة تبرز فضل الحشني وثقة عفير فيما تلقاه عنه فقال (لما قدم العجلي من العراق - وهو أعرابي فيما نرجحه - منع كتبه وضمن بها واستدعى الناس الى أن يملئ عليهم ، فتسارب الناس اليه ، وانحفلوا الى مجلسه ، فخلا مجلس الحشني - قال عفير : فقال لي الحشني : مالك

(١) طبقات الزبيدي ٢٨٩ وبغية الوعاة ٥٨ .

(٢) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٣١٦ ترجمة رقم ١١٣٢ .

(٣) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٦١ ترجمة رقم ١٦٠٦ .

(٤) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٢٨٠ ترجمة رقم ١٠٠٦ .

لاتسرع الى ما أسرع الناس اليه ؟ فقلت له : لست أبغى به بدلا . فقال :
أحب أن تأتي الرجل وتشهد مجلسه ، فعدت الى العجلي فحضرته يملئ :
المرّة : العداوة وجمعها مرر ، وكان أحد من يكتب بين يديه زيد الجياني
فقلت : يرحمك الله قال أبو عبيد في المصنف : الثرة : العداوة ، وجمعها
مثر . قال : فكأنني أنظر الى زيد قد محّا ما كتب ، وقال : هذا الحق ،
ثم رددت عليه كلمة ثانية ، وثالثة في المجلس فانفض الناس عنه ، ولم
يعد اليه بعدها أحد وبدر الخبر الى الحسن ، فلما أتيت استداني وقبل
بين عيني وقال لي : نعم مستودع العلم أنت (١) .

ويبدو أن شهرة عفير قد حفزت بعض العلماء أن يتلمسوا سقطه وأن
يلغزوا له في الامتحان فمن ذلك أن أحمد بن بشر بن الأغبس ،
وعبد الملك بن شهيد وكاتا من علماء العربية بالأندلس قد استخرجا من
كتاب العين حروفا مهملّة ، ونسخا من ذلك دفترا ضخما ، ولقيا عفيرا
بالكتاب ، وأغربا به عليه فأبطل جميع ذلك وأسقطه ودفع أن يكون من
كلام العرب فقال له عبد الملك بعد أن نهض اليه فقبل يده (قبح الله بلدا
ضاع فيه مثلك) (٢) .

مجلس أبي عبد الله محمد بن
يحيى بن عبد السلام الأزدي :

رحل أبو عبد الله الى المشرق فلقي أبا جعفر النحاس المصري وحمل
عنه كتاب سيبويه رواية - وعقد مجلسه في قريته يروي الناس كتاب
سيبويه ، ويعقد فيه للمناظرة مجلسا في كل جمعة وسلك في ذلك مسالك
المشاركة في حسن التعليل لمسائل النحو يقول الزبيدي وهو يترجم له
(. . .) ولم يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم من غنى بالنحو كبير علم

(١) طبقات الزبيدي ٢٩٨ .

(٢) طبقات الزبيدي ٢٩٩ .

ملاحظتنا على الرواية فى الأندلس

فى سياق البحث ، كنا نلمح بعض الظواهر التى استرعت انتباهنا فى الأندلس بخاصة ، وكنا نتساءل عن أسبابها ، أو أسباب وضوحها هنا على نحو يخالف ما ألفناه فى البيئات الأخرى ، فمن ذلك :

الاهتمام بدراسة الحديث :

كانت خطتنا - البحث عن رواية اللغة فى كل البيئات العلمية - فعرضنا لكىب التراجم التى تناولت رجال الأندلس فإذا بنا أمام بيئة أعطت لدراسة الحديث كل اهتمامها لدرجة أنه كان من الصعب أن نستخلص رجال اللغة من بينهم ، بل كان الرجال الذين عرفوا بالدراسات اللغوية يتصلون اتصالاً وثيقاً بالحديث - وكان أكثر الذين ذهبوا الى المشرق فى طلب العلم - ان لم يكن كلهم - قد ذهبوا يبحثن عن الحديث أولاً فالتقوا فى خلال هذا السعى برجال اللغة هناك •

كان لابد من الوقوف أمام هذه الملاحظة تبين أسبابها • والرأى عندى أن دواعى الرواية اللغوية فى المشرق كانت تختلف عن دواعيها هنا فى الأندلس فلقد ظهرت بادىء الأمر فى مجالس العلم حين جاء المسلمون العرب وغير العرب يستوضحون ما غمض عليهم من ألفاظ القرآن ويجدون بغيتهم هذه فى البادية الفصيحة ، أو عند أوائل العلماء الذين اتصلوا بالبادية الفصيحة على النحو الذى ذكره السيوطى فى قصة ابن عباس مع نافع بن الأزرق اذ قال لصاحبه نجدة بن عويمر : قم بنا الى هذا الذى يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به - فقاما اليه فقلا لابن عباس : انا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ، فتفسرها لنا وتأتينا بمصادق.

من كلام العرب فان الله تعالى انما أنزل القرآن بلسان عربي مبين • فقال ابن عباس : سألني عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال : العزون حلق الرفاق • قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

**فجاءوا يهرعون اليه حتى
يكونوا حول منبره عزيزا**

قال : أخبرني عن قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) قال : الوسيلة الحاجة • قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم • أما سمعت عنترة يقول •

**ان الرجال لهم اليك وسيلة
ان يأخذوك ، تكحلي وتخضبني**

وهكذا أخذ نافع يلقي اليه بالغريب فيسوق ابن عباس تفسيره ، ويأتي بمصادقه من أشعار العرب حتى بلغت أسئلة نافع ثلاثا وثمانين مسألة (١) •

ثم أخذت الرواية في العراق في استيضاح الغريب والعودة الى الآثار الأدبية يستعينونها فهمه وقد اعتمدت الرواية اللغوية في أول نشأتها على القراء وكانت أبحاثهم الأولى تحمل اسم الغريب ، غريب القرآن ، غريب الحديث غريب الشعر أيضا • فلقد وجدنا مجلسا مبكرا لابن أبي اسحق - وهو من القراء - يشرح فيه الشعر ، ويفسر ما استتر من غريبه •

والوضع هنا يختلف ، ويتخذ في الأندلس شكلا آخر ، فالدراسات القرآنية كانت قد استفادت في الشرق بما سبق به أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه (مجاز القرآن) والقراء فيما كتبه في (معاني القرآن) وابن قتيبة

فى كتابه (تأويل مشكل القرآن) الى غير ذلك مما أوضحه ابن النديم فى كتاب الفهرست (١) .

كان الأندلسيون يعنون بالحديث لأنه فصل ما أجمله القرآن الكريم . وكان لابد لهم من مذاكرة غريبة فاتصلوا بكتب المشرقين التى عنيت بهذا الوجه . كان لأبى عبيد القاسم بن سلام كتاب غريب الحديث وكتاب آخر فى غريب اللغة اسمه (الغريب المصنف) - وكان لابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، والمشتبه من الحديث والقرآن ، وغريب الحديث . فلم أعجب حين رأيت غاية الأندلسيين بأبى عبيد ، وابن قتيبة بل كانت مؤلفاتهما من العمد التى اعتمد عليها لغويو الأندلس ، وربطوا بهذه الكتب سيهم الى اللغة - جاء ذلك فى كثير من تراجمهم التى نسوق اليك أمثلة منها :

- خصيب الكلبى . . . له كتاب مصنف فى اللغة نحو مصنف أبى عبيد (٢) .

- طاهر بن عبد العزيز - كان من أهل العلم باللغة والغريب والرواية للحديث ، وأدرك عليا بن عبد العزيز وحمل عنه علم أبى عبيد (٣) . وقال ابن الفرضى (وسمع الناس من طاهر بن عبد العزيز كتب أبى عبيد . . (٤) .

- واعتمد عفير بن مسعود على كتاب الغريب المصنف لأبى عبيد فى مناقشته للعجلى قال : (حضرته يملئ المرة : العداوة وجمعها مرر . . . فقلت يرحمك الله قال أبو عبيد فى الغريب المصنف : المثرة : العداوة

(١) الفهرست لابن النديم ص ٥٠ وما بعدها .

(٢) طبقات الزبيدى ٢٨١ وبغية الوعاة ٢٤١ .

(٣) طبقات الزبيدى ٢٩٧ .

(٤) تاريخ ابن الفرضى ١٧١ ترجمة رقم ٦١٧ .

وجمعها مثر - قال : فكأنى أنظر الى زيد قد محا ما كتب (١)
- وكان موسى بن أضر عالمًا باللغة . . . يقرأ عليه شرح الحديث ،
والغريب المصنف ظاهرا (٢) .

- وكان ثابت بن عبد العزيز وابنه قاسم من أهل العربية والحفظ للغة
وقد ذكرنا أنهما ألفا كتابا فى شرح الحديث - نسب أحيانا لثابت
وأحيانا لقاسم قرظه أبو على وعقب على هذا التقرىظ محمد بن حسن
فقال : (ولو قال اسماعيل انه لم ير بالمشرق كتابا أكمل من كتاب
قاسم فى معناه لما رددت مقالته على أن لأبى عبيد فى هذا الفن فضل
السبق اليه) (٣) والعبارة الأخيرة تحمل كما ترى اهتماما بكتاب
أبى عبيد ووضعه فى المقارنة مع هذا العمل الفذ الذى أنجبه
ثابت وولده .

- وكان ابرهيم بن محمد النحوى المعروف بابن الافليلى من الذين عنوانوا
بالغريب المصنف لأبى عبيد (٤) .

وقد يسأل سائل ان عناية الأندلسيين بكتاب غريب الحديث لأبى عبيد-
شاهد على ما ذهبنا اليه - فما بال كتابه الغريب المصنف وهو كتاب لغة ومن
حق اللغويين الرجوع اليه والتأليف على نمطه - قلنا ان عناية الأندلسيين
بالحديث حتى اللغويين منهم جعلهم يتصلون بكتب أبى عبيد عامة ومن بينهما
هذا الكتاب اللغوى ، ولقد كان لدى المشاركة الكثير من كتب اللغة
لم تشتهر شهرة الغريب المصنف .

وأرجح أن صلة الأندلسيين بكتب ابن قتيبة تعود الى دور هذا الرجل

(١) وزيد هو زيد الجبانى وكان قد حضر المجلس طبقات الزبيدى ٢٩٨ .

(٢) طبقات الزبيدى ٢٩٩ .

(٣) طبقات الزبيدى ٣٠٩ .

(٤) انباه الرواة ١ : ١٨٤ .

ففي دراسة القرآن والحديث - كان قاسم بن أصبغ قد روى عن ابن قتيبة فسمع ابن القوطية كتاب معاني القرآن لابن قتيبة عن قاسم (١) وروى محمد بن موسى بن هاشم - وهو من اللغويين - كتب ابن قتيبة عن ابراهيم ابن جميل الأندلسي أخذها عنه بمصر (٢) وتحدث ابن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان فقال : قرأت عليه المعارف لابن قتيبة وسمعت عليه شرح غريب الحديث ، أخبرنا بهما عن قاسم بن أصبغ عن عبد الله ابن مسلم بن قتيبة (٣) •

وهكذا كان جزء كبير من عناية اللغويين يعتمد على المحدثين عامة وعلى أبي عبيد ، وابن قتيبة خاصة لصلتهما بهذا الوجه •

شعر أبي تمام :

ولقد وجدناهم بالمشرق يعنون بالآثار الأدبية والشعر القديم الذي صدر في الجاهلية وصدر الاسلام على أنه أوثق المصادر لرواية اللغة ، ووجدنا طرفا من هذا في الأندلس - ولكن مابالهم يعنون بشعر حبيب أشد العناية ، وليس أبو تمام من الجاهليين ولا من شعراء صدر الاسلام ونحن نعرف أنه توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين ؟

لقد رحل أبو عبد الملك عثمان بن المثني الى المشرق فلقي أبا تمام وقرأ عليه ديوان شعره وأدخله الى الأندلس رواية عنه (٤) ، وكان أبو عبد الله الغابى يقرأ عليه شعر حبيب (٥) وكان لأبي عبد الله محمد

(١) جدوة المقتبس ٧٢ •

(٢) طبقات الزبيدي ٣٠٥ •

(٣) جدوة المقتبس ٢٧٧ •

(٤) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٢٤٩ •

(٥) طبقات الزبيدي ٣١٥ •

ابن عبد الله المكفوف المعروف بابن الأصفر بصّر شعر حبيب (١) ، ولوليد بن عباس بن حارث الطيخى شروح فى شعر حبيب (٢) وعنى عبد الرحمن الأموى شعر حبيب فكان يأمر باشاده فى مجلسه ويسأل عن أى قصائده أحق بالأولية فى ترتيب ديوانه (٣) ومما جاء فى ترجمة ابن الأفيلى أنه كان حافظا للأشعار واللغة - قائما عليها - عظيم السلطان على شعر حبيب الطائى وأبى الطيب المتنبى كثير العناية بهما خاصة (٤) فهل كان ذلك اتجاها أدبيا نشأ عند المتقدمين من رجال الأندلس ثم أصبح تفسير هذا الشعر شيئا يجرى فى حلقات اللغويين تقليدا لما جرى عليه هذا الاتجاه ؟ ولماذا اختاروا شعر أبى تمام واللغة انما تعتمد على الأشعار القديمة قبل أن يشوبها سعة الفتح - ان موقف رجل كأبى عمرو بن العلاء فى الشرق يعجب بشعر جرير والفرزدق ، ولا يراهما الا مولدين بالاضافة الى أشعار القدامى يجعلنا تساءل عن عناية الأندلسيين بشعر أبى تمام دون أن نحظى بسبب يربطنا برواية اللغة ومبلغ جهدنا أن نقول انه كان لونا أدبيا يستريحون اليه من عناء اللغة والنحو .

عناية الاندلسيين بالمعاجم :

اتصل الأندلسيون بكتاب العين وجمعوا نسخا عديدة منه (٥) أخذوا فى مقابلتها ومناقشة ما بدا لهم مغلوطا أو مصحفا - وجاء أبو على البغدادى الى الأندلس وشارك فى هذه الدراسات حول كتاب العين - ولم يلبث أن وضع معجما فى اللغة سماه البارع - ثم جاء من بعده أبو بكر الزبيدى فعمل استدراكا على كتاب العين ومختصرا له - ولم يرض التينى تمام

(١) ط الزبيدى ٣٢٨ .

(٢) طبقات الزبيدى ٣٢٩ .

(٣) انباه الرواة ٣ : ٣١٦ .

(٤) الصلة ١ : ٩٣ وانباه الرواة ١ : ١٨٤ .

(٥) جذوة المقتبس ٤٨ .

ابن غالب عن الكتاب الذى عمله الزيدى واختصر فيه العين فعمل كتابا سماه تلقيح العين وأتى فيه بما فى العين من صحيح اللغة الذى لا اختلاف فيه على وجهه دون اخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب ... ثم زاد فيه ما زاده ابن دريد فى الجمهرة (١) ثم ألف المواعظ فى اللغة .

وعلى أثر هؤلاء جاء ابن سيدة فألف المخصص ، والمحكم وهما من أشهر المعاجم فى الأندلس - ولولا التزامنا بالوقوف عند نهاية القرن الرابع - وقد تجاوزناه بقليل - لتناولنا الحديث عن ابن سيدة وهو من أشهر اللغويين فى هذا البلد .

أهم المصادر والمراجع :

- الإبدال : لأبى الطيب اللغوى نشره عز الدين التتوخي ضمن مطبوعات المجمع العلمى العربى .
- الاتباع والمزاوجة : لأبى الحسين أحمد بن فارس ط السعادة سنة ١٩٤٧ .
- الاتقان فى علوم القرآن : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط الحلبي سنة ١٣٧٠ هـ . ١٩٥١ .
- احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم : لأبى عبد الله محمد بن أحمد المقدسى ط ليدن سنة ١٩٠٦ .
- اخبار النحويين البصريين : لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ط الحلبي سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- أدبنا العربى فى عصر الولاة : د . محمد كامل حسين ط القاهرة سنة ١٩٦١ .
- أدب مصر الاسلامية فى عصر الولاة : للدكتور محمد كامل حسين ط دار الفكر العربى سنة ١٩٤٧ م .
- الأئمة والأئمة : لأبى على المرزوقى الأصفهاني ط حيدر آباد ١٣٣٣ هـ .
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى : أحمد بن خالد الناصرى السلاوى ط القاهرة سنة ١٣١٢ هـ .
- الاشتقاق : لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ط أوروبا سنة ١٨٥٤ .
- اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ط دار الكتب سنة ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م .
- الأغاني : لأبى الفرج الأصفهاني ط دار الكتب من سنة ١٩٢٧ م .
- الأفعال : لأبى بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية ط مصر سنة ١٩٥٢ م .
- الأفعال : لأبى القاسم على بن جعفر السعدى المعروف بابن القطاع ط دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد سنة ١٣٦٠ هـ .

- الأمالي : لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي ط السعادة
سنة ١٣٢٤ هـ
- الأمالي : لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي ط دار الكتب من
سنة ١٩٢٦ م
- الأمثال والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
سنة ١٩٣٩ م
- أنباء الرواه : لأبي الحسن علي بن يوسف القفطى ط دار الكتب من
سنة ١٩٥٠ م
- الانتصار لواسطة عقد الامصار : لابن دقياق ط مصر سنة ١٣٠٩ هـ
- بقية الملمس في تاريخ اهل
الاندلس : لأحمد بن يحيى بن أحمد الغرضى ط مدرود سنة
١٨٨٤ م
- بقية الوعاه في طبقات اللغويين
والنحاة : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط السعادة سنة
١٣٢٦ هـ
- البلدان : لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح ط ليدن سنة ١٨٩٠ م
- بلدان الخلافة الشرقية : تأليف جاي لسترنج ط بغداد سنة ١٩٥٤ م
- البيان المغرب في اخبار المغرب : لابن عذارى المراكشى ط ليدن سنة ١٩٤٨ م و ط بيروت
سنة ١٩٥٠ م
- البيان والاغراب عما بارض مصر
من الاعراب : للمقريزى ط مصر سنة ١٩٦١ م
- البيان والتبيين : لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ط
الاستقامة سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م
- تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعى ط الاخبار سنة ١٣٢٩ هـ
وسنة ١٩١١ م
- تاريخ الامة القبطية وكنيستها : للسيدة ال.ل. بنشر ط مصر سنة ١٩٠٠ م
- تاريخ بغداد : لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ط السعادة
سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م
- تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ط دار المعارف سنة
١٩٦٠ م
- تاريخ الشعوب الاسلامية : كارل بروكلمان ط بيروت سنة ١٩٥٣ م

- تاريخ علماء الأندلس : عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن الغرضي
مجريط سنة ١٨٩٠ م
- تاريخ الموصل : للقس سليمان صايغ ط السلفية سنة ١٣٤٢ هـ -
١٩٢٣ م
- التصنيف والتعريف : للحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ط الظاهر سنة
١٣٢٦ هـ - ١٩٠١ م
- تهذيب الأسماء واللغات : لأبي زكريا يحيى النوى ط أورط سنة ١٨٤٢ م
- تهذيب الصحاح : محمود بن أحمد الزنجاني ط دار المعارف سنة ١٩٥٢ م
- تهذيب اللغة : لأبي منصور الأزهري ط الدار المصرية للتأليف والترجمة
(تراثنا)
- الجباسوس على القاموس : أحمد فارس الشدياق ط الجوائب سنة ١٢٩٩ هـ
- الجمهرة في اللغة : لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ط حيدر آباد سنة
١٣١٤ هـ
- الحجة : لأبي على الفارسي مخطوطة بمكتبة الاسكندرية ينقصها
الجزء الخامس
- حسن المحاضرة : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ط الموسوعات
- الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جني ط دار الكتب من سنة
١٩٥٢ م
- خطط الشام : محمد كرد علي ط دمشق سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م
- ديوان حسان : طبع ليدن سنة ١٩١٠ م
- سر صناعة الأعراب : لأبي الفتح عثمان بن جني ط دار الكتب سنة ١٩٥٥
- سمط اللآل في شرح : لأبي عبيد البكري ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
سنة ١٩٣٦ م
- أمالى القالى : لأبي الطيب اللغوي سلسلة ذخائر العرب (٢١) ط دار
المعارف
- شذرات الذهب : لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد ط القاهرة سنة
١٣٥٠ هـ
- الصاحبي : انظر فقه اللغة

- صبح الأعشى : لأبى العباس أحمد القلقشندي ط الأميرية من سنة ١٩١٣ م
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس : لأبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ط مجريط وعلمائها : سنة ١٨٨٢ م
- طبقات النحويين واللغويين : لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدي ط الخانجي سنة ١٩٥٤ م
- طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي (ذخائر العرب ٧) ط دار المعارف
- العقد الفريد : أحمد بن محمد بن عبد ربه ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٠ و ١٩٤٨ وط الاستقامة سنة ١٩٤٠
- العمدة : لابن رشتيق القيرواني ط هندية سنة ١٩٢٥ م
- فتح العرب لمصر : بتلر . تعريب محمد فريد أبو حديد ط دار الكتب سنة ١٩٣٣ م
- فتوح البلدان : لأبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ط ليدن سنة ١٨٦٦ م وطبع الموسوعات سنة ١٩٠١ م .
- فتوح مصر وأخبارها : لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ط ليدن سنة ١٩٢٠ م
- الفروق اللغوية : لأبى هلال العسكري ط القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ
- فقه اللغة : لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ط الاستقامة سنة ١٩٥٢ م
- فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : لأبى الحسين أحمد بن فارس ط المؤيد سنة ١٩١٠ م
- الفرهست : لابن النديم ط الرحمانية
- فرهست ابن خير : لأبى بكر محمد بن خير بن عمر ط سرقسطة سنة ١٨٩٣ م
- هوات الوفيات : محمد بن شاكر بن أحمد ط القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ و ١٢٩٩ هـ
- كتاب فيه ذكر شيء من الحلي : محمد بن جعفر القزار القيرواني مطبعة العرفان صيدا سنة ١٣٤١ هـ سنة ١٩٢٢
- ليس في كلام العرب : لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ط السعادة سنة ١٣٢٧ هـ

المأثور

مبادئ اللغة

الزهر

مسالك الأمم

المسالك والممالك

معالم الايمان فى معرفة اهل

الشىرون

المعجب فى تلخيص اخبار

المغرب

معجم الأدباء

معجم الانسياب والاسرار

العاصمة

معجم ما استعجم

المغرب

كتاب المعورين

مقاييس اللغة

المقصود والممدود

المكتبة الصقلية

المتقى من اخبار الأصمى :

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط

والآثار

: لأبى الميثيل الأعرابى ط بيروت سنة ١٩٢٥ م .

لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الاستكافى ط السعادة
سنة ١٣٢٥ هـ

: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى دار احياء الكتب
العربية سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م

: ابراهيم بن محمد الاصطخرى ط ليدن سنة ١٩٣٧ م

: لأبى القاسم عبد الله بن خرداذية ط ليدن سنة ١٨٨٩

لابن الدباغ ط تونس سنة ١٣٢٠ هـ :

لأبى محمد عبد الواحد بن على التميمى ط السعادة

: لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى طبع دار الماهون

زامباور ط جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٥١

: لأبى عبيد البكرى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

سنة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م

: لأبى منصور موهوب بن أحمد الجوالقى ط ليبزج سنة

١٨٩٧ م

: لأبى حاتم السجستاني ط السعادة سنة ١٩٠٥

: لأبى الحسين أحمد بن فارس دار احياء الكتب العربية

عيسى البابى الحلبي سنة ١٣٦٦ هـ

: لابن ولاد ط السعادة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨

: ميخائيل عمارى ط ليبسك سنة ١٨٥٧

: ضياء الدين المقدسى ط المجمع العلمى العربى بدمشق

سنة ١٩٣٦

: لأحمد بن على المقرئى مطبعة النيل سنة ١٣٢٤ هـ

النجوم الزاهرة	:	لابن تغرى بردى ط دار الكتب من سنة ١٩٢٩ م
نفع الطيب من غصن الازدكس	:	أحمد بن محمد المقرئ ط بولاق سنة ١٢٧٩ هـ
الوطيب	:	
نزهة الالباء	:	لابى البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى ط حجر
التقافى	:	لابى عبيدة معمر بن المثنى ط ليدن سنة ١٩١٥
نكت الهميان فى نكت العميان :	:	صلاح الدين بن ايبك الصفدى المطبعة الجمالية سنة ١٩١٢
النهاية فى غريب الحديث	:	لابى السعادات المبارك الجزرى المعروف بابن الاثير ط
والاثر	:	العثمانية سنة ١٣١١ هـ
توزراء والكتاب	:	لابى عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ط الحلبي سنة ١٩٣٨
وفيات الاعيان	:	لابن خلكان ط السعادة سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م
الولاء والقضاء	:	لابى عمر محمد بن يوسف الكندى ط بيروت سنة ١٩٠٨
يتيمة الدهر	:	لابى منصور عبد الملك الثعالبي ط الصاوى سنة ١٩٣٤ م

فهرس

الموضوع الصفحة

- تعريف موجز بالكتاب ٣
مقدمة البحث ٥

الباب الأول :

- الرواية فى شرق العراق ١١
الفصل الأول : الملامح العامة فى الأقاليم الشرقية . . ١٣
الفصل الثانى : القسم الأول - خراسان وما وراء النهر ٣١
نيسابور ٤٣
مرو ٥٣
هراء ٥٧
الفصل الثالث : القسم الثانى - فى بلاد الجبال وفارس . ٦٩
الرى ٧٣
اقليم فارس ٨٣
اصبهان ٨٩
الفصل الرابع : مظاهر الرواية فى شرق العراق . . ٩٥

الباب الثانى :

- الرواية فى الشام ١٠٧
الفصل الأول : علاقة الشام ببلاد العرب . . . ١٠٩
الفصل الثانى : الرواية فى عهد الأمويين . . . ١١٩
الفصل الثالث : جوانب من النشاط اللغوى فى ظل
الحمدينين ١٢٣
الفصل الرابع : وجوه النشاط اللغوى فى الشام . . ١٢٧
عبد الواحد بن على ١٣٧
الحسين بن أحمد بن خالدية ١٤٦

الباب الثالث :

١٥٧	الرواية في مصر
١٥٩	الفصل الأول : اللسان في مصر قبل الفتح الاسلامي .
١٦٩	الفصل الثاني : نشأة الرواية وتطورها
١٧٧	علماء مصر

الباب الرابع :

١٩١	الرواية في شمال افريقية والأندلس
١٩٣	الفصل الأول : الرواية في شمال افريقية
٢٠١	صقلية
٢٠٥	الاعراب والرواية
٢٠٩	الفصل الثاني : الأندلس
٢٢٩	مدد من الشرق
٢٤١	من أهم مجالس قرطبة
٢٤٦	ملاحظتنا على الرواية في الأندلس
٢٥٣	أهم المصادر والمراجع

